

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ \* إِيَّاكَ  
تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* أهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ  
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .

### التفسير

أ - مقدمة في مسائل ينبغي معرفتها:

#### الأولى - في المكي والمدني:

لم ينزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة واحدة ، ولادفعة واحدة ، وإنما نزل متفرقا بحسب الوقائع والحوادث ، وبحسب الأسئلة والاستفتاءات في ثلاث وعشرين سنة ، كما قال سبحانه : ( وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ، ونزلناه تنزيلاً <sup>(١)</sup> ) .

وهذه الفترة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حوالي ثلاث عشرة سنة منها في مكة قبل الهجرة ، وقضى حوالي عشر سنوات منها في المدينة بعد الهجرة ، فكان المكي من القرآن ما نزل قبل الهجرة في مكة ، أو في ضواحيها ، كني ، وعرفات ، والحديبية ، أو في القدس ليلة الإسراء ، أو ما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان المدني ما نزل بعد الهجرة في المدينة ، أو في ضواحيها ،

(١) آية ١٠٦ من سورة الإسراء .

كبدر ، وأحد ، وسلع ، ومنه منازل بمكة عام الفتح ، أو عام حجة الوداع ، ومنازل في سفر من الأسفار بعد الهجرة .

فإنفاصل بين المنى والمدنى من القرآن الكريم : آياته وسرده - فأصل زمانى ، لامكانى ، وهذا هو أشهر الآراء وأرجحها .

الثانية - في معنى السورة :

السورة هي الطائفة والجملة من كلام الله العزيز ، لها أول ولها آخر ، ولها عدد معلوم من الآيات ، والكلمات ، والحروف ، وتعرف السورة باسم خاص بها ، أو بعدة أسماء ، وأسماء السور مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وإنما سميت سورة لارتفاع منزلتها ، وعلو مكانتها ، بسكونها من كلام الله تعالى ، وفضل كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه ، والسورة في اللغة : المنزلة الرفيعة ، كما في قول الشاعر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب

وأجمعوا على أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة ، ومن عددها مائة وثلاث عشرة جمل سورتي الأنفال والتوبة سورة واحدة .

والحكمة في تسمير القرآن سوراً أن يكون أنشط لقاريه ، وأبث على التحصيل وأن الجنس إذا انطوت تحته أنواع كان أحسن من أن يكون باباً واحداً ، وفي هذا التسمير أيضاً إشارة إلى أن كل سورة نمط مستقل .

الثالثة - في الاستعاذة :

أمرنا الله بالاستعاذة به من الشيطان الرجيم عند أول كل قراءة ، فقال : ( فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم<sup>(١)</sup> ) والمعنى : فإذا أردت قراءة القرآن كما أمرنا بها في كل موضع تخشى فيه وساوس الشيطان ، وتزينه الشر ، فقال :

(١) آية ١٨ من سورة البقرة

(وإما يترغناك من الشيطان نزع<sup>(١)</sup> فاستعد بالله إنه سميع عليم<sup>(٢)</sup>)

يقول القاري: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أو أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، والمعنى: ألتجئ إلى الله تعالى، وأستجير به، وأحصن عما أخشاه من كيد الشيطان الطريد من رحمته تعالى، ومكره ووسوسته.

وإنما خصت القراءة بطلب الاستعاذة، مع أنه قد أمرنا بها على وجه العموم في جميع أشئون - كما رأينا - لأن القرآن مصدر الهداية. والشيطان مصدر الضلال، فهو يقف للإنسان بالمرصاد عند قراءة القرآن على وجه خاص، فيغير أمامه ألواناً من الشكوك فيما يقرأ، وفيما يفيد من قراءته، وفيما يقضد بها، ليفوت عليه الانتفاع بهدى الله وآياته، فعلمنا الله أن تتق ذلك كله بهذه الاستعاذة التي هي في الواقع عنوان صادق، وتمبير حق عن امتلاء قلب المؤمن بمعنى اللجوء إلى الله، وقوة عزيمته في طرد الوسوس والشكوك، واستقبال الهداية بقلب طاهر، وعقل واع، وإيمان ثابت.

والاستعاذة - بإجماع المسلمين - ليست من نصوص القرآن؛ وإنما هي تنفيذ لأوامره، فقال عند إرادة القراءة خارج الصلاة، ولا يجبر بها في الصلاة.

الرابعة - في البسمة:

وهي «بسم الله الرحمن الرحيم»، وتعرف أيضاً «بالتسمية»، وأراجع أنها آية من سورة الفاتحة، ومن سورة النمل<sup>(٣)</sup>، بدليل كتابتها في المصحف، وعدّها آية في هاتين السورتين، فيما عدا هاتين السورتين هي آية أنزلت لتفصل بين السور، وانتبرك بها في الابتداء باستثناء سورة براءة، ولذا ذكرت في أول كل سورة ولم تعد آية منها.

وعد البسمة آية أو عدم عدّها آية، لاختلاف الأدلة - مسألة اجتهادية - المصيب فيها مأجور، والمخطئ فيها معذور مأجور، والعلم الحق عند الله تبارك وتعالى، وعلى هذا مضى سلف الأمة، لا يتخذون من الخلاف في الرأي أداة لتطمئن والنتم واستكفير.

(١) المعنى: وإن تعرض لك من الشيطان وسوسة فاستجبر بالله، والجا إليه أن يندفعها عنه.

(٢) آية ٢٠٠ من سورة الأعراف. (٣) جزء من الآية ٣٠.

وفي ابتداء سور القرآن الكريم بالبسملة تعليم لنا أن نبدأ أعمالنا بتسمية الله تعالى وذكره ، مستعينين به وحده ، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « كل أمر لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر » أي مقطوع النفع والخير والبركة .  
 وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « ألا أنبئكم بآية لم تنزل على نبي قبلي إلا أن يكون سليمان بن داود ؟ بسم الله الرحمن الرحيم » .

### الخامسة — في التأمين .

يسن لقارئ الفاتحة في الصلاة وغيرها أن يقول بعد الفراغ منها « آمين » بعد سكتة على نون : « ولا الضالين » ليفصل ما هو قرآن عما ليس بقرآن ، و « آمين » معناها : « أستجب يا الله » وهي ليست من القرآن باتفاق ، ولذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف .

وقد جاءت الأدلة على استحبابها ، ورفع الصوت بها ، من الإمام والمؤمنين ، ففي حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال : غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : آمين ، حتى يسمعها الصف الأول ، فيرتج بها المسجد ، كما في سنن ابن ماجه .

### ( ب ) تعريف بسورة الفاتحة : مقاصدها ، وأسمائها ، وفضلها :

سورة الفاتحة مكية نزلت قبل الهجرة ، فقد فرضت الصلاة قبل الهجرة ليلة الإيماء ، ولم يعرف في الإسلام صلاة بغير سورة الفاتحة ، وهي سبع آيات نزلت بتمامها جملة واحدة ، وهي أول سورة نزلت من القرآن الكريم كاملة ، وأول سورة في الترتيب المصحفي .

وقد أجمل في هذه السورة ما فصل في القرآن الكريم كله ، وكأنها إجمال يحلو



بعده التفصيل ، فمقالة آياتها اشتملت على مقاصد القرآن . وهي : تعريف الناس برب العالمين ، وما يتصف به من صفات جليلة ، وحشيم على حمده وعبادته وإثبات يوم الجزاء وقدره الله على البعث وإحياء الناس بعد الموت ، وتقديره بالملك والتصرف في هذا اليوم ، ووجوب توحيده بالمعبادة دون شريك . والاستعانة به وحده في جميع الشؤون إذ لا يوجد شيء ، ولا يتم إلا بإرادته ومعونته ، ومن خير ما يستعان بالله تعالى فيه طلب الهداية منه إلى الصراط المستقيم . وفي سبيل ذلك يلفت القرآن الكريم أنظار الناس ما في الكون كله : في الآفاق وفي أنفسهم من آيات دالة على قدرة الله وعلمه وحكمته وربوبيته وسائر صفاته الحسنى ، ويقص علينا قصص الأولين ، مبيناً أصناف الناس من المؤمنين والكافرين ، وعاقبتهم ، لنعبر بهم .

وقد اشتملت القامحة على هذه المقاصد كلها في إيجاز ، فلا غرابة أن تسمى أم الكتاب ، وسورة أم الكتاب ، وأم القرآن ، وسورة أم القرآن ، والأساس ، وسورة الأساس ، وأساس القرآن ، والوافية ، والكافية ، والشافية ، والشفاء ، وسورة الشفاء ، والقامحة ، وسورة القامحة ، وقامحة الكتاب .

وأسماء هاقرية من ثلاثين ، فهي تسمى أيضاً : الحمد ، وسورة الحمد ( لبدتها بإيات الحمد لله ، واختصاصه به ، وسور الحمد في القرآن الكريم غير القامحة أربع : الأنعام ، والكهف ، وسبأ ، وقاطر ، والصلاة ، وسورة الصلاة ( لأنها أس الصلاة <sup>(١)</sup> ) ، والسبع المثاني ( لأنها سبع آيات تنفي وتكرر في الصلاة ، ولا شتمها على الثناء على الله تعالى ) وسورة الثناء <sup>(٢)</sup> .

وأما فضلها وشرافها فلما جاء في الحديث القدسي : « قسمت الصلاة بين وبين عبدي

(١) قوله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ولقول الله تعالى في الحديث القدسي : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » الحديث ، وسيأتي بتامه في الحديث عن فضل السورة إن شاء الله ، والصلاة في الحديث : القامحة .

(٢) ذكر هذه الأسماء كلها محمد الدين محمد به بخطب الفيروز آبادي في كتابه مختار ذوق العمري ، في لطائف الكتاب العزيز ١٥٠ ص ٣٤٤ .

نصفين ، ولعبدى ماسأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدنى  
عبدى ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله : أثنى على عبدى ، وإذا قال : مالك يوم  
الدين ، قال الله : مجدنى عبدى ، وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بينى  
وبين عبدى ، ولعبدى ماسأل . وإذا قال : إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين  
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ماسأل .  
أخرجه مسلم عن أبي هريرة .

وقد ذكر الأئمة فى تفسيره أنه روى بإسناد صحيح عن أبي هريرة أنه صلى الله  
عليه وسلم قال لأبي بن كعب : « تحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ، ولا فى  
الإنجيل ، ولا فى الزبور ، ولا فى القرآن مثلها ؟ قال : نعم يا رسول الله ، فقال له :  
كيف تقرأ فى الصلاة ؟ فقرأ بأمر القرآن ، فقال صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده  
ما نزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها ، وإنما النسخ  
المثنى والقرآن العظيم الذى أعطيته . »

وقال مجاهد : سمعت ابن عباس يقول : أن إبليس له أربعة أنات : حين لمن وحين  
أهبط من الجنة ، وحين يموت محمد صلى الله عليه وسلم ، وحين أنزلت فاتحة الكتاب .  
بهذا كانت هذه السورة « فاتحة الكتاب » وكانت « أم القرآن » وكانت هى السورة  
الوحيدة التى طلب من المؤمنين أن يقرءوها فى كل صلاة ، وفى جميع الركعات ، وفى كل  
الأوقات ، ويسرت على لسان كل مؤمن وأصبحت فى الإسلام كأنها « مجمع أشعة »  
تنير بضوئها كل شىء وتبسطه على كل شىء .

وإلى المدد القادم إن شاء لنتلقى نظرة أخرى فى فاتحة الكتاب : مفرداتها ومعناها  
الإجمالى . والله تعالى هو الموفق والمعين .

عنتر أحمد حشاد

وأبنا - في المقال السابق - موقف الماديين الملحدون الذين لا يؤمنون بالغيب في تفسير ظواهر الحياة الطبيعية والاجتماعية ، وتعليل أحداثها ، وضرينا لذلك مثلاً بما قالوه في تفسير وتعليل نكسة ١٩٦٧ م ، وما أحرزناه من نصر في معركة ١٩٧٣ ؛ إذ زعموا - واهمين - أن مرد الهزيمة والنصر إنما يرجع إلى الأسباب والعوامل المادية وحدها ، ولا صلة - ألبتة - لهذه الهزيمة بالنصر إلا بقواه ، ولا لهذا النصر بالقرب من الله وطاعته ( كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ) ، كما أنكروا أن يكون لله - سبحانه - جنود يؤيدهم من يشاء من عباده ، وينصر بهم أوليائه ، وأدعوا - إفتراء على الله - أن في نسبة النصر إلى الله - إقلاقاً من شأن الجهود التي بذلت ، والبطولات التي ظهرت .

ولو أن هؤلاء الماديين الملحدون رجعوا إلى سنة الله في خلقه ، وإلى سنته في الحرب ، وفي أسباب النصر والهزيمة التي طبقت على الرسول ﷺ وأصحابه ؛ كما طبقت على المارك التي خاضها المسلمون بعد ذلك - لو أنهم رجعوا إلى سنة الله في خلقه - ولن تجد لسنة الله تبديلاً - لرأوا أن النصر من عند الله وحده ( وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ) وإن لله تعالى ملائكة و جنوداً ينصر بهم أوليائه ؛ ويهزم بهم أعداءه ، وأن نصر الله تعالى معقود بالإيمان به ، وتقواه وطاعته - إلى جانب الأعداد المادية للحرب ، والتقوى بالعدد والعدة كما أمر الله عز وجل « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

والإسلام - وهو الصراط المستقيم - قد أوجب على المؤمنين أن يأخذوا بالأسباب التي جعلها الله سنناً ؛ ليصل بها إلى ما يرتب الله تليها من نتائج ومسيبات ، وحرّم عليه الامتناع عن الأخذ بالأسباب مع تبسرها له ؛ وهدى ذلك تمرداً على الله ، وتمطيلاً

تنظام الله في ملكه، كما أوجب عليه بعد الأخذ في الأسباب أن يثق في وعد الله لعباده  
المحسنين، أفاننه سبحانه - لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأوجب أيضاً أن يتوكل على  
الله - فيما يعترضه من عقبات - ليسر له التغلب عليها برحمته .

وهنا تفتح له مغاليق الغيب . ويبدو له من لطف الله وكرمه ما لم يكن يحتسب  
. وهذا هو الطريق السوي السليم في الجمع بين سنن الله . والأمل في رحمته .

يتضح ذلك في نصرة الله لرسوله في الهجرة فقد ظهر فيها عنصر التخطيط والتنظيم  
العلمي الدقيق للتعاون والتأمين والأخبار وعمليات التغطية والاتصال المستمر بمكة  
وفتح الطريق إلى المدينة واتخاذ طريق نحو الجنوب الشرقي أول الأمر . بينما القوم  
يبحثون شمالاً وغرباً . والاتظار في الغار حتى يظن القوم أنه قد أفلح في اختراق  
الحصار الذي ضربه فإذا ما اطمأن إلى فشلهم في كل ذلك ؛ بدأ طريقه إلى الغرب عن  
طريق الساحل . غير سالك ما اعتادوه من دروب . ثم يصل إلى منطقة الجبال بعد هذا  
في طريق وعر سالكوه . فالتنظيم العلمي هنا دقيق لم يترك أي شيء لمصادفة .

كما ظهر فيها أيضاً عناصر الإعجاز الإلهي والعناية الربانية في نجاة الرسول صلى الله  
عليه وسلم وصاحبه : في التقلت من الأعداء حين الخروج رغم جميع الاستحكامات .  
ثم نجاحهما في الغار رغم وصول الكفار إليه وانقطاع الأثر عنده . ثم تخلصهما من  
سراقة بن مالك ، الطالب والمدرك لهما ، الحريص على نيل الجعل الممد لمن يأتي بهما  
حين أو ميتين .

ولوتبعنا غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وتبعنا المعارك التي خاضها المسلمون  
من بعده واتصروا فيها لوجدنا هذين العنصرين جميعاً : عنصر التخطيط والعمل  
والإعداد والتقوى، وعنصر العناية الإلهية؛ وإمداد الله تعالى عباده المؤمنين وأوليائه  
الناصلين بالنصر . نجد ذلك واضحاً في غزوة بدر الكبرى وغزوة بني النضير، وغزوة  
الأحزاب وبني قريظة وفتح مكة ، وغزوة تبوك . وفي معركة عين جالوت ضد التتار  
وفي غير هذه الغزوات والمعارك .

ومع ما كان في الهجرة والغزوات والمعارك من إحكام التخطيط والتنظيم المعلى  
الدقيق واختيار العناصر المخلصة الواعية للمشاركة في تحمل المسؤولية وضرب المثل في  
الصبر عند التقاء والثبات عند الزحف والنفس الطويل عند شراسة العدو - مع كل هذا  
نجد أن الله - سبحانه - يسند النصر إلى ذاته العلية ، يقول سبحانه في الحديث عن  
الهجرة : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في  
الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود  
لم تروها ، وحمل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم <sup>(١)</sup> » .

ويقول سبحانه في غزوة بدر : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة <sup>(٢)</sup> » « فتم  
تقتلهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى <sup>(٣)</sup> » .

ويقول سبحانه في غزوة بني النضير عن اليهود : « هو الذي أخرج الذين كفروا  
من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم  
حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب <sup>(٤)</sup> » .

ويقول سبحانه في غزوة الأحزاب : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم  
إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بعامتهم بصيرا <sup>(٥)</sup> »  
« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله  
قويا عزيزا <sup>(٦)</sup> » .

ويقول سبحانه في بني قريظة عن اليهود : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل  
الكتاب <sup>(٧)</sup> من صياصيم <sup>(٨)</sup> وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا  
وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا <sup>(٩)</sup> » .

(٢) من الآية ١٢٣ من سورة آل عمران -

(٤) من الآية ٢ من سورة الحشر .

(٦) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب .

(٧) يهود بني قريظة الذين ظاهروا وهاونوا المشركين في غزوة الأحزاب .

(٩) الايتان ٢٦ و ٢٨ من سورة الأحزاب -

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٣) من الآية ١٧ من سورة الأنفال .

(٥) الآية ٩ من سورة الأحزاب .

(٨) حصونهم .



فهل في ذلك من نسبة النصر إلى الله عز وجل وحده ، ونفى القتل والرمي عن  
رسوله صلى الله عليه وسلم وصحبه - إقلال من شأن الجهاد التي بذلت ، وغض من  
شأن البطولات التي ظهرت .

إن الإسلام يريد من الإنسان ، ليكون خليفة في الأرض يعمرها . أن يحفظ  
ويتصرف وأن يعمل ويكسح مستمينا بالله ، مفوضا أمره إليه ، متبرئا من حوله  
وقوته إلى حول الله وقوته .

عن أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال :  
اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول<sup>(١)</sup> ، وبك أصول<sup>(٢)</sup> ، وبك أقاتل<sup>(٣)</sup> . »

إن لله جندا لا يغلب ، وجيشا لا يقهر ، وزعبا يقذفه في قلوب الأعداء ، ونصرا  
يعد به عباده الأتقياء ، قال تعالى : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا  
ويوم يقوم الأشهاد<sup>(٤)</sup> . »

فاتقوا الله عباد الله ، واستمسكوا بدينكم ، وأطيعوا أمر ربكم يرفع الله من شأنكم  
ويلجز جندكم . ويخذل عدوك « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت  
أقدامكم ، والذين كفروا فتساقط لهم وأضل أعمالهم وذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله  
فأحبط أعمالهم<sup>(٥)</sup> . »

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ؛  
ولا تزاخذنا بما فعل السفهاء منا ؛ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من  
تشاء أنت ولينا فاعفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

عتر أحمد حشاد

(١) أحول : أحتال وأتمرك وأدفع وأمنع .

(٢) رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن .

(٣) الآية ٥١ من سورة طافر

(٤) الآيات ٧ و١٨ من سورة محمد .

سورة الفاتحة . ومكانتها من القرآن الكريم

- ٣ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ، إِيَّاكَ  
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ  
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

٢ - الحمد لله رب العالمين :

الحمد ثابت لله . مستحق له . محتسب به . ليس لأحد أن يازعه وإياه : فهو الله (١)  
المعبر بحق . وهو رب العالمين (٢) . حتى الخلق بقدرته ، وأوجدهم من العدم بمشيئته ،  
وذر لهم ما يصلحهم بحكمته . وأنهم بأسماء الحياة . المقام إلى الأجل الذي قدر لهم  
بإحسانه ورحمته

وقد روي أنه الإمامان فرغ هذه التربية الجسمية تربية نفسية وعقلية ، ثم رباب تربية  
عشرية بما أرسن من الرسل . وأزل من الكعب . فكأنه لا شريك له - سبحانه -  
: تربية الخلق والتذكير - لا شريك له في تزيين التربية بالوحي والتزريع .  
ومن هنا كان لله في خلقه عامة برهان من التربية : تربية خلقية . وأخرى تشريعية .  
وقد شملها قوله تعالى : « رب العالمين »

(١) لفظ الجلالة ( الله ) : علم على الذات الطيبة فيه صفى الألوهية ، وهو الاسم الجامع لمعان الاسماء  
الخاصة ، والصفات الملا ، عن عبد الله بن عباس ، قال : « الله ذو الألوهية والمبودية على خلقه آمين »  
وقد ذكر في القرآن الكريم في ألفين وستائة وسبعة وتسعين موضعاً ، ولم يسم به غير واحد الوحد ،  
الوحد معنى « فهل تعلم له سمياً »

(٢) رب العالمين . مالكهم ، أو مربهم ومتولى أمورهم . ولا يقال : ( الرب ) إلا لله عز وجل ،  
وقد يقال للشخص : « رب الأمر » . أو « رب البيت » . أو « رب البيت » . كل ما سوى الله عز وجل من  
من الموقوفات كلها

ولكى يدرك الإنسان ربوبية الله للعالم التي استحق بها الحمد ، واخص بالثناء - عليه  
أن ينظر في ملكوت الله ، عليه أن يبحث أسرار الله في نفسه ، وفي الحيوان ، وفي النبات ،  
وفي الجماد ، وفي السماء ، وفي الأرض ، وفي الهواء ، وفي كل ما خلق الله من شيء .

وقد أمرنا الله عز وجل بهذا النظر ، وهذا التفكير . فقال سبحانه : **وَأُولَئِكَ يَنْظُرُوا**  
**فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ** ، (١) **وَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ** ، (٢)  
**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ** وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، (٣) **وَجَمَلٌ هَذَا النَّظَرُ**  
**وَالتأمل عبادة .**

وسور الحمد - التي بدأت باثبات الحمد لله ، كما عرفت (٤) - غير الفاتحة سور أربع :  
هي : سورة الأنعام ، وسورة الكهف ، وسورة سبأ ، وسورة فاطر ، وبذا تكون  
سور الحمد خمسا : اثنتان في النصف الأول من القرآن الكريم ( الفاتحة والأنعام ) وواحدة  
في منتصفه ( الكهف ) واثنتان في النصف الأخير ( سبأ و فاطر ) وكلها مكية ، نزلت في  
بده الدعوة إلى التوحيد ، واعتقاد أن الله هو مصدر كل خير يصيب الإنسان من جهة  
حياته المادية ، وحياته الروحية ، وكان ذلك بمثابة تمهيد يفرس في النفوس الإقبال على  
الإيمان ، ويهيئها لاستقبال ما سينزل من التشريع بعد في رضا واطمئنان ، وطاعة وخضوع .

وبما تجدر ملاحظته أن هذه السور الخمس قد دارت حول بيان ربوبية الله للعالم من  
ناحيةها : الخلقية ، والتشريعية ، وأن سورة الفاتحة قد أجملت ذكر هذه الربوبية من  
هذين الجانبين ، وأن السور الأربع الأخرى جاءت كتفصيل لهذا الإجمال .

فبينما تبدأ الفاتحة بـ **الحمد لله رب العالمين** ، فتمم تربية الخلق والتشريع ، وتبمه  
بما يؤكد هذا المعنى في الجانبين باجمال - نرى أن سورة الأنعام - على طولها - تتحدث في  
تفصيل عن الناحية الأولى من ناحيتي الربوبية ، وهي ناحية الخلق والإيجاد ، كما يشمر  
بذلك أولها : **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور .**

ونرى سورة الكهف تتحدث - في تفصيل كذلك - عن الناحية الأخرى للربوبية ،  
وهي ناحية التشريع ، كما يشمر بذلك مطلعها : **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ..**

(٢) الروم : من الآية ٥٠

(٤) في ص ٩ من عدد شهر المحرم ١٣٩٤ هـ

(١) الأعراف : من الآية ١٨٥

(٣) الدائرات : ٢٠ و ٢١

ونرى سورة ساءتحدث - في تفصيل عن حبه البرية حبيب . ساء عن بحر ح  
غير ماجاه في سورة الابعاد . فقد ذكر أن الله تعالى ماني السموات والأرض عناء بقصره  
وتنص على هذا النحو إلى آخرها . بينما ذكرت سورة الابعاد أن الله تعالى ماني السموات  
والأرض خلقاً وإيجاداً .

ونرى سورة فاطر تحدث عن الناحيتين جميعاً في شيء من التفصيل ، كما يستمر ذلك  
أولها : « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة ، مشي وثلاث  
ورباع ، ويستمر الحديث فيها عن الآيات الكونية . والآيات القرآنية

### ٢ - الرحمن الرحيم

جمل الله تعالى ربوبيته للعالم عن صريح الرحمة والرحمانية . فليس مصدره جدوة  
وقهره . وهو القهار الجبار ، ولكن مصدرها عموم رحمة . وسنكون إحسانه بجميع خلقه .  
فانهم بالرحمة يوجدون . وبالرحمة يتصرفون ، وبالرحمة يزفون . وعلى الرحمة يضمون  
وفي هذا المعنى ما يبعث على الإقبال على الله عز وجل تصور مؤمنه . وقلوب مطمئنة

وإذا كان الحمد لله ، والثناء عليه - مرجعهما وأساسهما ربوبية الله للعالم . ورحمة  
وإحسانه إليه فما أجدنا - ونحن العبيد الضعفاء . العجزه الأذلاء - أن نتعلق بأهلوا  
الله . وأن نرحم من نحسن إلى من ولانا الله عليهم من أولادنا . وقلاميذنا . وأزواجنا .  
ورعتنا ، حتى يصلح الله بنا . وسألنا برحمته وإحسانه « الرحيم » : رحمة الرحمن .  
« ارحموا من في الأرض » : رحمة من في السماء . « إن رحمة الله قريب من المحسرة » (١) .

وفي هذه الآية اسمان كريمان من أسماء الله الحسنى . وهما : الرحيم . والرحيم ،  
والفرق بينهما : أن « الرحيم » : الذي من صفاته ذاته الرحمة . فهو ذال على الصفه القائمة  
به سبحانه ، دون إرادة تعلقها بالمرحومين من الناس وغيرهم . ولذا لم تذكر في القرآن  
متعدية ، ولم يجيء فيه : « رحمان بالمؤمنين » . كما جاء « لأنه بهم رؤوف رحيم » (٢) .

أما « الرحيم » فإنه الذي تفيض على خلقه آثار رحمة . وتشملمهم بعمه . غيب وديفها .  
ظاهرها وخفيها ، ولذا جاءت في القرآن الكريم متعدية « وكان بالمؤمنين رحيم » (٣)

(١) الأعراف . من الآية ٥٠ (٧) التوبة . من الآية ١١٧ (٣) الأعراف .



دين الله باناس رءوف رحيم ، (١) ، فالرحمن صفة ذات ، والرحيم صفة فعل .  
جميع الأفعال ، لما دل عليه استعمال القرآن . وقد ذكره ابن القيم .

والرحمن : اسم خاص لله تعالى ، لا يطلق على غيره . أما الرحيم فإنه يحتمل إختلافه  
على من أوصف بالرحمة من الناس . كما جاء في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم :  
« بالمؤمنين رءوف رحيم » (٢) .

ورحمة الله في خلقه رحمان : رحمة أساسية عامة ، وسعت الخلق جميعاً بنعمة الوجود  
والحياة والرزق ، وبنعمة الهداية الفطرية ، وبنعمة الهداية السماوية ، وذلك بإرسال  
رسل إلى جميع الأمم : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا » (٣) « وإن من أمة إلا خلا فيها  
نذير » (٤) « وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (٥) .

ورحمة أخرى خصوصية إضافية : علاوة يمنحها لمن يستحقها ، تلك هي رحمة الاصطفاء  
والاجتباء ، والقيادة والامامة والتوفيق والرشاد ، والمزيد من الفضل « الله يصطفى من  
الملائكة رسلا ومن الناس » (٦) « والله أعلم حيث يجعل رسالته » (٧) « الله يحبني إليه من  
يتساء ويهدي إليه من ينيب » (٨) « والذين اهتدوا زادهم هدى وأتاهم تقواهم » (٩) .  
فلا يطمع في هذه الرحمة من كان قلبه بعيداً عن الإيمان ، من كان بعيداً عن تقوى الدين :  
من منع ازكاة عن الفقراء والمساكين ، من لم يؤمن بالقرآن ، ويعمل بآيات الرحمن ،  
من لم يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأعماله ، فرحمة الله - وإن كانت  
واسعة - لم تكتب لهؤلاء ، كما قال الله عز وجل : « ورحمتي وسعت كل شيء فسأنتها  
للذين يتقون ويؤتون ازكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول  
النبى الامى » (١٠) .

## يسروا ولا تمسروا

عن أنس بن مالك رضى الله عنه : عن النبى ﷺ قال : ( يسروا ولا تمسروا  
وبشروا ولا تنفروا )

رواه البخارى ومسلم

(١) البقرة : الآية ١٤٣ .



## سورة الفاتحة ، ومكاتها من القرآن الكريم

- ٤ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ،  
إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط  
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

٤ - مالك يوم الدين :

الصفة الثالثة التي استحق الله تعالى بها الحمد - أنه مالك يوم الدين ، ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب ، والثواب والعقاب ، هو يوم القيامة<sup>(١)</sup> .

والله تعالى - وحده - مصرف هذا اليوم بحسب إرادته ومشئته ، يحاسب كل إنسان على ما قدمت يده من خير أو شر ، ومن عمل صالح أو عمل سيئ ، ويجزيه الجزاء الأوفى ، كما قال تعالى في سورة الزلزلة : « فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره<sup>(٢)</sup> » « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى<sup>(٣)</sup> » .

هذا اليوم أمره بيد الله وحده « لمن الملك اليوم فه الواحد القهار<sup>(٤)</sup> » وهو حكم عدل ، لا يظلم مثقال ذرة ، فلا ينفع الإنسان فيه ماله ولا أولاده « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم<sup>(٥)</sup> » ولا ينفعه أصدقاؤه وخلائه « يوم لا تملك

(١) لهذا اليوم كثير من الأسماء ، جاء بها القرآن الكريم ، منها : اليوم الآخر ، يوم البعث ، يوم الفصل ، يوم التفاضل ، الطامة الكبرى ، الصاخة ، الحاقة ، القارعة ... الخ . (٢) الأيتان ٧ ، ٨ (٣) سورة النجم ، الآيات ٣٩ - ٤١ (٤) سورة فاطر من الآية ١٦ (٥) الشعراء الأيتان ٨٨ ، ٨٩

نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله<sup>(١)</sup> ولا يفيد كذبه واحتماله « يوم تشهد عليهم  
ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون<sup>(٢)</sup> » يوم لا ينفع فيه الملائكة المقربون ،  
ولا الأروياء السالحون - من حمادي في الطغيان ، وباء بالخسران « مال الظالمين من حميم  
ولا شفيع يطاع<sup>(٣)</sup> » .

كل هذا لا ينفع الإنسان يوم الجزاء ، إنما ينفعه إيمان اعتقده ، وعمل صالح  
قدمه ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ينظرون يميننا وشمالنا ، وخلقنا وأمامنا ، فلا يجدون  
ناصراً ولا معيناً ، ولا محامياً خطيراً ، لا يشفع أحد لأحد إلا لمن ارتضى الله ولا يتكلم  
أحد إلا بإذنه .

وفي الإيمان بهذا اليوم رزية للعبد ، وإنه إذا آمن بأن هناك يوماً يظهر فيه إحسان  
المحسن ، وزساة المسيء ، وينال كل منهما جزاءه دون محاباة أو ظلم ، وأن زمام الحكم  
في ذلك اليوم العظيم بيد العليم الخبير ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء -  
تكون عنده خلق المراقبة ، وتوقع المحاسبة ، فكان ذلك أعظم سبيل لصلاحه ، وملاح  
كل ما يعمل .

واتصاف الله تعالى بالرحمة ، وبالتفرد بالملك يوم الدين - يجعل المؤمن دائماً بين  
الرجاء في رحمة الله ، فلا ييأس (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون<sup>(٤)</sup>) والخوف  
من عذاب الله فلا يأمنه « فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون<sup>(٥)</sup> » ، وهذا هو حد  
الاعتدال والتوسط الذي وصف الله تعالى به عباده المؤمنين المتقين « ويرجون رحمته  
ويخافون عقابه<sup>(٦)</sup> » « يدعون ربهم خوفاً وطمعا<sup>(٧)</sup> » .

واتصاف الله تعالى بهذه الصفات كلها : صفة الألوهية ، والربوبية ، والرحمة ،  
والرحمانية ، والملك - يستلزم اتصافه بجميع صفات الكمال ، إذ يستحيل ثبوت هذه  
الصفات لمن ليس بحى ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولا قادر ، ولا متكلم ، ولا فعال لما  
يريد ، ولا حكيم في أقواله وأفعاله .

صفات الجلال والجمل أخص باسم « الله »

وصفات الفعل والقدرة ، والتفرد بالضر والنفع ، والمطاء ، والمنع ، وتفرد المشيئة

(١) الاقطار : ١٩ (٢) النور : ٢٤ . (٣) غافر : من الآية ١٨ (٤) من الآية ٨٧ من سورة يوسه

(٥) من الآية ٢٩ من سورة الأعراف . (٦) من الآية ٥٥ من سورة الإسراء

(٧) من الآية ١٦٦ من سورة « أم الحدة » .

وكمال القوة وتديير الخليقة أخص باسم « الرب » و « الملك » و « المالك » (١)  
 وصفات الإحسان والجود ، والبر والحنان ، والمنة والرأفة ، والالطف أخص باسم  
 « الرحمن » .

والله نسال أن يشملنا برحمته ، وأن ينجيننا من أهوال يوم الدين ، وأن يجعلنا  
 من الفائزين المفلحين ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .  
 • — إياك نعبد وإياك نستعين :

بعد ما تقدم في الآيات السابقة من أوصاف الله عز وجل ، ووضوح عظمته يتجه  
 إليه الإنسان بالخطاب قائلا : « إياك نعبد ، وإياك نستعين » كأنه يراه (٢) ، وبذلك  
 يتجلى - مع ما تقدم من الصفات - معنى جديد ، وهو معنى قرب الله لعباده ،  
 وشهوده كل أحوالهم ، وأنه أقرب إليهم من حبل الوريد « ما يكون من نجوى ثلاثة  
 إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو  
 معهم أينما كانوا » ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم (٣) .  
 والمعنى : نخصك وحدك بالعبادة ، لا نعبد أحداً غيرك ، كما نخصك بالاستعانة  
 لأنستعين إلا بك .

والعبادة : وهي خضوع لا يحد لعظمة لا تحد ، تدل على أقصى غايات التذلل  
 لكى ، والحب النفسى .

وتطلق العبادة على التوحيد ، لأنه أساس كل تذلل وخضوع ، كما تطلق على الأعمال  
 المفروضة التي يجب على كل مسلم أداؤها ، من صلاة ، وحج ، وصوم ، وزكاة ،  
 وجهاد .

ومادام المعبود بحق هو الله وحده ، فهو صاحب الحق - وحده - في تشريع  
 العبادات وتحميدها ، وليس لأحد سواه أن يصنع أو يزيد أو ينقص فيما شرع الله ،  
 كما لا ينبغي لأحد أن يتوجه بما رسم الله لعبادته إلى أحد من خلقه ، فلا ركوع إلا

(١) قى الآية قراءتان ( مالك يوم الدين ) بعد الميم من الملك ( بكسر الميم ) و ( ملك يوم الدين )  
 بدون مد الميم من الملك ( بضم الميم ) ، وقد جاء الوصفان كلاماً في القرآن الكريم ، ( قل أعوذ برب  
 الناس ، ملك الناس ) ، ( قل اللهم مالك الملك .. ) (٢) الإحسان في العبادة : أن تعبد الله كأنك  
 تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك (٣) سورة المجادلة من الآية ٧

له ، ولا سجد إلا لله ، ولا طواف إلا حول الكعبة بيت الله ، ولا نذر إلا لله ،  
ولا حلف إلا بالله ولا خضوع ولا تذلل إلا لله .

والاستعانة : طلب المونة بعد بذل الوسع في العمل ، والأخذ في الأسباب ،  
والعاقل لا يطلب المونة إلا من القادر عليها ، والله - وحده هو القادر على كل شيء  
وقدرته شاملة كاملة ، لا يعجزه شيء ، ولا يخرج عن سلطانه شيء ، فهو الذي يهيئ  
الأسباب ، وهو الذي يزيل الموانع ، وهو الذي يعطي إن شاء ، ويمنع إن شاء .

والاستعانة أخت العباد ، فلا تكون إلا بالله « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا  
استعنت فاستعن بالله » ، وفي هذا معر بالمؤمنين عن مواطن التذلة والاحتياج لبشر  
أمثالهم ، أصحاب قوى مستعارة محدودة ، وهم في قوائم محتاجون كاحتياجهم ،  
مستعينون كاستماتتهم « إن الذين تدعون من دون الله عبادكم فأدعواهم  
فليسنجبوا لكم إن كنتم صادقين <sup>(١)</sup> » ، « والذين تدعون من دونه لا يستطيعون  
نصركم ولا أنفسهم ينصرون <sup>(٢)</sup> »

والتعاون بين الناس ليس استعانة بغير الله ، فقد أمرنا الله تعالى بالتعاون في آيات كثيرة :  
« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » فإن هذا التعاون  
في دائرة الحدود البشرية لا يخرج عنها . ولهذا لا يأمر الدين ولا يرضى بطلب المونة إلا  
من يملكها ، فلا يرضى بالتوجه في طلب الحاجات إلى الأموات ، ولا يرضى باستكشاف  
الغيب ممن يدعون علم الغيب ، ولا يجعل بين خلقه وبينه وسطاء في طلب المنفرة  
والرضوان .

هذا هو التوحيد الخالص ، وهو سبيل المؤمنين كما رسم الله ، فهو لاه الذين  
يستعينون بأصحاب الأضرحة والقبور في قضاء حوائجهم ، وتيسير أمورهم ، وشفاء  
أمراضهم ، ونماء حرثهم وزرعهم ، وهلاك أهدانهم ، وغير ذلك من المصالح - هم عن  
سبيل التوحيد نا كيون ، ومن ذكر الله معرضون ؟

هتتر أحمد حشاد

( يفتح )



سرور الفاتحة ، وقد كانت مأخوذة من القرآن الكريم .

- ٥ -

## بِسْمِ اِذَا الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ،  
إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط  
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

• — إياك نعبد وإياك نستعين :

عرفنا في العدد الماضي معنى العبادة ، ومعنى الاستعانة .

عبادة الله : هي الطاعة الخالصة له ، المبينة على حبه ، المتوادة على وجه يشد  
بمغتنبي الخضوع له .

والاستعانة بالله : طلب المعونة من الله بعد الأخذ في الأسباب ، فبمعنى  
التوكل على الله . والمعنى : نخصك وحدك - ياربنا - بالعبادة ، فلا نعبد أحداً غيرك ،  
كما نخصك بالاستعانة ، فلا نستعين إلا بك .

والدين كله يرجع إلى هذين المصنفين ، ولهذا قال بعض السلف : أرسل الله سر  
القرآن ، وسر الفاتحة هذه الآية ( إياك نعبد وإياك نستعين ) .

فمصر العبادة على الله تبرؤ من الشرك ، والاستعانة بالله وحده في كل الأمور تبرؤ  
من الحول (١) والقوة ، وتوحيص الأمر إلى الله عز وجل .

وقد جاء هذا المعنى في كثير من آيات القرآن الكريم ، قال تعالى : ( فاعبدوا

(١) الحول : الجيلة .



وتوكل عليه وماربك بغافل عما تعملون (١) «قل هو الرحمن آمناب» وعليه توكلنا (٢) «  
رب المشرق والمغرب ، لا إله إلا هو ، فآخذوه وكيلا (٣) » .

وباجتماع هاتين الكلمتين «إياك نعبد وإياك نستعين» بطن الشرك كله : شرك  
العبادة لغير الله ، وشرك الاستعانة والاستشفاع بما لم يأذن به الله .

وباجتماع هاتين الكلمتين بطلت العقائد المتطرفة كلها : بطلت عقيدة الجبر  
المحض الذي ينكر قدرتنا ومسؤوليتنا ، وبطلت عقيدة الاختيار المحض ، الذي  
يدعى الاستغناء عن معونة ربنا ، فنحن نعمل وتوكل ، نعبد ونستعين .

نعبد أولاً... ، ونستعين ثانياً... . تؤدى واجبنا أولاً ، ثم نسأل الله العون  
ثانياً... ألا فليستع أولئك الذين لا يزالون يطالبون بحقوقهم ، قبل أن يؤدوا  
واجباتهم... إنهم لم يتأدبوا بأدب القرآن... ألا فليصهحوا موقفهم من فاتحة  
الكتاب التي يرددونها في صلاتهم كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل .

وعنا نحب أن نتقف وقفة قصيرة عند هذه الآية الكريمة نجيب فيها عن  
أسئلة عدة :

— لم قدم العبادة على الاستعانة ؟ .

— لم انتقل من أسلوب التلبية في الآيات السابقة إلى أسلوب الخطاب في هذه  
الآية ، فقال : «إياك نعبد وإياك نستعين» وكان مقتضى السياق للسير على أسلوب  
واحد أن يقال : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياه نعبد  
وإياه نستعين ؟

— لم قال : «إياك نعبد وإياك نستعين» بدلا من نعبدك ونستعينك ؟ وما الفرق

بين الأصولين ؟

— لم قال : «إياك نعبد وإياك نستعين» بدلا من : إياك أعبد وإياك

أستعين ؟

(٢) سورة الملك : من الآية ٢٩

(١) سورة هود : من الآية الأخيرة ، آية ١٢٣

(٣) سورة المزمل : الآية ٩ .

ولعل فيا سبق - ما قدمت - ما يشعر بالإجابة عن بعض هذه الأسئلة الأربعة ،  
وإليك زيادة إيضاح في الإجابة عنها :

— إنما قدم العبادة على الاستماتة ؛ لأن العبادة وسيلة إعانة الله للمعبد ، والإماتة غاية  
للعبادة ، والرسيلة مقدمة على الغاية ، فقبل أن تسأل الله تعالى العون ، وقبل أن  
تدعوه - استجب له أولاً ، واعبده ، وتقرب إليه ؛ ليستجيب لك ، كما قال سبحانه :  
« وإذا سألتك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي  
وليؤمنوا بى لعلمهم بى وحدون<sup>(١)</sup> » فله عبادة لرب أرجى لإجابته للمعبد بالعون ، ولأن  
العبادة حق الله المعبود ، والمعونة سؤال الإنسان العابد ، والعبادة واجبة ، والمعونة  
غير واجبة ، فقدم الأهم الواجب على المهم غير الواجب .

— وأما تغير الأسلوب من الغيبة في الآيات السابقة « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن  
الرحيم ، مالك يوم الدين » إلى الخطاب في هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة  
« إياك نعبد وإياك نستعين . . » فإن في هذا التغير والانتقال إشارة لطيفة إلى ترقى  
الحامد كلما أتى على ربه ، وأخلص في مناجاته ، ووصفه بصفات الجلال والجمال من  
الألوهية ، والربوبية ، والرحمة والرحمانية ، والتفرد بالتصرف يوم الدين ، وانتقال من  
مقام الغيبة إلى مقام الحضور ، وذلك حال المصلى الذى يقرأ الفاتحة ، فإنه حين يدخل  
الصلاة يكون قريب عهد بما كان يشغله قبل الدخول فيها ، فإذا أقبل على ربه بتسميته ،  
وحمده ، والثناء عليه ، تاركاً شواغله - انتقل إلى مقام الإحسان في عبادته - وسر  
أن يعبد الله كأنه يراه - كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان الإحسان :  
« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » - فالتفت إليه شاكياً ،  
قائلاً له : « إياك نعبد وإياك نستعين » .

وأما تقديم المفعول ، وهو ( إياك ) على لفعل ، وهو ( نعبد ) في ( إياك نعبد )  
وتقدمه كذلك وتكراره في ( وإياك نستعين ) بدلاً من ( نعبدك ، ونستعينك )

(١) - سورة البقرة : الآية ١٨٦

فإن هذا التقديم لإفادة أن العبادة والاستعانة مقصورتان على الله وحده ، وتكرار  
« إياك » للاهتمام .

وذلك أن الأصل في المفعول أن يتأخر عن فعله ، وتقديم ما حقه التأخير يفيد  
القصر والحصر والاختصاص ، وهذا كالفرق بين قولك . « أحب خالداً » و « خالداً  
أحب » فإن « أحب خالداً » يفيد مجرد حبك إياه ، دون قصر هذا الحب عليه ، وأما  
« خالداً أحب » فإنه يفيد أمرين : حبك إياه ، وقصر حبك عليه .

— وأما قول العبد : « إياك نعبد وإياك نستعين » بدلاً من « إياك أعبد ، وإياك أستعين » ،  
فلأن المتكلم يرمي العالم كله من حوله ساجداً خاضعاً عابداً لله ، متقراً إليه « يسبح لله  
ما في السموات وما في الأرض <sup>(١)</sup> » « والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من  
دابة والانسكة <sup>(٢)</sup> » « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولكن زالنا إن  
أمسكهما من أحد من بعده <sup>(٣)</sup> »

#### ٦ — اهدنا الصراط المستقيم :

دعاء من المربوب إلى الرب أن يدهله على الصراط المستقيم ، ويرشده إليه ، ويوفقه  
له فإن الله وحده هو المانح للخير ، والهادي إلى الصراط القويم .  
و « اهد » فعل دعاء مأخوذ من ( الهدى ) أو ( الهداية ) .

والهدى ، والهداية يطلق كل منهما على مطلق الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب  
خيراً كان أو شراً ، ومنه قوله تعالى : « وعدناهم النجدين <sup>(٤)</sup> » أي بينا له الطريقتين :  
طريق الخير ليسلكه ، وطريق الشر ليجتنبه ، والهدى بهذا المعنى وصف القرآن  
السكريم بجمع الناس « شهر رمضان الذي أنزل فيه أنقرآن هدى للناس وبينات من  
الهدى والفرقان <sup>(٥)</sup> » ويشبوز إسماعه بهذا المعنى لكل من يرشد الناس ، ويدعو إلى

(١) من الآية الأولى من سورة الجمعة ، ومن سورة التين (٢) من الآية ٤٦ من سورة النحل

(٣) من الآية ٤١ من سورة فاطر . - (٤) آية ١٠ من سورة البقرة

(٥) من الآية ١٨٥ من سورة البقرة

الخير ، ويحذر الشر ، ووصفه بأنه هاد ، كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم :  
« وإِنَّكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »<sup>(١)</sup> ، وكما قال سبحانه : « وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ »<sup>(٢)</sup> .

والمعنى الثاني للهدى والهداية : الدلالة على الخير مع المعونة والتوفيق واتخاذ  
باليد للوصول إليه ، والهدى بهذا المعنى وصف القرآن للمعتقين خاصة ، ودون سائر الناس  
كما قال سبحانه : « ذَلِكَ الصِّدْقُ الَّذِي يَصْحَقُ بِهِ ، هَدَى الْمُتَّقِينَ »<sup>(٣)</sup> ، وهو بهذا المعنى يختص  
بالله تعالى لا يصح أن يوصف به غيره ، فالهدى هدى الله يؤتیه من يشاء ، ولذلك  
نفاه سبحانه عن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « إِنَّكَ لَأَهْدَى مِنْ أُجَيْبٍ »<sup>(٤)</sup> ،  
وهذا المعنى الثاني هو المراد في هذه الآية .

أما الصراط : فهو الطريق الذي يسلكه السائر إلى المقصود ، وهو نوعان : حسي  
ومعنوي ، فالطريق إلى منزلك حسي ، والطريق إلى الله معنوي ، وهو الطاعة .  
ووصف الطريق بالمستقيم ، للاحتراز عن الطريق المنحرفة المعوجة ، وهي  
طريق أهل الضلال والفساد .

ومعروف أن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتي المبتدأ والمنتهى ، وإذا  
كان المقصود للعباد في رحلة الحياة الدنيا هو الوصول إلى الله تعالى فإن أقرب الطرق  
إليه هو الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه . قال تعالى : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي  
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ »<sup>(٥)</sup> .

ففي وصف الصراط بالمستقيم إشارة لطيفة إلى أن سبيل الله هي أقرب الطرق إلى  
مرضاته تعالى ، وأما غيرها فإما أنها لا توصل إلى الله تعالى أصلا ، وهي صراط  
المفضوب عليهم والضالين ، وإما أنها توصل بهم بحنة العقاب ، وهي صراط العصاة  
من المؤمنين .

غفر الله له ولوالديه

( يتبع )

(٢) من الآية ٧ من سورة الرعد

(٥) من الآية ١٥٣ من سورة الأنعام .

(١) من الآية ٥٢ من سورة الكهف

(٣) الآية ٢ من سورة البقرة

(٤) من الآية ٦ من سورة القصص



سورة الفاتحة ، ومكانتها من القرآن الكريم

- ٦ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ،  
إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط  
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

٦ - اهدنا الصراط المستقيم :

بعد أن توجهنا إلى الله تعالى وحده بالعبادة : « إياك نعبد » وبعد أن توجهنا إليه سبحانه وحده بالاستعانة : « وإياك نستعين » يعلنا الله عز وجل أن أهم ما ينبغي أن نستعينه فيه - هو طلب الهداية والتوفيق إلى الصراط المستقيم ، طريق الحق والخير .

وقد ذكر كلام المفسرين في المراد بالصراط المستقيم الذي جعل الله طلب الهداية إليه - في هذه السورة - أول دعوة عليها الإنصاف .

وجامع القول (١) في ذلك : أن الصراط المستقيم هو جملة ما يوصل الناس إلى سعادة الدنيا والآخرة من عقائده ، وآداب وأحكام من جميع العلم والعمل ، وهو سبيل الإسلام الذي ختم الله به الرسالات السالوية ، وجعل القرآن دستوراً الشامل ، ووكلاً إلى محمد ﷺ تبليغه وبيانه .

الإسلام هو الصراط المستقيم :

وحسب القارئ في معرفة أن الإسلام هو الصراط المستقيم ، وأنه لذلك كان للشريعة الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان - أن يتتبع حالة العالم في عصوره المتتابعة قبله ، فإنه سيجد أن العالم كان يتردد بين طرفين من إفراط وتفريط ، وكان ذلك شأنه في كل شيء :

(١) الجامع لأقوال المفسرين ، الشامل لها ، ولكل نواحي الاستقامة .



في المعائد ، في الأخلاق ، في صلة الإنسان بالحياة ، في علاقة الفرد بالمجتمع ، في علاقة الأمم بعضها ببعض ، إلى غير ذلك من سائر الشؤون .

ولما كان العالم لا يصلح بالإفراط ولا بالتفريط — جاءت شريعة الإسلام وسطاً لا إفراط فيها ولا تفريط ، ووقعت أحكامها ومبادئها مهما تنوعت وتشعبت في هذه الدائرة التي رسمها كتاب الله عز وجل ، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً (١) ، ، وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (٢) ، .

فالإسلام في العقيدة وسط بين من ينكرون الإله الخالق ، ويدعون أن هذه الحياة الدنيا ليست إلا وليدة المصادفات ، والتفاعلات المادية ، ويقولون : ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نهلكنا إلا الدهر (٣) ، — وسط بين هؤلاء ، ومن يقولون بالتمدد ويتخذون مع الله أندادا .

يقرر الإسلام في صراحة وجلالة أن الله إله واحد ، وأنه وحده الخالق الرازق رب العالمين ، فهو المعبود بحق الذي لا يعبد سواه : *د قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد (٤) ، وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ، إنما هو إله واحد فإياي فارهبون (٥) ، ، د قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (٦) ،*

وهو في الأخلاق وسط بين الذين يتحللون من كل الفضائل والذين يشتطون في تصور لفضيلة ويتشددون فيها ، فالفضيلة في الإسلام وسط بين رذيلتين : الشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والاقتصاد وسط بين البخل والتبذير ، والتواضع وسط بين الاستكبار والاستخفاف ، والصبر وسط بين الجزع والاستكافة ، والتوكل على الله وسط بين التواكل (٧) والغرور ، وأساس ذلك قوله تعالى *د ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعمد ملوماً محسوراً (٨) ، ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم*

- 
- (١) من آية ١٤٣ من سورة البقرة (٢) من آية ١٥٢ من سورة الأنعام  
(٣) من آية ٢٤ من سورة الجاثية (٤) سورة الإخلاص  
(٥) آية ٥١ من سورة النحل (٦) آيتا ١٦٢ ١٦٣ من سورة الأنعام  
(٧) التواكل : ترك السعي والعمل وعدم الأخذ بالأسباب (٨) آية ٢٩ من سورة الإسراء

يفتروا ، وكان بين ذلك قواما (١) ، وقوله ﷺ لمن ترك نافته من غير قيد ، زاعما أنه  
في هذا ثقة بالله وتركها عليه : داعظها وتركها كل (٢) .

والإسلام في صلة الإنسان بالحياة وسط بين المادية البهتة ، التي لا تعرف شيئا وراء  
ما يقع عليه الحس من طعام وشراب ، ولذات وشهوات ، وغلبة وبطش ، وجمع الأموال  
وتكاثر وتفاخر — والروحية البهتة التي تزده في الحياة ، وتعرض عنها إعراضا تاما ،  
فلا زواج ، ولا سمى ولا عمل ، ولا كمن يتنزل مطلق (٣) وإهمال للأسباب . يقرر  
الإسلام في ذلك الوسط أيضا ؛ إذ يقول سبحانه : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة  
ولا تنس نصيبك من الدنيا (٤) ، ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من  
فضل الله (٥) ، دقل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق (٦) .

والإسلام في تحديد علاقة الفرد بالجماعة وسط أيضا ، لم يترك الفرد طليقا يفعل ما  
يهام ويترك ما يشاء ، كالوحش في الغلاة (٧) يجري ويعبث ، ويفترس ما يقدر عليه . . .  
ولم يبلغ شخصه ، بنفس استقلاله ، ولكنه اعتبره ذا شخصية مستقلة ، وفي الوقت نفسه  
اعتبره لبنة في بناء المجتمع ، فأثبت له — بالاعتبار الأول — حق الملكية لماله ودمه ،  
والحمية على نفسه وولده ، وممنحه في هذه الدائرة حق التصرف بما يراه خيرا له ، وسبيلا  
لسعادته ، وأوجب عليه — بالاعتبار الثاني — حقا في نفسه بالخروج للفرد والجهاد لرد  
العدوان عن الدين والوطن ، وحقا في ماله بالعدل والإنفاق في سبيل الله ، وأوجب عليه  
إرشاد الأمة ، وأمرها بالمعروف ونهيا عن المنكر .

(١) آية ٦٧ من سورة الفرقان .

(٢) اعظها : اربطها ، وفي الحديث ما يرشد إلى أن الأخذ بالأسباب واجب وأنه  
لا ينافي التوكل على الله .

(٣) التبتل المطلق : الانقطاع للعبادة وترك العمل .

(٤) من آية ٧٧ من سورة القصص .

(٥) من آية ١٠ من سورة الجمعة .

(٦) من آية ٢٧ من سورة الأعراف .

(٧) الغلاة : الصغراء .

وفي مقابل ما أوجبه الشريعة على الفرد للجماعة - قررت له حقوقاً على الجماعة وكففت له حفظ دمه وماله وعرضه ، وشرعت لحمايته حق التقصاص ، وحق الحد والتعزير ، وجعلت له حقا في أن يمينه بما لها إذا افتقر ، وبذلك تبادل الفرد والمجتمع الحقوق والواجبات .

ولا شك أن سعادة الحياة منوطه بالتعادل بين الجانبين ، وعدم طغيان أحدهما على الآخر : فلو ضن للفرد بنفسه أو ماله أو لسانه على المجتمع ساءت حالته ، وأدركه الضعف والانحلال ، ولو ضن المجتمع بقوته وماله على الفرد فلم يكفل له سعادته ولم يحفظه في ماله ونفسه وعرضه ، ولم يعنه في حال فقره أو ضعفه - لشقى الفرد ، وكان عرضة لهلاكه ، سويها أو ذاك تصعب الحياة عبثا ثقيل لا يحتمل ، بل جميعا لا يطاق .

والإسلام وسط أيضا في تحديد علاقة الأمة بغيرها من الأمم : لم يرض للسليين بحياة الضعف والذلة ، وأن يكونوا عزلا من القوة ينظرون حظمهم ، ويتربعون مصيرهم ، وما قرره الأمم الأخرى في شأنهم ، ولم يرض لحجم كذلك بحياة الظلم والاستبداد ، والفنك والضعفاء ، والاعتناء على الأمنين في أوطانهم وأموالهم ، ولكنه أشر المسلمين بالاستعداد والتفوق بالمدد والمدة : د وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وأمرهم أن يدعوا إلى الله بالحجة والبرهان ، لا بالإلجام والقمع ، لا لإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، (١) .

« أفأنت تذكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، (٢) .

وقد نظرت الشريعة الإسلامية إلى الحرب وأسبابها الداعية إليها والمفضية إلى شب نيرانها نظرة تفتق وغايتها من الصلاح العام ، والمساواة بين الناس ، والسير فيهم على سنن العدل والرحمة ، طعمت أسبابها في دائرة حقوقية ، تتناسب وكونها ضرورة من الضرورات ، هي دفع الظلم والعدوان ، وإقرار حرية الدين ، والدفاع عن الأوطان .

وإن القرآن الكريم يرشد إلى ذلك في عدة مواضع ؛ إذ يقول :

(١) من آية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٢) من آية ٩٩ من سورة يونس .

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » (١) .

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٢) .

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على تصرفهم لتقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » (٣) .

وأساس الدستور العام في ذلك هو قوله تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (٤) .

وقد أبحاث الشريعة الإسلامية للمسلمين أن يفتشوا ما شاءوا من العلاقات بينهم وبين الذين لم يعتدوا عليهم في الدين أو الوطن من كل ما يروته عوناً لهم على حياتهم في شؤون التجارة والصناعة والعلم والسياسة والثقافة ، ينظمون ذلك كله على الوجه الذي يتبين صلاحه ، والذي تقتضيه به سنن الاجتماع والقطرة ، والذي لا يتعارض مع دستورهم الخاص ، وقد أجازت الشريعة أن تصل هذه العلاقات إلى حد البر بهم والإحسان إليهم .

وأساس الدستور العام في ذلك هو قوله تعالى : « ولا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » (٥) .

هذا هو الصراط المستقيم ، والمبدأ الوسط ، الذي تدير عليه الشريعة الإسلامية في جميع أحكامها ، والذي صلحت به لكل زمان ومكان ، واستحقت به الخلود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

فالحمد لله الذي هدانا إليه صراطاً مستقيماً ، وجعلنا مسلمين ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

عتر أحمد حشاد

( يتبع )

(٢) آية ١٩٠ من سورة البقرة .

(٤) آية ٩ من سورة الممتحنة .

(١) من آية ٣٦ من سورة التوبة .

(٢) آية ٣٩ و ٤٠ من سورة الحج .

(٥) آية ٨ من سورة الممتحنة .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ،  
إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم : صراط  
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

٦ و ٧ - إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم

ولا الضالين :

أول دعوة علينا الله أن توجه بها إليه وحده - طلب الهداية إلى الصراط المستقيم ،  
صراط الذين أنعم الله عليهم ، غير المغضوب عليهم ، وغير الضالين .  
وقد وصف الصراط في الأول بالاستقامة ، فهو وصف ذاتي له ، ثم وصفه ثانياً وصفاً  
عرضياً باعتبار سالكيه . المستقيمين عليه ، الذين حازوا رضا الله ، وتجنبوا غضبه ،  
وحفظوا من الضلال ، وفي هذا من الإغراء به والإطعام فيه ما يدفع بالناس إلى تلبسه ،  
والاستقامة عليه .

والقرآن - بهذا - يجمع بين اتيم الذاتية واتييم العرضية  
للأخلاق والسلوك ، منهج القيم الذاتية الذي يخاطب الضمير ، يدعو إلى الفضيلة باسم الفضيلة ،  
مصوراً ما فيها من جمال واعتدال ، وينهى عن الرذيلة باسم الرذيلة مبيناً ما فيها من دنس  
وانحراف ، ومنهج التيم العرضية الذي يخاطب العاطفة ، يرغب في لفضيلة . وينفر من  
الرذيلة باسم المصلحة الحقيقية ، ويحكم لتنظر إلى عواقب الأمور وآثارها في العاجل والآجل  
ويضرب لذلك الأمثال الكثيرة . ويقص من أجل ذلك تسير آثار تاريخية في مختلف العصور .  
والمجيب من شأن سورة الفاتحة أنها على فرط إيجازها قد انتظمت المنهجين جميعاً في  
كلمتين ، ذلك أنها حين حبت إلينا طريق لفضيلة بينت لنا أولاً قيمته الذاتية ، فوصفت  
بالاعتدال والاستقامة : والصراط المستقيم ، ثم بينت ما في اتباعه من نفع وهدى :

فروفته بأنه الطريق الموصل إلى رضوان الله ونعمته ، وأشارت في الوقت نفسه إلى مثل  
التاريخية في سيرة أهله الذين نصبوا أنفسهم للقدوة الحسنة وصرط الدين أنعمت عليهم ،  
من المؤمنين والصدقين والشهداء والصالحين ... ثم لم تكف بذلك ، بل وضعت ميساراً  
لأنواع الطرق المنحرفة ، فبينت أن الانحراف على ضربين : انحراف عن قصد وعلم ،  
حناداً واستكباراً ، واتباعاً للهوى ، وهذا هو طريق المغضوب عليهم ، الذين رأوا  
سبيل الرشد فلم يتخذوه سبيلاً ، ورأوا سبيل لقي فاتخذوه سبيلاً ، وانحراف عن جهل  
وطيش . وهذا هو طريق الضالين ، الذين لا يتوقفون عند الشك ، بل يقفون ما ليس  
لهم به علم ، فيخبطون خبط عشواء . دون تثبت ولا تبصر .

لا ريب أن كلا الضربين مذموم ، وإن كان بعضهما أسوأ من بعض : للعالم المنحرف  
مأزور ، والجاهل المنحرف غير معذور ، والعالم المستقيم هو المبرور المأجور .

هذه المشارب الثلاثة تجد دائماً أمثاتها في الناس ، لا في الخلق والسلوك غيب ، بل في  
كل شأن من الشئون : في الاعتقاد والرأي والتعليم والإخبار ، والفتيا ، والحكم والقضاء ،  
وهكذا جاء في الحكمة النبوية : قاض في الجنة ، وقاضيان في النار : فالقاضي الذي في الجنة  
رجل عرف الحق ففضى به ، والأذان في النار رجل عرف الحق ففضى بخلافه ، ورجل قضى  
لناس على جهل .

وهذه الفرق الثلاث التي افرقت إليها الناس في كل زمان ومكان أمام الصراط المستقيم :  
فريق الذين أنعم الله عليهم ، وفريق المغضوب عليهم ، وفريق الضالين ذكرتهم سورة  
الفاحة إجمالاً في آخرها . وقد جاء بيانهم تفصيلاً في أول سورة البقرة التي تلي سورة الفاتحة  
في ترتيب المصحف .

فالصنف الأول : المؤمنون المتقون الذين اهتدوا بالقرآن الكريم ، وهم الذين يؤمنون  
بالنبي ، ويعيمون للصلاة ، ومارزقهم الله ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إلى الرسول  
صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل من قبله ، وبالأخرة هم يوقنون ، وهؤلاء الذين أنعم الله  
عليهم ورضى عنهم .

والصنف الثاني : الكافرون : وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم  
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم ، وهؤلاء هم  
المغضوب عليهم .

والصنف الثالث : المنافقون الجارون ، المترددون بين إيمانهم الظاهر وكفرهم الباطن ،

« مدد بين بيت دمت لى دى دى هوى » ، « فى ديوبهم مرض فزادهم الله مرضاً -  
ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون » ، « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى  
شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، والله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ،  
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، وهؤلاء هم  
الضالون المتحيرون .

فالعلم بالحق العامل به هو المنعم عليه . وهو الذى زكى نفسه بالعلم النافع ، والعمل  
الصالح ، وهو المفلح ، قد أفلح من زكاهما ،  
والعالم به المتبع هواه هو المضرب عليه .  
والجاهل بالحق المنحرف عنه هو الضال .

والمضرب عليه ضال عن هداية العمل ، والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب  
للعمل ، فكل منهما ضال . مغضوب عليه ، ولكن ترك العمل بالحق بعد معرفته به أولى  
بوصف الغضب وأحق به . ومن هنا كان اليهود أحق به ، وهو متفاظ في حقهم ، كقوله  
تعالى في حقهم : ( بعدما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من  
فضله على من يشاء من عباده ، فبادوا بغضب على غضب (١) ) وقال تعالى : ( قل هل أنبئكم  
بشر من ذلك مشوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد  
الطاغوت و أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل (٢) ) .

والجاهل بالحق أحق باسم الضلال . ومن هنا وصفت النصارى به في قوله تعالى :  
( قل يا أهل الكتاب لا تغفروا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل  
وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل (٣) )

وفى الترمذى ، وصحيح ابن حبان من حديث عدى بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « اليهود منضوت عليهم ، والنصارى ضالون ،  
إسناد النعمة إلى الله ، دون الغضب ، ودون الإضلال :

لم أسند الإنعام إلى الله فى قوله سبحانه : ( صراط الذين أنعمت عليهم ) ولم يسند  
الغضب إلى الله فى قوله ، ( غير المضروب عليهم ) ولم يسند الإضلال كذلك إلى الله فى قوله  
( ولا الضالين ) مع أن الله قد غضب عليهم ، وأضلهم ؟

(١) من آية ٩٠ من سورة البقرة (٢) آية ٦٠ من سورة المائدة .  
(٣) آية ٧٧ من سورة المائدة .

لأنما أضاف النعمة إليه ، وحذف فاعل الغضب والإضلال لوجوه منها :

١ — أن النعمة هي الخير والفضل ، والغضب من باب الانتقام والعدل ، والرحمة تغلب الغضب ، فأضاف إلى نفسه أكل الأمرين وأسبغهما وأقوامهما ، وهذه طريقة القرآن في إسناد الخيرات والنعمة إليه ، وحذف الفاعل في مقابلتهما ، كقول مؤمن الجن : ( وأنا لاندري : أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم وشدا (١) )

ومن قول الحضرة (٢) في غرق السفينة ( فأردت أن أعيبها (٣) ) ، وفي شأن الجسدان واليتيمين : ( فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما ويستخرجا كنزهما (٤) )

٢ — أن الله سبحانه هو المنعم ، المنفرد بالإتمام ( وما بكم من نعمة فمن الله (٥) ) فأضيف إليه ما هو منفرد به ، وإن أضيف الإتمام إلى غير الله فلكونه طريقا ومجرى للنعمة .

وأما الغضب على أعدائه فلا يختص بالله وحده ، بل ملائكته وأنبياؤه ورسله وأولياؤه يفتضون لغضبه .

٣ — أن في حذف فاعل الغضب من الإشارات باهانة المغضوب عليه ، وتحقيره ، وتصغير شأنه ما ليس في ذكر فاعل النعمة من إكرام المنعم عليه والإشادة بذكره ورفع قدره . فإذا رأيت من قد أكرمه ملك وشرفه ورفع قدره ، فقلت : هذا الذي أكرمه السلطان ، وخلع عليه ، وأعطاه ما تمناه - كان أبلغ في الثناء من قولك : هذا الذي أكرمه وخلع عليه ، وشرف ، وأعطى .

تخصيص أهل العرط المستقيم بالنعمة :

النعمة المطلقة : نعمة الاصطفاء والاجتناب خاصة بالمؤمنين المتقين ، وأما مطلق النعمة فقد تفضل الله بها على الناس جميعاً : مؤمنهم وكافرهم ، فكل الخلق في نعمة ، فالنعمة المطلقة المرجوة للفلاح الدائم لأهل الإيمان والتقوى وحدهم . ومطلق النعمة تكون للمؤمن والكافر ، كما قال سبحانه : ( وإن تمدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفار (٦) ) والنعمة من جنس الإحسان ، بل هي الإحسان ، والرب تعالى إحسانه على البر والفاجر والمؤمن والكافر ، وأما الإحسان المطلق : فللذين اتقوا والذين هم محسنون . وهذا فصل النزاع في مسألة : هل لله على الكافرين من نعمة أم لا ؟ ( يتبع )

(١) آية ١٠ من سورة الجن (٧) وهو العبد المذكور في قصة موسى وقتله من سورة الكهف من آية ٦٠ إلى ٨٢ (٣) من آية ٧٩ من سورة الكهف (٤) من آية ٨٢ من سورة الكهف (٥) من آية ٥٣ من سورة النحل (٦) من آية ٣٤ من سورة إبراهيم .



## سورة الفاتحة ، ومكانتها من القرآن الكريم.

- ٨ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ،  
إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط  
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

٧ - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين :

عرفنا - في العدد السابق - أن الناس في كل زمان ومكان أمام الصراط المستقيم يفترون  
إلى فرق ثلاث : فريق د الذين أنعم الله تعالى عليهم ، بالهداية والرضا من النبيين والصدقيين  
والشهداء والمصلحين ، فزموه ، وفريق د المغضوب عليهم ، الذين ضلوا على علم : رأوا سبيل  
الرشد فلم يتخذوه سبيلا ، ورأوا سبيل الغي فآخذوه سبيلا ، وفريق د الضالين ، الذين  
انحرفوا عن طريق الحق عن جهل وطيش .  
وقد عدنا الله سبحانه أن تتوجه إليه وحده نسأله الهداية ، ونستعينه ونستهديه سبيل  
الحق والخير ، وندعوه أن يجنبنا غضبه ، ويحفظنا من الضلال .

كما عرفنا أن هذه الفرق الثلاث التي ختمت بها سورة الفاتحة ، وذكرتها إجمالا - هي  
ثلاث فرق الثلاث التي يفتت سورة البقرة - بعدها - تفصيلا ، وأن الذين أنعم الله تعالى عليهم  
( في سورة الفاتحة ) هم المتقون ( في سورة البقرة ) (١) وهم الذين اتصفوا بالإيمان والعمل  
الصالح فكانوا أهلا للاهتمام بالقرآن ، وكانوا هم المفلحين .

وأن المغضوب عليهم ( في سورة الفاتحة ) هم الكافرون ( في سورة البقرة ) (٢) وهم  
الذين عرفوا الحق ، وجحدوا به عنادا واستكبارا ، فغوا عليهم د أأنذرتهم أم لم تنذرهم

(١) تحدث عنهم سورة البقرة ، فبينت صفاتهم وجزاءهم في آيات أربع : من الآية الثانية إلى الآية الخامسة

(٢) تحدث عنهم سورة البقرة ، فبينت صفاتهم - كذلك - وجزاءهم في آيتين اثنتين : الآية

الخامسة والسابعة .

لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم ،  
والضالون ( في سورة الفاتحة ) هم المنافقون ( في سورة البقرة ) (١) الذين يظهرون  
بالسنتهم الإيمان ، ويبتغون في قلوبهم الكفر في خداع وغرور ، وجبن وتلون .

### السبب والجزاء للطوائف الثلاثة :

وما تجدر ملاحظته أن سورة الفاتحة في هذه الآية الأخيرة منها - قد ذكرت السبب  
والجزاء لكل طائفة من الطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصر :

فالإنعام عليهم يتضمن إنعام الله تعالى بالهداية التي هي العلم النافع ، والعمل الصالح ،  
وهي الهدى ودين الحق ، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء ، فهذا تمام النعمة ،  
ولفظ « أنعمت عليهم » يتضمن الأمرين جميعاً .

وذكر غضبه على المفضوب عليهم يتضمن أمرين أيضاً : الجزاء بالفضب الذي يوجب  
غاية العذاب والهوان ، والسبب الذي استحقوا به غضبه سبحانه ، وهو ضلالهم ، فإنه  
أرحم وأرف من أن يفضب بلا جناية منهم ولا ضلال ، فكان الغضب عليهم مستلزم  
لضلالهم .

وذكر الضالين ، مستلزم لغضبه عليهم ، وعقابه لهم ، فإن من ضل استحق العقوبة  
التي هي موجب ضلاله ، واستحق غضب الله عليه .

ومن هذا يتبين أن وصف كل واحد من الطوائف الثلاث استلزم السبب والجزاء أي  
استلزام ، واقتضاه أكل اقتضاء في غاية الإيجاز والبيان والشماعة ، مع ذكر الفاعل في  
أهل السعادة ، وحذفه في أهل الغضب ، وإسناد الفعل إلى السبب في أهل الضلالة (٢) .

### التأمين :

يستحب لمن قرأ الفاتحة - في الصلاة أو سواها - أن يقول بعدما : ( آمين ) (٣) بعد  
الحمزة ، ويقال : « آمين » بالقصر أيضاً ، ومضاه : اللهم استجب ، وعن ابن عباس قال :

(١) تحدث سورة البقرة عنهم ، وبينت صفاتهم وجزاءهم في ثلاث عشرة آية : من الآية الثامنة إلى

الآية العشرين .

(٢) راجع ما ذكره بالتفصيل في ص ٢٣ من العدد السابق .

(٣) راجع ص ٨ من العدد الأول ، من المجلد الثاني من مجلة التوحيد ( المحرم سنة ١٣٩٤ هـ )

قلت : يا رسول الله ، ما معنى آمين ؟ قال : رب افعل ، ولمسلم : أن رسول الله ﷺ قال :  
 « إذا قال أحدكم في الصلاة : آمين ، والملائكة في السماء : آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى  
 غفر له ما تقدم من ذنبه ، وقد قال ﷺ : « عدني جبريل آمين عند فراغي من قراءة  
 الفاتحة ، وقال : « إنه كالتخم على الكتاب ، .  
 ويجهر بالتأمين في الصلاة الجهرية ، ويسر به في السرية .

### خاتمة :

وبعد ، فهذه هي سورة الفاتحة ألقينا عليها نظرة في موادها ومقاصدها ، مقارنة بمواد  
 القرآن ومقاصده .

وبقيت نظرة أخرى سريعة ، نقارن فيها بين أسلوب الخطاب في الفاتحة ، وأسلوب  
 الخطاب في القرآن ...

ماذا نرى في هذين الأسلوبين ؟

نرى اتجاهين مختلفين تمام الاختلاف :

فسورة الفاتحة هي السورة الوحيدة التي وضعت على لسان المؤمنين يتجهون بها إلى الله  
 وحده ، وسائر السور تعبر عن الحركة المقابلة ، حركة الروح المرسل من السماء إلى الأرض  
 وهكذا حين ننظر إلى القرآن في جملة نراه يتمثل أمامنا في صورة مناجاة ثنائية ، الفاتحة  
 أحد طرفيها ، وسائر القرآن طرفها الآخر ؛ الفاتحة سؤال ، وباقي القرآن جواب ، الفاتحة  
 هي طلب الهدى ، والباقي هو الهدى المطلوب .

فلننظر هذه النظرة إلى نهايتها ، فإنها ستعود إلينا بحصيلة ثمينة من العبر النفيسة :

أول ما نلتقطه من هذه العبر أن القرآن ( وهو دستور الإسلام ) لو جاءنا بدون الفاتحة  
 لكان دستوراً وافداً على الأمة ، طارثاً عليها ، يمرض نفسه عليها عرضاً ، أو يفرض  
 عليها فرضاً ، أو يمنح لها منحة ... فليكن .. مع ذلك حقاً كله ، وخيراً كله ، وهدى كله ،  
 لكنه لو لم تطلبه الأمة ، ولو لم تعلن حاجتها إليه لكان لها أن تستقبله كما تستقبل البضاعة  
 المعروضة بغير طلب ، وأن تقول له زاهدة فيه : لا حاجة بي إليك . أما الآن فالمرء  
 يختلف كل الاختلاف .. إن موقع الفاتحة هنا موقع القرار الجماعي الذي تعلن به الأمة  
 للمروسة حاجتها إلى هذا الدستور ، وتؤكد مطالبها به ، وإن موقع القرآن كله بعد الفاتحة

هو موقع القبول والاستجابة لهذا المطلب . فما هو إلا أن أعان المؤمنون مطلبهم هذا قائلين  
 « اهدنا الصراط المستقيم » ، وإذا بالقرآن يرف إليهم هديته وهدايته قائلاً لهم : دونكم  
 الهدى الذي تطلبونه ، فكانت أول كلمة في القرآن بعد الفاتحة هي : « ذلك الكتاب لا ريب  
 فيه هدى للنتين ، وهكذا جاءهم على تهطش وظمأ ، فكان أنقع لغاتهم ، وكان أكرم في  
 نفسه وعلى الناس من أن يمرض للمرضين عنه ، أو أن يلزم من هم له كارهون ، وكان  
 فوق ذلك كله أقطع لحججهم ومعاذيرهم في إعماله ونسيانته لو أهملوه أو نسوه فيما بعد ،  
 ذلك أنه لم يلزمهم إلا بما التزموا ، ولم يجتهم إلا بما طلبوا . وخير الدساتير ما كان تابعاً  
 من حاجة الأمة ، وكان تحقيقاً عربياً لمطامعها الرشيدة .

وهكذا - بهاتين النظيرتين - نرى أن هذه السورة الكريمة - سورة الفاتحة - جوهرية  
 القرآن ونواته ، وأب لبابه ، فيسبح بحق دام القرآن ، ودام الكتاب ، جديرة بالتلاوة ،  
 صباح مساء ، وعند أداء الصلوات ، وفي كل وقت ومكان .

يقروها المسلم ، فيبتدىء بحمد الله ، مصترفاً بربوبيته ، مقرأً بزمته ورحمته ، مشياً عليه  
 بمظنته وقدرته ، اخذ الله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، متوجهاً إليه  
 - وحده - بمباديته ، متبرئاً من حوله وقوته إلى حول الله وقوته « إياك نعبد وإياك نستعين » ،  
 ثم يسأله أن يهديه الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم بالهدى ورحمن الثواب ،  
 وأن يجنبه طريق المفضوب عليهم ، وطريق من غفلوا « اهدنا الصراط المستقيم » ، صراط  
 الذين أنعمت عليهم غير المفضوب عليهم ولا الضالين .

عثر أحمد حشاد

## ( الوصايا )

بقية المنشور على صفحة ١١

« لانضموا كتاب الله إلا موضعه »  
 ورأى عمر بن العزيز ابناً له يكتب  
 القرآن على حائط فضربه وقد ذكر القرطبي  
 في الأدب مع القرآن الكريم :  
 ألا يكتب على الأرض وعلى حائط  
 كما يفعل في المساجد المحدثه فكيف يوضع  
 المصحف في القبر والتبر ليس مكاناً صالحاً  
 لأن توضع فيه المصاحف وكيف يجوز  
 فعل هذا وهو لا يشتر نعماً لأحد ؟

من علم به علمه سهل ومن قال به صدق  
 ومن حكم به عدل . ومن حمل به أجر .  
 ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ،  
 أما كون المصحف يوضع في مكان للتبرك  
 به فذلك خارج مقتضى ما جاء له القرآن  
 ولم يرف ذلك عن السلف الصالح روى  
 ابن المبارك بسنده إلى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أنه قال :



بقلم

عنتر أصمير مشار

## ٢ - «سورة البقرة»

عرض وتفسير

- ١ -



(١) بين يدي السورة :

سورة البقرة هي السورة الثانية من سور القرآن الكريم بعد فاتحة الكتاب بحسب ترتيب المصحف .

وسميت سورة البقرة ؛ لأنها انفردت بذكر حادثة قتل وقعت في بني إسرائيل هي عهد موسى عليه السلام ، وكان للبقرة - وهي الحيوان المعروف الذي اتخذته بنو إسرائيل إلهاً في وقت ما يعبدونه من دون الله - شأن إلهي عجيب في هذه الحادثة :

وقعت الجناية ، وقُتل الثقل ، واختلف أهل الحي - الذي لوئمت أرضه بدم الجناية - في القاتل : من هو؟ وأخذ كل يدافع الجناية عن نفسه ويتهم بها غيره ، وفيهم من يعلم عين الجاني ويكتم أمره « وإذ قتلتم نفساً فادّار آتم فيها<sup>(١)</sup> » والله يُخرج ما كنتم تكتمون<sup>(٢)</sup> » وترافع النوم إلى موسى عليه السلام ليحكم في هذه الجناية التي خفي مرتكبها ، فأمرهم صلوات الله وسلامه عليه عن ربه جل وعلا أن يذبحوا بقرة ، وأن يضربوا الثقل ببعضها فيجها بإذن الله ، ويخبر بقائه ، ولما طبع عليه بنو إسرائيل من العناد في تنفيذ

(١) إدار آتم فيها : تخاصمتم ، أو تدافعتم في شأن هذه النفس التي قتلت ، فألقى كل منكم تهمة القتل على الآخر . (٢) مخرج ما كنتم تكتمون : مظهر ما كنتمون ، ببيان القاتل .

الأوامر وقفوا كالساخرين الهازئين من الأمر بذبح البقرة في هذا المقام ، حتى انذ قالوا لموسى : « أتخذنا هزواً <sup>(١)</sup> ؟ » وما كان نبي الله أن يسخر أو يهزأ ، ولكنها القلوب الملتوية تنصرف عن الحق وتعاند في قبوله ، فسألوا عن البقرة ، قالوا : « ادع لنا ربك يبين لنا ما هي » « ادع لنا ربك يبين لنا ما لوئها » « ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا » أكثروا من السؤال ، وشددوا على أنفسهم فشد الله عليهم جزاء نطقهم وتلكهم في تنفيذ الأمر ، شأنه مع كل متشدد متقطع ، وجددها لهم في دائرة ضيقة من السن ، واللون ، والعمل : « إنها بقرة لا قارض <sup>(٢)</sup> ولا بكر <sup>(٣)</sup> عوان <sup>(٤)</sup> بين ذلك » « إنها بقرة صفراء فاقع لونها <sup>(٥)</sup> تسر الناظرين » « إنها بقرة لاذلول <sup>(٦)</sup> تثير الأرض <sup>(٧)</sup> ولا تسقى الحرث <sup>(٨)</sup> مسلمة <sup>(٩)</sup> لاشية <sup>(١٠)</sup> فيها » وأخيراً وبعد حيرة ومشقة عثروا عليها « فذبحوها وما كادوا يفعلون <sup>(١١)</sup> » ثم ضربوا النقتيل بجزء منها ، فأحياه الله ، وأنبأهم بالحرم الجاني « كذلك يحيي الله الموتى ويربكم آياته لعلكم تعقلون » .

انفردت هذه السورة بذكر تلك القصة <sup>(١٢)</sup> ، ومن أجلها سميت « سورة البقرة » .

(١) أتخذنا هزواً : أهزأ بنا ، ونسخر منا ؟ (٢) قارض : هزيمة مسنة (٣) بكر : فتية صغيرة لم ياحقها الفحل (٤) عوان : نصف بين السنين ؛ نليت مسنة ، ولا فتية ، وإنا هي وسط . (٥) فاقع لونها : شديد الصفرة (٦) لاذلول : ليست مذلة بالعمل ، ولا متمرنة عليه . (٧) تثير الأرض : لا تثيرها ، وإثارة الأرض : حرثها وقليها للزراعة (٨) ولا تسقى الحرث : لا تسقى الزرع ، والحرث : للزرع من نبات وشجر ، أو هو الأرض الهبأة للزراعة ، وللعنى : أن هذه البقرة التي أمروا بذبحها لا تستطيع حرث الأرض ، ولا تسقىها ؛ لأنها لم تدرب على العمل (٩) مسلمة : لا عيب فيها (١٠) لاشية فيها : ليس فيها بقعة من لون آخر يخالف لونها الملام وهو للصفرة . (١١) وما كادوا يفعلون : وما قربوا من أن يذبحوها لعنادهم ، أو لغلاء ثمنها ، أو خوف الفضيحة بعمرنة الجاني ، أو لمبادتهم البقر ، وعدم ذبحه ، والامتناع عن أكله .

(١٢) اقرأ هذه القصة في الآيات من قوله تعالى : « وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » الآية ٦٧ - إلى قوله تعالى : « كذلك يحيي الله الموتى ويربكم آياته لعلكم تعقلون » الآية ٧٣ ، وإن شاء الله سأشرحها بالتفصيل في المقالات الآتية .

وهي أطول سورة في القرآن الكريم ، فقد استغرقت جزعين ونصف جزء من ثلاثين جزءاً قسم إليها القرآن ، وآياتها ٢٨٦ ست وثمانون ومائتا آية ، وهي من أوائل ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ؛ ونزلوها بعد الهجرة بعد سورة مدنية<sup>(١)</sup> .

### (ب) مقاصد السورة :

بهجرة المسلمين من مكة إلى المدينة أصبح لهم جوار في المدينة وفيما حولها غير جوارهم في مكة : جاؤوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى بعد جوارهم للمشركين في مكة قبل الهجرة .

وبهجرةهم - كذلك - تركوا جماعة مستقلة لأول دخولهم المدينة ، فبنى النبي صلى الله عليه وسلم مسجده ، ليؤدي فيه مع المؤمنين الصلوات المفروضة ، وليسكون بثابة ندوة جامعة لهم ، فيها يتعلمون ، وفيها يقشاورون ، وفيها يتعاضدون ، وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، وصاروا جهة واحدة تؤمن بالله ، وتدعو إلى الخير والفضيلة ، وتحتاج إلى تشريع ينظم به شئونها .

وبهذين الأمرين : جوار أهل الكتاب من اليهود والنصارى للمسلمين ، وتركز المسلمين جماعة مستقلة لأول دخولهم المدينة ، واحتياجهم إلى تشريع ينظم شئونهم - نجد سورة البقرة - وهي من أوائل ما نزل من القرآن بعد الهجرة - نجدها من أجمع سور القرآن اشتمالا على أصول العقيدة ، وعلى كثير من أدلة التوحيد ، ونجدها - كذلك - من أكثر السور اشتمالا على تشريع الأحكام العملية ، ونجد أنها تستهدف في جلها - غرضين

---

(١) ارجع إلى ص ٦٠٥ من عدد المحرم ١٣٩٤ هـ من مجلة التوحيد ، لتعرف المسكى والمدنى من القرآن الكريم .

أساسيين ، وتفيض فيهما ، وهما<sup>(١)</sup> :

توجيه الدعوة إلى بنى إسرائيل ، ومناقشتهم فيما كانوا يثيرونه حول الرسالة الحميدة من تشكيك وشبه ، وفي سبيل ذلك أخذت تذكرهم بنعم الله على أسلافهم ، ومعونتهم في الشدائد والأزمات ، وبما اتقاه هؤلاء الأسلاف حينما التفتت عقولهم عن تلقى دعوة الحق من أنبيائهم السابقين ، وارتكبوا ما ارتكبوا من صنوف العناد والتكذيب والمخالفة ، وقد استفرق هذا الفرض نصف السورة تقريبا من قوله تعالى : « يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوفى بعهدىكم وإياى فارهبون » الآية ٤٠ - إلى قوله تعالى فى آية البر : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ... » الآية ١٧٧ .

وهذا هو الفرض الأول الذى استدعاه جوار المسلمين لأهل الكتاب .

أما الفرض الثانى فهو التشريع الذى اقتضاه تكوّن المسلمين جماعة متميزة عن غيرها ، عباداتها ، ومعاملاتها ، وعباداتها .

وقد ذكرت السورة من ذلك فى نصفها الأخير أحكام القصاص فى القتل العمد العدوان ، الرصية ، والصيام ، والدعاء ، الاعتكاف ، وحذرت من أكل أموال الناس بالباطل ، وذكرت الأهلة وارتفاع الناس بها فى توقيت مباداتهم ، وأمور دينهم ، وذكرت القتال وسببه الذى يدعو إليه ، وغابته التى يقضى إليها ، وذكرت الحج والعمرة ، والإفناق ، وذكرت الخمر ، والميسر ، واليتامى ، وحكم مصاعرة الشركين بنكاح المشركات ، أو إنكاح المشركين ، وذكرت حيض النساء والتطهر منه ، والأيمان والحنث فيها ، وحافظت على طهارة الأنساب ببيان أحكام

---

(١) أرغب إلى القارىء الكريم أن يكون المصحف بين يديه ، ويقرأ السورة الكريمة ؛ ليلم بهذه الموضوعات إجمالا ، وسنمود إليها شئ من البسط والتفصيل فى المقالات الآتية إن شاء الله .



الطلاق ، والعدة ، والخلع ، والرضاع ، وذكرت إلى جوار الإنفاق وآدابه أحكام الربا والبيع ، وطرق الاستيثاق في الديون بالكتابة والاستشهاد والرهن .

ويبدأ هذا السياق من قوله تعالى بعد آية البر : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى » الآية ١٧٨ ، إلى « . . والله على كل شيء قدير » الآية ٢٨٤ ، ويتخلل كل ذلك - على طريقة القرآن - ما يدعو المؤمنين إلى التزام هذه الأحكام ، وعدم الاعتداء فيها ، من قصص ، ووعد ، ووعيد ، وأمر بالتقوى ، وتذكير باليوم الآخر ، وإرشاد إلى سنن الله في الكون والجماعات .

ثم تختم السورة ببيان عقيدة المؤمنين على نحو مبادئ في بيان أوصاف المتقين : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا ، وإليك المصير » الآية ٢٨٥

وبذلك يؤكد آخر السورة أولها ، ويؤسس أولها لآخرها ، ويتلاقى البدء والختام في تناسق وانسجام ، وتصير السورة كتلة واحدة ، ينفع بها المسلمون الذين يهتدون بالكتابات بفرضها الأول في معاملة من يخاطبون من أهل الملل الأخرى ، وينتفعون بالفرض الآخر في تنظيم أحوالهم : في عباداتهم ، ومعاملاتهم .

ثم يكون الختام الأخير تعليم المؤمنين دعاء من شأنه أن يفرس في نفوسهم سنة الله في التشريع لهم ، وبناء أحكامه وتكاليفه على اليسر والوسع ودفع الحرج ، ومن شأنه متى أخلصوا فيه أن يأخذ بأيديهم إلى حياة سعيدة سهلة ميسرة ، وييسر لهم وسائل المغفرة والنصرة « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا<sup>(١)</sup> كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

(١) الإصر : الحمل الثقيل ، والمراد : النكاليف الشاقة ، وقد أشارت إلى ذلك آية ١٥٧ من سورة الأعراف .

## ٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ٢ -

بقلم

عتر أحمد حشاد



(ج) عرض عام للسورة :

لعل من حق السورة علينا أن نقدم - بين يدي تفسيرنا لها - بهذا العرض الجمل لما تضمنته من حديث عن القرآن الكريم، وأنه الهدى الذي لا شك فيه، ومن تفصيل أحوال الناس أمام الإيمان به، والانتفاع بهداه، وانفت أنظار الناس إلى آثار رحمة الله وقدرته، ودعوتهم جميعاً إلى الإيمان به، وعبادته وحده، والإيمان بالقرآن المعجز، وتخويفهم من أليم عذابه وإطاعهم في جزيل ثوابه، وطريقة القرآن الكريم في هداية الناس، وضرب الأمثال، وقصة استخلاف آدم في الأرض، ودعوة بنى إسرائيل خاصة إلى الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وهم أكثر الأمم نماء، وأشد م عصباناً، وتفنيدهما آثاروه من شبه وشكوك حول الرسالة المحمدية حسداً من عند أنفسهم، والتئيس من إيمانهم، وما اشتملت عليه السورة من أصول العقيدة، وتشريع الأحكام العمالية في العبادات والمعاملات . . . فماذا في هذه السورة : سورة البقرة ؟ .

إليك أيها القارىء ما تضمنته هذه السورة من موضوعات (١) :

(١) أكرر ما سبق أن أوصيت به القارىء بضرورة متابعة هذه الموضوعات في المصحف؛ ليلم بها إجمالاً .

١ - التنويه بشأن الكتاب العزيز؛ فهو الهدى، وهو أصل التشريع السماوى، والقانون الإسلامى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » .

٢ - بيان طوائف الناس الثلاثة: المتقين، والكافرين، والمنافقين، وموقفهم من الإيمان بهذا الكتاب، والاتقاع بهداه، وتفصيل صفات كل طائفة، وجزائها، وضرب الأمثال للمنافقين ليزيد حالهم وضوحاً<sup>(١)</sup> .

٣ - تذكير الناس ب نعم الله تعالى عليهم فى الخلق والرزق، ولقت أنظارهم إلى آثار رحمة وتدرته، ودعوتهم جميعاً إلى عبادته وحده، وعدم الإشراف به، وإلى الإيمان بالقرآن المعجز، وتخويفهم من أليم عذابه، وشديد عقابه، وإطعامهم فيما أعداه للمؤمنين من جزيل ثوابه<sup>(٢)</sup> .

٤ - الحديث عن الأمثال التى يضرها الله فى القرآن، وطريقة القرآن فى هدايته، وبيان الحقائق: حلوها ومرها، واضعاً كل شىء فى موضعه، مسمياً له باسمه، لا يبالى أن يتناول فى بيانه جلائل الأمور أو محقراتها، وبيان موقف المؤمنين والكافرين من هذه الأمثال، والتعجيب من كفر الكافرين، مع وضوح دلائل التوحيد فى أنفسهم وفى الآفاق<sup>(٣)</sup> .

٥ - قصة استخلاف آدم وذريته فى الأرض وإبثار النوع البشرى بفضيلة العلم، وما نشأ عن هذا التفضيل والتكريم من حسد إبليس وعداوته القديمة للإنسان الأول. ومخادعته إياه بوساوسه، وما انتهى إليه أمر الخادع والخدوع من ابتلاهما وابتلاء ذريتهما بالكاليف، وهاجبة المهتدين، ونهاية الكافرين المكذبين<sup>(٤)</sup> .

٦ - دعوة نبي إسرائيل خاصة - بعد دعوة الناس عامة - إلى الوفاء بعهد

(٢) الآيات من ٢١ - إلى ٢٥ .

(٤) الآيات من ٣٠ إلى ٣٩ .

(١) الآيات من ٢ - إلى ٢٠ .

(٣) الآيات من ٢٦ إلى ٢٩ .

الله ، وإلى الإيمان بالقرآن ، والرسول عليه الصلاة والسلام ، ومنادائهم بأحب أسمائهم ، وأشرف أنسابهم « يا بني إسرائيل (١) » وتذكيرهم بما أنعم الله تعالى به عليهم ، وعلى أسلافهم ، وبما كان منهم من عصيان وتمرد منذ بعث فيهم موسى عليه السلام ، وبيان أحوال المعاصرين منهم لابنة المحمدية ، وما كان منهم من تكذيب ، وتحريف للحكم عن مواضعه ، وحسدهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وزعمهم أنهم شعب الله المختار ، وتفنيد ما أثاروه من شبه وشكوك حول الرسالة المحمدية ، ودحض باطلهم ، فقد وقفوا من الإسلام موقف الهداء والمهزوم منذ الأيام الأولى ، وحرّفوا ما جاء في التوراة من تبشير بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وبيان أوصافه ، خوفاً على رياستهم أن تزول .

وما استتبع هذه الدهوة من قصص عنادهم وتكذيبهم ، كقصّة البقرة التي سميت السورة باسمها (٢) ، وقصصهم مع الرسل من بعد موسى « ولقد آتينا موسى الكتاب ووقفنا من بعده بالزسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلمنا جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم ، وفريقا تقتلون (٣) » .

ومن خلال هذه الجولة الطويلة التي استغرقت نصف السورة تقريباً (٤) ، قرئتم صورة واضحة لاستقبال بني إسرائيل للإسلام ورسوله وكتابه . . . لقد كانوا أول كافر به ، وكانوا يلبسون الحق بالباطل ، وكانوا يأمررون الناس بالبر — وهو الإيمان — ويفسدون أنفسهم ، وكانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ، وكانوا يخادعون الذين آمنوا بإظهار الإيمان ، وقد حذر بعضهم بعضاً من إطلاع المسلمين على ما يملونه من أمر النبي وصحة رسالته ، وكانوا يريدون أن يردوا المسلمين كفاراً ، وكانوا يدعون من أجل هذا أن المهتدين هم اليهود وحدهم — كما كان النصراني يدعون

(١) إسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ومعناه في العبرية: عبد الله

(٢) ارجع إلى هذه القصة في ص ٤ و ص ٥ من العدد السابق من المجلة

(٤) الآيات من ٤٠ إلى ١٧٧

(٣) الآية ٨٧



أنهم وحدهم هم المهتدون - وكانوا يعلنون عداوتهم لجبريل عليه السلام ؛ لأنه هو الذى  
حل الوحي إلى محمد دونهم ، وكانوا يكرهون كل خير للمسلمين ، ويتربصون بهم  
السوء ، وكانوا ينتهزون كل فرصة للتشكيك فى صحة الأوامر النبوية ، ومحبتها من  
عند الله - كما فعلوا عند تحويل القبلة ، وقالوا : ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها  
- وكانوا مصدر إجماع وتوجيه للمنافقين ، كما كانوا مصدر تشجيع وإغراء للمشركين .

ومن هنا تتضمن السورة حلة قوية على أفعالهم ، وتخاطبهم فى جميع عصورهم  
كأنهم جيل واحد ، وجبة واحدة لا تتغير ولا تتبدل .

وفى سبيل هذه الدعوة تعرض السورة - بأسلوب قصصى جذاب - ذلك التاريخ  
المجد لإبراهيم عليه السلام وأبنائه وأحفاده فى المصور الذهبية التى لا يختلف أحد  
من أهل الكتاب ولا المشركين فى محبتها ، ومحبة الانتداب إليها ، مكررا على لسانهم  
جسيما تلك الحكمة العذبة التى تركها إبراهيم باقية فى عقبه ، فتوارثها أبناؤه وأحفاده  
يوصى كل منهم بنبيها ، كلمة : «الإسلام لله رب العالمين» .

وفى أثناء عرضها لتاريخ إبراهيم عليه السلام وإمامته للناس تحكى كلماته  
التي دعاها ربه أن يجعل من ذريته إماما للناس ، كما جعله هو .

ثم تروى قيام إبراهيم وابنه إسماعيل ببناء البيت المعظم الذى جعله الله حرما آمنا  
ومثابة<sup>(١)</sup> للناس ، وقبلة لصلاتهم ، وتحكى تضرعهما لله أن يجعل من ذريتهما أمة  
مسلمة ، وأن يبعث فيهم رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويذكهم<sup>(٢)</sup> ،  
وفى هذا القصص بيان لصلة هذا النبي وأمه بهذين النبيين الصالحين ، لاصلة البنوة  
النسبية لحسب ، بل صلة المبدأ ، ورابطة الوحدة الدينية أيضا ، فهم من ذريتهما ،  
وجودهم تحقيق لقبول الله دعوتهما ، وملتهم ملتتهما ، وقبلتهم قبلتهما ، ومثابتهما فى حججهن

(١) مثابة للناس : موصفا يشوبون إليه أى يرجعون إليه إذا انصرفوا عنه لتعلقهم به .

(٢) يذكهم : يظهرهم من دنس الكفر والمعاصى بما جاءهم به من الهدى والعلم .

مباثمتها ، وقد قررت السورة - في الوقت نفسه - انقطاع مثل هذه النسبة المشرفة عن اليهود الذين ينتسبون بالبنوة لإبراهيم ويعقوب ، وهم عن حالتها منحرفون ، ولوصيتهما مخالفون ، فاذا يفنى النسب عن الأدب ؟ ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه « تلك أمة قد خلت (١) لها ما كسبت وانكم ما كسبتم ولا تستلون عما كانوا يعملون (٢) » فورثة إبراهيم الحقيقيون هم الذين يمضون على سنته ، ويتقيدون بعهدته مع ربه .

وقد بينت السورة أن وراثة إبراهيم قد انتهت - إذن - إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين به ، بعدما انحرف اليهود ، وبدلوا ، وقعدوا عن حمل أمانة العقيدة ، والخلافة في الأرض بمنهج الله . ونهض بهذا الأمر محمد - عليه الصلاة والسلام - والذين معه ، وأن هذا كان استجابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وهما يرفعان القواعد من البيت : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا إنك أنت القواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم (٣) » .

### تهنئة

للأخ الأستاذ حسن الجفیدی  
السكرتير العام للجماعة

تهنئاً للجماعة الأخ الأستاذ حسن محمد الجفیدی السكرتير العام  
للجماعة بترقيته إلى درجة وزير مفوض بوزارة الخارجية المصرية ونسأل  
الله أن يزيده بهذه الترقية خدمة للإسلام والمسلمين .

(٣) آيتنا ١٢٨ ، ١٢٩

(٢) آية ١٣٤ ، وآية ١٤١

(١) خلت : مضت

## ٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ٣ -

للأستاذ عنتر أحمد حشاد

الموجه العام للتربية الدينية بدور المعلمين والمعلمات  
بوزارة التربية والتعليم



### ج - عرض عام للسورة :

رأينا - فيما تقدم - أن سورة البقرة من أوائل ما نزل من القرآن الكريم بعد الهجرة : بعد أن أصبح للمسلمين جوار في المدينة وفيما حولها غير جوارهم السابق في مكة ، فقد جاؤوا فيها أهل الكتاب من اليهود والنصارى بعد جوارهم للمشركين في مكة قبل الهجرة .

كما رأينا أن السورة - لهذا في نصفها الاول (١) - وجهت الدعوة الى بنى اسرائيل خاصة - بعد أن دعت الناس عامة - الى عبادة الله وحده ، والوفاء بعهده ، والخوف منه وتقواه ، والايمان بالقرآن المعجز ، المصدق لما معهم من التوراة ، ونهتهم عن أن يكونوا أول الكافرين به ، وأن يخلطوا الحق بالباطل ، أو يكتموه ، وبكتت رؤساءهم الذين يتلون الكتاب ، ويأمرون غيرهم بالخير ، تاركين أنفسهم دون تركية أو تطهير . وفي سبيل هذه الدعوة أخذت تذكرهم بما أنعم الله عليهم ، وعلى أسلافهم من قبل ، وبما عاقب العاصين المعتدين منهم ، ولفنت أنظارهم الى آثار رحمته وقدرته ، تذكيرا بالنعم ، وتأديبا بالنقم .

أجملنا ذلك - فيما سبق - فلنعد اليه بشيء من البسط والتوضيح

والتفصيل :

بحسبك أن تعلم أن سورة البقرة هي غرة السور المدنية (٢) ، وأن المدينة وضواحيها كان يسكنها أشد الناس عداوة للذين آمنوا ،

(١) في الإزباع العشرة الاولى الى آخر آية البر ( الآية ١٧٧ ) .

(٢) من أوائل ما نزل من السور بعد الهجرة .

وأكثرهم جدالا في دينهم ، بما أوتوه من العلم قبلهم ، وهم اليهود .  
بحسبك أن تعلم هذا وذاك لتعرف سر تلك العناية الموفورة بهذا  
الجانب من الدعوة ، نعنى دعوة بنى اسرائيل خاصة بعد دعوة الناس  
عامة ، ولتعلم حكمة ذلك التبسط في الحديث معهم تارة ، والحديث  
عنهم تارة أخرى ، بألوان تختلف دفاعا وهجوما ، وتختلف لينا وشدة ،  
الى منتصف السورة تقريبا ( الآيات من ٤٠ الى ١٧٧ ) .

وسترى — حين نقرأ هذه الآيات ، وتنتقل في هذه الاحاديث من  
مرحلة الى مرحلة — ما يملك قلبك من جمال نظامها ، ودقة تقسيمها .  
( بدأ ) الكلام معهم بآية فذة ( الآية ٤٠ ) هى على قلة كلماتها آية  
جامعة ، لأغراض الحديث كله ، ففيها يناديهم بأحب أسمائهم ، وأشرف  
أنسابهم ، ويذكرهم بسابق نعمة الله عليهم اجمالا ، ويبينى على ذلك  
دعوتهم الى الوفاء بعهدہ ، ويرغبهم ، ويرهبهم : « يا بنى اسرائيل  
اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ، وايأى  
فارهبون » .

( ثم ) رجع الى هذه الاغراض يفصلها على تدرج ، وبقدر معلوم ،  
فشرح العهد الذى طلب منهم الوفاء به فى ست آيات ( ٤١ — ٤٦ ) وبين  
مقدار النعمة التى امتن بها عليهم فى آية ( ٤٧ ) ومقدار المخافة التى  
خوفهم منها فى آية أخرى ( آية ٤٨ ) .

( ثم ) قسم الحديث — بعد ذلك — الى أربعة أقسام :  
( القسم الاول ) يذكر فيه سالفة اليهود (١) منذ بعث فيهم موسى  
عليه السلام .

( القسم الثانى ) يذكر فيه أحوال المعاصرين منهم للبعثة المحمدية .  
( القسم الثالث ) يذكر فيه أولية المسلمين منذ ابراهيم عليه السلام  
( القسم الرابع ) يذكر فيه حاضر المسلمين فى وقت البعثة .

### القسم الاول : ذكر سالفة اليهود ( الآيات من ٤٩ الى ٧٤ ) :

استهل الخطاب فى هذا القسم بثمانى آيات ( ٤٩ — ٥٦ ) يعرف

(١) سالفة اليهود : المتقدمون من اليهود ، ونعنى بهم اليهود قبل بعثة  
رسولنا صلى الله عليه وسلم .



فيها بنى اسرائيل بتفاصيل المنن التي امتن بها عليهم مرة بعد مرة ، وهي تلك النعم التاريخية القديمة التي اتصل أثرها ، وسرى نفعها من الاصول الى الفروع ، فجعل يذكرهم بأيام الله فيهم : يوم أنجاهم من آل فرعون ، ويوم أنجاهم من اليم وأغرق أعداءهم فيه وهم ينظرون ، ويوم واعدهم بانزال الكتاب عليهم ، ويوم حقق وعده بانزاله ، ويوم قبل توبتهم عن الردة والشرك بالله ، ويوم قبل توبتهم عن التمرد على نبيهم واقتراح العظائم عليه ، اذ قالوا : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » .  
 وانها لنعم جليلة « سابقة للذنب ولاحقه » تلين ذكراها القلوب ، وتحرك الهمم لشكر المنعم ، وامثال أمره .

وقبل أن ينتقل من تذكيرهم بتلك النعم الجليلة المطمعة للشاكرين في المزيد — الى تذكيرهم بجرائمهم ، وما حاق بهم من ضروب النكال ، وصنوف الوبال ، الموجبة للاعتبار والامثال — بين أنه تعالى متعمم فوق هذا كله متاعا حسنا ، اذ ظلل عليهم الغمام ، ورزقهم من الطعام والشراب رزقا هنيئا من حيث لا يحتسبون ، ومن حيث لا كد ولا نصب ، ولا جهد ولا تعب ، فظلموا أنفسهم ، وبطروا تلك النعمة ، وحرفوا كلمة الشكر بتبديلها هزوا ولعبا ، واقترحوا بدل ذلك الرزق الناعم عيشة الكدح والعناء ، والتعب والشقاء ، اذ طلبوا بدل المن (١) والسلوى (٢) البقل (٣) والقتاء (٤) والفوم (٥) والعدس والبصل ، فألزمهم الله ما التزموا وأمرهم بنزول مصر (٦) من الامصار ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة (الآيات من ٥٧ الى ٦١) .

وهذا محض الحديث لذكر المخالفات والعقوبات ، فذكر أنهم باءوا بغضب من الله ، لانهم كفروا بآيات الله الكونية ، والتنزيلية (٧) ، وقتلوا (١) المن : مادة حلوة لزجة تشبه العسل كانت تسقط كالندى على الشجر من طلوع الفجر الى طلوع الشمس . (٢) السلوى : السمانى ، أو طائر يشبهه وكان يأتيهم بكرة وعشية فيختارون سمائه ، وقد أطمعوا بالمن والسلوى في التيه . (٣) البقل : النبات الرطب مما يأكله الناس والانعام . (٤) القثاء : هي المعروفة بالقتة . (٥) الفوم : الثوم . (٦) مصر : البلد الزراعى ، وهو الذى يوجد فيه ما طلبوا من هذه الأطعمة . (٧) الآيات الكونية التي كهروا بها ، مثل : فلق البحر ، واطلال الغمام ، وانزال المن والسلوى ، وانفجار العيون من الحجر ، والآيات التنزيلية التي أخفوها ، مثل : آية الرجم للزانى في التوراة وتحريف ما جاء فيها من نعت رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

النبیین ( غیر أنه استثنى المؤمنین منهم من هذا الغضب ) وتمردوا على أوامر التوراة جملة ، حتى أرغوا على قبولها والعمل بها بما رأوا من رفع الجبل فوقهم ، وظنهم أنه واقع بهم « واذ أخذنا ميثاقتكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة ، واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » ثم تولوا وأعرضوا عن هذه الأوامر ، حتى استحقوا العقاب والخسران — لولا فضل الله عليهم ورحمته — وذكر أن منهم من اعتدى يوم السبت بصيد السمك ، وقد أمروا أن يتفرغوا فيه لعبادته ، فضرب الله عليهم الخزي ، وسلبهم خصائص الانسانية الفاضلة ، وملاأ قلوبهم بالطمع والشهه ، شأن القردة ، وكانت تلك عقوبة ظاهرة فيهم ، وفي أسلافهم من بعد « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (١) ، فجعلناها (٢) نكالا (٣) لما بين يديها وما خلفها (٤) وموعظة للمتقين » ( ٦١ — ٦٦ ) .

وذكر أنهم تباطؤوا في تنفيذ أمر نبيهم بذبح البقرة ، وبلغ بهم الجهل بمقام نبوته أن ظنوا في تبليغه عن ربه أنه هازل غير جاد (٥)  
 • ( ٦٧ — ٧٣ )

• حلقة الاتصال بين القسمين الاول والثانى ( آية ٧٤ ) .

وفي انتقال الآيات من الحديث عن ماضى اليهود، وربطه بحاضرهم — انظر كيف وضع القرآن بينهما حلقة الاتصال في هذه الآية الرابعة والسبعين التى ختم بها القسم الاول : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » فقله : « من بعد ذلك » كلمة حددت مبدأ تاريخ القسوة ، ولم تحدد نهايته ، كأنها بذلك وضعت عليه طابع الاستمرار ، وتركته يتخطى العصور والاجيال ، حتى يظن السامع أن الحديث قد أشرف به على العصر الحاضر ، ثم لم يلبث هذا الظن أن يزداد قوة بقوله : « فهى كالحجارة » دون أن يقول : فكانت كالحجارة .

- (١) خاسئين : اذلاء مطرودين . (٢) فجعلنا عقوبتهم .  
 (٣) نكالا : عبرة لغيرهم . (٤) لما بين يديها : للمعاصرين لها . .  
 وما خلفها : ومن بعدها من الامم .  
 (٥) مضت قصة عنادهم وتلكهم في ذبح البقرة بالتفصيل في ص ٤ ، ٥ ،  
 من عدد ذى الحجة ١٣٩٥ هـ من المجلة .

ثم انظر كيف كان انتهاؤه الى وصف قلوبهم بهذا الوصف - وهو القسوة - توطئة (١) لتغيير الاسلوب فيهم ، فان من يبلغ قلبه هذا الحد من القسوة التي لا لين فيها - يصبح استمرار الخطاب معه بعيدا عن الحكمة ، ويصير جديرا بصرف الخطاب عنه الى غيره ممن له قلب سليم .

وهكذا سينتقل الكلام من الحديث معهم في شأن سلفهم الى الحديث معنا - نحن المسلمين - في شأنهم أنفسهم : شأن اليهود المعاصرين للبعثة .

### القسم الثاني : ذكر اليهود المعاصرون للبعثة ( الآيات من

٧٥ - ١٢١ ) :

افتتح الكلام في هذا القسم بجملة طريفة ليست على سنن ما قبلها ، ولا سنن ما بعدها من السرد الاخباري ، جملة استفهامية يحيط بها حرفان ، لهما معناهما : ( أحدهما ) يعيد الى الذاكرة كل ما مضى من وقائع القسم الاول : ما أنعم الله به عليهم ، ومقابلتهم هذه النعم بالكفران والعناد والتمرد ، وعقاب الله لهم ( والآخر ) يفتح الباب لكل ما يأتي من حوادث هذا القسم الثاني . وتقع هي (٢) بين التاريخين القديم والحديث موقع العبرة المستنبطة ، والنتيجة المقررة ، بين أسباب مضت ، وأسباب تأتي « أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه (٣) وهم يعملون » (٤) .

**فهذه الفاء** تقول لنا : ( بعد كل ما قصصناه يطمع طامع في ايمان هؤلاء القوم ، وهم الوارثون لذلك التاريخ الملوث ؟ ) .  
**وهذه الواو** تقول لنا : ( هذا ، ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، ومازالوا في طغيانهم يعمهون ) .  
والى الحلقة القادمة - ان شاء الله - لتوضيح ذلك ، وتفصيله ،  
**ولله ولي التوفيق .**

**عنتر حشاد**

(١) تمهيدا .

(٢) جملة « فطمعون أن يؤمنوا لكم » . (٣) من بعد ما فهموا كلام

الله في التوراة . (٤) الآية ٧٥ التي افتتح بها القسم الثاني .

بسم الله الرحمن الرحيم  
٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

— ٤ —

للأستاذ عنتر أحمد حشاد

الموجه العام للتربية الدينية بدور المعلمين والمعلمات  
بوزارة التربية والتعليم



ج - عرض عام للسورة :

القسم الثانى : ذكر اليهود المعاصرين (١) للبعثة ( الآيات من ٧٥ -

الى ١٢١ ) :

بعد افتتاح هذا القسم بهذه الآية « أفنتظعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » على النحو الذى بيناه فى العدد الماضى .. يعود السرد الاخبارى الى مجراه التفصيلى ، فيقص علينا من مساوىء اليهود المعاصرين للبعثة ، ومنكرات أفاعيلهم وأقاويلهم ما يقرب من عشرين سببا لا تبقى مطمعا لطامع فى ايمانهم ، سواء من هذه الأسباب - ما كان مختصابهم ، وما كان يشاركتهم فيه غيرهم من أسلافهم ، أو النصرارى ، أو الوثنيين ، ثم لا يدع زعما من مزاعمهم الا أبطله بما يليق به من الرد والتفنيد .

( وقد بدأ هذا الوصف ) ببيان أن هؤلاء اليهود :

منهم فريق عالم مضلل ، يكتم ما فى التوراة من وصف النبى صلى الله عليه وسلم ، والتبشير به ، وأخذ الميثاق على من أدركه أن يؤمنوا به ، يكتمون ذلك وغيره ، ويحرفون كلام الله فيها ويكتنون كلاما من عند أنفسهم ، يذيعونه فى الناس باسم أنه من كتاب

(١) تأسف المطبعة لوقوع خطأ مطبعى فى هذه الكلمة من العدد الماضى .



الله ، كل ذلك ليحتفظوا لأنفسهم بالرياسة والقيادة ، والزعامة الدينية ، وليأكلوا أموال الناس بالباطل •

ومنهم فريق جاهل أمى لا يعلمون التوراة الا تلقفا من أفواه علمائهم ، على حسب ما أرادوا لها من التحريف والكذب والتدليس « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب (١) الا أمانى (٢) ، وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » •

فكيف ينتظر من أمثال هؤلاء وهؤلاء أن يستجيبوا للحق ، وأن يستقيموا على الهدى ، ومن ذا الذى يطمع فى صلاح أمة جاهلها مضلل مخدوع يأخذ باسم الدين ما ليس بدين ، وعالمها مضلل خاذع ، يكتب الكتاب بيده ، ويقول : هذا من عند الله ؟

(وثنى ) ببيان منشأ اجترائهم على كل موبقة ، ألا وهو غرورهم بزعمهم أن النار لن تمسهم الا أياما معدودة •

ولقد أمر النبى أن يوسع هذا الزعم دحضا وابطالا ، وأن يتدرج معهم فى هذه المجادلة على درجات المنطق السليم ، والبحث المستقيم ، فبيدا بمطالبتهم بالبرهان على ما زعموا ، ثم ينقضه ببيان مخالفته لقانون العدل الالهى الذى لا يعرف شيئا من الظلم ولا المحاباة لأحد ، فجميع الخلق أمامه سواء : كل امرىء رهين بعمله ، ومن يعمل سوءا أو حسنا يجزيه •

« وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة ، قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون ، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون» • وبالنظر فى أحوالهم نجد أنهم من أولئك الذين كسبوا السيئات ،

---

(١) التوراة (٢) أكاذيب تلتوها عن رؤسائهم •

وأحاطت بهم خطيئاتهم : ألم يؤخذ عليكم الميثاق (١) بعبادة الله وحده ، والاحسان الى الوالدين والى الناس ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة فتوليتهم ؟ ألم يؤخذ عليكم الميثاق بترك الاثم والعدوان فاعتديتم ؟ ثم آمنتم ببعض الكتاب وكفرتم ببعض ، واشترينتم الحياة الدنيا بالآخرة ، فأنتم بذلك من أهل النار المخاضين فيها « فلا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم ينصرون » •

( ثم أتبع ذلك سائر مساوئهم ) فذكر :

١ - أنهم يحكمون أهواءهم في الشرائع . فكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ، ففريقا كذبوا . وفريقا يقتلون •

٢ - اعراضهم عن الحق ، بدعوى أن قلوبهم مقفلة لا ينفذ اليها الهدى • والحقيقة أن الله لم يخلق قلوبا غلغا مقفلة ، وانما خلقها مستعدة لقبول الحق ، ولكنهم بكفرهم وضعوا عيها الغلاف والقفل « بل لعنهم الله بكفرهم ، فقليلما ما يؤمنون » •

٣ - كفرهم بالكتاب الجديد « القرآن » لأنه أنزل على غيرهم ، بعد أن كانت أعناقهم مشرئبة اليه ينتظرون ظهوره على يد نبي ينصرهم على المشركين • « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ، بثسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده » •

٤ - دعواهم القيام بواجبهم ، وهو الايمان بما أنزل عليهم وكفى ، مع أنهم كافرون ، حتى بما أنزل عليهم ، وتلك شنشنتهم منذ قتلوا أنبياء الله ، وعبدوا العجل وأشربوا حبه في قلوبهم ، وقالوا سمعنا وعصينا •

٥ - زعمهم أن لهم الدار الآخرة خالصة ، ثم مناقضتهم أنفسهم في ذلك بكراتهم الموت ، وشدة حرصهم على الحياة « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا » •

(١) الميثاق : العهد المؤكد .

٦ — عداوتهم لجبريل ، لأنه أنزل الكتاب على غيرهم ، مع أنه  
انما نزله باذن الله ، مصدقا لما عندهم ، وهدى من الضلال ، وبشرى  
للمؤمنين بالجنة .

٧ — تكرر نبذهم للعهود مع الله بالايمان ، ومع النبي صلى الله  
عليه وسلم بألا يعاونوا عليه المشركين .

٨ — نبذ هداية الله قديمها وحديثها في الكتب السماوية ، وصرف  
الناس عن النظر فيها الى الاشتغال بالأوهام والأكاذيب التي كان  
يخترعها المردة المفسدون عن ملك سليمان ، والاشتغال بالسحر .

٩ — ليهم ألسنتهم في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بكلمة  
« راعنا » (١) يقصدون الاستهزاء به والظعن في دينه ، وان كان  
ظاهرها التعظيم له وقد سبق هذا في قالب تحذير المؤمنين من أن يقولوا  
تلك الكلمة : « يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرننا » (٢) .

١٠ — حقدهم وأثرتهم هم وسائر المخالفين من أهل الكتاب  
والمشركين وكراهيتهم أن ينزل الوحي على غيرهم ، مع أن الله أن يختص  
برحمته ونبوته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) ومعنى « راعنا » فيما يقصده المؤمنون : طلب المراعاة ، وهو حفظ  
الغير ، وتدبير أموره ، وتدارك مصالحه . يريدون : راقبنا وتأن بنا ، حتى  
نفهم كلامك ، ولها في العربية معان أخرى فقد تكون من الرعونة بمعنى  
الحق ، وفي العبرانية « لغة اليهود » كلمة شتم قريبة من هذا المعنى ، فان  
لفظ « رع » عند اليهود معناه : شقى شرير ، ولفظ « راع » معناه الشر  
والشقاوة ، فاذا أضيف الى ضمير المتكلمين صار بلسانهم « راعينو » ومعناه  
في الخطاب : أنت ضرنا وشقوتنا ، ولعلمهم — والله أعلم — كانوا يلوون  
ألسنتهم في النطق بها ليقربوها من الصيغة العربية سترنا لنيتهم ، واكتساء  
بالرمز المفهوم فيما بينهم .

(٢) أمر الله المؤمنين أن يخاطبوا الرسول صلى الله عليه وسلم  
بقولهم : « انظرننا » حتى لا يجد المنافقون سبيلا الى التلاعب بلفظ ذى وجهين .

١١ - احراجة بكثرة الأسئلة والمقترحات كما سئل موسى من

قبل .

١٢ - رغبة كثير منهم في أن يردوا المؤمنين كفارا حسدا من عند

أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .

١٣ - زعم كل من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة أحد

غيرهم : أمانى يتمنونها بغير برهان : « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم

صادقين » .

١٤ - طعن كلتا الطائفتين : اليهود والنصارى في أخذها بقول

اليهود : ليست النصارى على شيء ، وقول النصارى ليست اليهود على شيء ، وطعن المشركين - كذلك - في كليهما .

١٥ - اشتراك الطوائف الثلاث في السعى لاخلاء المساجد من

ذكر الله .

١٦ - اشتراكهم في الجهل بالله ، ونسبتهم الولد اليه ، مع أن

الله له ما في السموات وما في الأرض ، وكل من فيهما قانت له وخاشع ، وأنه خالقهما ومدبرهما ، فكيف يكون له ولد : « لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

١٧ - اشتراكهم في التوقف عن الايمان بالرسول ، حتى يكلمهم

الله بغير واسطة ، أو ينزل عليهم آية ملجئة .

( ثم ختم هذه المساوىء ) بأدعاها الى اليأس من ايمانهم ، وهو

أنهم يطمعون في تحويل الرسول نفسه الى اتباع أهوائهم ، فكيف يطمع هو في استتباعهم الى هداة ؟ كلا ، ولكن حسبه أن الراسخين في العلم منهم يؤمنون بهذا الهدى الذى جاء به « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه

حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » .

والى الحلقة القادمة ان شاء الله .

عنتر حشاد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ٥ -

للأستاذ عنتر أحمد هشام

الموجه العام للتربية الدينية بدور المعلمين والمعلمات  
بوزارة التربية والتعليم



ج - عرض عام للسورة :

القسم الثالث : ذكر قدامى المسلمين من لدن ابراهيم عليه السلام

( الآيات من ١٢٢ - الى ١٣٤ ) :

شأن المصلح الحكيم في دعوته شأن الزارع ، يبدأ بالأرض فيقتلع أشواكها ، وينقيها من حشائشها الضارة قبل أن يلقي فيها البذور الصالحة ، أو يفرس فيها الأشجار النافعة ، وكذلك الداعي الحكيم يبدأ بالنفوس فيلويها عن الباطل والفساد ، ثم يوجهها الى طريق الحق والهدى . فهذان دوران يقوم الداعي الحكيم في أحدهما بالتطهير والتخلية (١) ، ويقوم في الدور الآخر بالتكميل والتخلية (٢) .

وقد رأيت في الآيات السابقة (٣) أنها قد أوسعت البيان في عوج الطريق الذي يسلكه بنو اسرائيل : القدامى منهم منذ بعث فيهم موسى عليه السلام ، والمعاصرون منهم للبعثة المحمدية ، وأنها قد فندت مزاعمهم ، وأبطلت مفترياتهم ، وهذا هو الدور الأول : دور التطهير والتخلية .

أليس من الحق - اذن - أن يبدأ الدور الثاني : دور التكميل والتخلية ، فبين الطريق السوي الذي يجب أن يسلكوه ؟

(١) بالخاء المعجمة . (٢) بالخاء الميملة . (٣) الآيات من

٤٠ - الى ١٢١ .

كما رأيت أيضا كيف اختتم البيان السابق بذكر هدى الله والعلم الذى علمه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكر الفريق الذى يرجى ايمانهم به من أهل الكتاب ، وهم الذين يتلون الكتاب حق تلاوته .

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير . الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون (١) » .

أليس هذا الاختتام نفسه مطالعا تشرف النفس منه على هذا الافتتاح ، وعلى هذا الدور ؟

ثم رأيت الحديث فى الدور السابق ، الدور الأول منقسما الى قسمين : قسم يتحدث فيه عن ماضى اليهود ، وقسم يتحدث فيه عن حاضرهم . ألا يكون من حسن التقابل ، وحسن التقسيم أن يقسم الحديث فى هذا الدور الثانى أيضا الى قسمين : قسم يتحدث فيه عن ماضى المسلمين ، وقسم يتحدث فيه عن حاضرهم ؟

ذلك هو ما تراه فى هذه الآيات (٢) .

وأكبر من هذا كله أنك ترى الآيتين الكريمتين اللتين صدر بهما أول الحديث هناك ، وهما : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين . واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون (٣) » — قد صدر بهما أول الحديث هنا « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين . واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون (٤) » وذلك ليدعوهم الى اعتناق الحق بمثل ما دعاهم الى اجتناب الباطل ،

(١) الآيتان ١٢٠ و ١٢١ .

(٢) الآية من ١٢٢ — الى ١٧٧ .

(٣) الآيتان ٤٧ و ٤٨ .

(٤) الآيتان ١٢٢ و ١٢٣ .

وليتقرر في نفس السامع من أول الأمر أن الحديث سيعود كما بدأ ، ولكن في طريق يقابل ذلك الطريق ، وفي معنى جديد يقابل ذلك المعنى القديم .

وهكذا أنشأ يدعو بنى اسرائيل الى طريق السلف الصالح : دين الاسلام الحق ، لا بأسلوب الأمر والتخريض الذي جرب من قبل فلم ينجح فيهم ، بل بأسلوب قصصى جذاب يعرض فيه ذلك التاريخ المجيد لابراهيم عليه السلام وأبنائه وأحفاده في العصور الذهبية التي لا يختلف أحد من أهل الكتاب ولا المشركين في تعظيمها ومحبتها ، ومحبة الانتساب اليها .

سيقت هذه الآيات « واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن .. » لبيان أن ابراهيم عليه السلام الذي يفخر مشركو العرب بانتسابهم اليه ، وتفخر اليهود والنصارى بأنهم من ذريته ، من بنى اسرائيل الذي هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم — انما كانت شريعته ، وشريعة أبنائه وأحفاده : اسماعيل ، واسحق ، ويعقوب على نمط الاسلام من : التوحيد ، والعقائد ، وأصول الأحكام .

يظهر ذلك فيما ترويه الآيات من تضرع ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ، وهما يرفعان القواعد من البيت ، ودعائهما : « ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك .. (١) » ومن قوله سبحانه : « اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق الهما واحدا ونحن له مسلمون (٢) » .

والمقصود من الاسلام فيما قال ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام : الخضوع والاستسلام الى الله تعالى — بتوحيده ، ونفى

(١) من الآيتين : ١٢٧ و ١٢٨ . (٢) الآيات من ١٣١ الى ١٣٣

الشركاء والأولاد والزوجات عنه - تعالى - وغير ذلك من أمهات الفضائل التي اشتركت فيها جميع الأديان ، الى جانب ما اختصا به في شريعتهما •

فالاسلام بهذا المعنى : هو دين الأنبياء جميعا ، وعليه قوله تعالى : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (١) » •

فاليهود ، والنصارى ، والمشركون بصددهم عن الاسلام ، ومحاربة محمد - صلى الله عليه وسلم - وادعاء الولدية لله تعالى ليسوا بمسلمين ، وليسوا على ملة ابراهيم ، ولا أحد من ذريته من الرسل والأنبياء عليهم السلام ، وانما هم ضالون مضلون ، ولن ينفعهم أنسابهم ، ولن تغنى عنهم من الله شيئا بعد أن رغبوا عن ملة ابراهيم الى الشرك ، فالمرء لا ينفعه الا عمله ، ولا يؤاخذ الا بعمله ، له ما كسب (٢) ، وعليه ما اكتسب (٣) ، وأما ما كسبه غيره من آبائه وأجداده فهو لهم لا له ، وما اكتسبه غيره فهو عليهم لا عليه •

فمن لا يجيب الدعوة الى الحق ، ولا يقوم بالحقوق والواجبات ارتكانا الى أنه من ذرية الأنبياء ، أو من نسل الأولياء فهو يركن الى ما لا يصح الركون اليه ، فالمرء انما يركن الى العمل ، لا الى الأوهام ، وإلى العمل الذي كسبه هو ، لا الى الذي كسبه غيره •

ان المبدأ الاسلامي يقطع الوشائج (٤) والصلات التي لا تقوم على أساس العقيدة والعمل ، ولا يعترف بقربى ولا رحم اذا انبتت (٥) وشيجة العقيدة والعمل ، ويسقط جميع الروابط والاعتبارات ما لم تتصل بعروة العقيدة والعمل ... وهو يفصل بين جيل من الأمة الواحدة وجيل اذا خالف أحد الجيلين الآخر في عقيدته ، بل يفصل بين الوالد وولده ، والزوج وزوجه اذا انقطع بينهما حبل العقيدة ، فعرب الشرك

(١) آية ٦٧ من سورة آل عمران .

(٢) كسب من خير .

(٣) اكتسب من وزر وشر .

(٤) الوشائج : جمع وشيجة ،

وهي الرابطة والصلة .

(٥) انقطعت .



شيء ، وعرب الاسلام شيء آخر ، ولا صلة بينهما ولا قرى ولا شيجة .  
والذين آمنوا من أهل الكتاب شيء ، والذين انحرفوا عن دين ابراهيم  
وموسى وعيسى شيء آخر ، ولا صلة بينهما ولا قرى ولا وشيجة . . .  
ان الأسرة ليست آباء وأبناء وأحفادا . . انما هي هؤلاء حين تجمعهم  
عقيدة واحدة . وان الأمة ليست مجموعة أجيال متتابعة من جنس معين . . .  
انما هي مجموعة من المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم وأوطانهم  
وألوانهم . . وهذا هو التصور الايماني الذين ينبثق من خلال أصول  
الاسلام . كما جاءت في كتاب الله الكريم (١) ، وفي سنة رسوله الأمين  
صلى الله عليه وسلم (٢) .

فالسابقون الأولون قد مضوا لهم ما كسبوا ، وعليهم ما اكتسبوا ،  
وما كسبوه لا ينفع سواهم ، وما اكتسبوه لا يقع وزره الا عليهم ،  
والحاضرون لا يسألون عن أعمال السابقين ، فلا يثابون على حسناتهم ،  
ولا يعاقبون بأوزارهم ، وانما يجزون بأعمالهم هم « فمن يعمل مثقال  
ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٣) » ومن بطأ به عمله ،  
لم يسرع به نسبه .

قال تعالى : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ،  
ولا تسألون عما كانوا يعملون (٤) » .  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى هاشم ، لا يجيئني  
الناس بأعمالهم ، وتجيئوني بأنسابكم » . .

### عنتر حشاد

(١) ارجع الى آيات ٤٦ من سورة هود ، و ٢٢ من سورة المجادلة ،  
و ١ من سورة الممتحنة ، و ١٠ و ١١ من سورة التحريم ، وغيرها كثير .  
(٢) تجد هذا التصور في كثير من الأحاديث .  
(٣) آيتا ٧ و ٨ من سورة الزلزلة .

(٤) الآية ١٣٤ ، وقد كررت مرة أخرى في الآية ١٤١ ، و « تلك » اشارة  
الى ابراهيم وأبنائه الأنبياء ، وأنت اسم الاشارة « تلك » بدلا من « هؤلاء »  
لتأنيث الخبر وهو ( أمة ) ، والأمة : الجماعة يجمعها أمر واحد ، نحو الوطن  
او اللثة . أو الدين ، وخلصت : مضت وانتضت .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ٦ -

للأستاذ عنتر أحمد حشاد

الموجه العام بوزارة التعليم



ج - عرض عام للسورة :

القسم الرابع : ذكر حاضر المسلمين وقت البعثة ( الآيات من

١٣٥ الى ١٦٢ ) :

في هذه الآيات (١) ، وما قبلها (٢) يتصل ذكر الخلف بذكر السلف ، ويخرج الكلام من التلويح الى التصريح ، فتقرر هذه الآيات (٣) - في جلاء صلة هذه الامة المسلمة بتلك الامة الصالحة ( أمة ابراهيم عليه السلام ) في أصول ملتها ، وفي أهم فروعها ، وتقص علينا ما يحاوله سفهاء الاحلام (٤) من بنى اسرائيل وغيرهم - وقت البعثة - لحرمان المسلمين من تلك الصلة ، وذلك بدعوتهم المسلمين الى اتباع ملتهم تارة ، وبالطعن في قبلتهم تارة أخرى ، وتكر على تلك المحاولتين بالهدم والاستئصال .

وقد رأيت الحديث الأنف (٥) كيف امتزج فيه ذكر ملة ابراهيم بذكر قبلته ، فانظر كيف كان ذلك تأسيسا قويا لما يبني عليه هنا من ذكر ملة المسلمين وذكر قبلتهم .

قال في شأن الملة : ان أهل الكتاب يدعونكم - بعد هذا البيان - أن تكونوا هودا أو نصارى ، فقولوا لهم : بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا (٦)

(١) من ١٣٥ - الى ١٦٢ .

(٢) الآيات من ١٢٢ - الى ١٣٤ في ذكر قدامى المسلمين من لدن ابراهيم عليه السلام ، كما بيناه في العدد السابق .

(٣) الآيات من ١٣٥ - الى ١٦٢ (٤) خفاف العقول .

(٥) في الآيات السابقة ، التي عرضناها في العدد الماضي .

(٦) حنيفا : مائلا عن الباطل الى الحق ، والحنف : الميل .

وعرفوهم جلية الامر في هذه الملة الحنيفية ، وأنها ايمان بالله وبما أنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم ، وبما أنزل من قبله الى رسل الله أجمعين ، لا نفرق بين أحد منهم في أنه رسول الله يوحى اليه ، ولا بين كتاب الهى وكتاب الهى في أنه نور وهدى من الله ، فالذين يؤمنون ببعض رسل الله ، ويكفرون ببعض ، ويؤمنون ببعض كتب الله ، ويكفرون ببعض (١) ليسوا بمؤمنين ، لان الله سبحانه ما أرسل رسولا الا مصدقا لمن سبقه من الرسل ، وما أنزل كتابا الا مؤيدا لما سبقه من الكتب في أسس الاديان الالهية ، وهى العقائد ، وأصول العبادات ، وأمهاات الفضائل والرزائل . ودعوة رسل الله في هذه الاسس واحدة يقول سبحانه : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا (٢) قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم (٣) ونحن له مسلمون (٤) » .

(١) كاليهود والنصارى الذين يفرقون بين الله ورسله ويقولون .  
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، نؤمن بموسى ، ونكفر بعيسى ومحمد ، ونؤمن بالتوراة ، ونكفر بالانجيل والقرآن . . .  
(٢) والمعنى : وقالت اليهود للمسلمين : كونوا يهودا تهتدوا الى الدين الحق ، وقالت النصارى : كونوا نصارى تهتدوا الى الدين الحق ، هو ترديد لا دعائهم السابق في آية ١١١ من السورة : « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى » ومصدق لقول الله سبحانه : « ولن رضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » من الآية ١٢٠ .  
(٣) ولهذا قال سبحانه في الآية ٤ في وصف المتقين المهتدين : « والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك » وقال في آخر السورة في الآية ٢٨٥ في وصف المؤمنين : « كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » وفي آية ٨٤ من سورة آل عمران : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .  
(٤) في ختام هذه الآية بقوله سبحانه : « ونحن له مسلمون » ما يرشد الى أن الايمان والتصديق بالله ورسله وكتبه لا يكون هدى ، ولا ينجى المؤمن الا اذا اقترب به اذعان المؤمن وقبوله واستسلامه وانقياده لمقتضى ما آمن به ، فالذى يصدق برسالة محمد ، أو برسالة أى رسول من غير أن يسلم ويستسلم لاحكامه ويعمل بما جاء به لاثرة لايمانه ، ولهذا بدأ الله الآية بقوله : « قولوا آمنا » وختمها بقوله : « ونحن له مسلمون » والايمان والتصديق ، والاسلام :  
الاذعان والعمل . .

هذه عقيدتنا بيضاء ناصعة ، فأى ركنيها تنقمون منا ، وفي أيهما  
تخاصموننا : أفي الله وهو ربنا وربكم ، أم في ابراهيم وبنيه ؟ وهل  
كانوا هودا أو نصارى ؟ « قل أنتم أعلم أم الله ، ومن أظلم ممن كتم  
شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ، تلك أمة قد خلت لها  
ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون (١) » .

وكان هذا الترديد — وحده — كافيا لافحامهم ، واغلاق الباب  
في وجوههم من هذه الناحية ، اذ تبين أن أصول هذه الملة أمتع من أن  
تقبل الجدل في شيء منها — فاننتقل عنها وشيكا الى ابطال محاولتهم  
الاخري في مسألة ( الكعبة المعظمة ) التي عليها يدور العمل بشعيرتين  
هما أعظم شعائر الاسلام ، وأظهرها ( الصلاة والحج ) والتي قد تقرر  
ما لها من الاصل الاصيل في الدين باتخاذ ابراهيم واسماعيل اياها مثابة  
ومصلى . ولكن هذا لم يكن كافيا لاسكات المجادلين الذين اتخذوا من  
تحول المسلمين اليها ، وتركهم القبلة التي كانوا عليها — مطعنا على  
النبوة ففتنوا به ضعفاء المؤمنين ، فمست الحاجة الى مزيد بسط في  
شأنها تتقرر به الحجة ، وتدحض به الشبهة . ولذلك تراه يوجه اليها  
أكبر الشطرين من عنايته .

من الثابت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والمسلمين  
بعد أن هاجروا الى المدينة مكثوا نحو سبعة عشر شهرا يستقبلون في  
صلاتهم بيت المقدس ، وكان هذا بتوجيه الله تعالى لهم ، ثم أمر الله  
رسوله أن يولى هو والمسلمون وجوههم في الصلاة الى الكعبة ، وقد  
استغل ضعاف العقول من اليهود والمنافقين هذا التحويل ، وشنعوا على  
المسلمين ، واستكروا هذا التقلب والتحول ، وقالوا على سبيل الانكار  
والتشنيع : « ما ولاهم (٢) عن قبلتهم التي كانوا عليها » ، وقد رد الله  
تعالى عليهم الرد الحكيم ، فأمر نبيه بادىء ذى بدء أن يجيب المتسائلين  
عن حكمة هذا التحويل جواب عزة واباء يردد الامر فيه الى من لايسأل  
عما يفعل ، قائلا لهم : ان الجهات كلها سواء ، يوجهنا الله منها الى

(١) من الآية ١٤٠ والآية ١٤١ .

(٢) ما الذى صرفهم وحولهم في قبلتهم عن بيت المقدس الى الكعبة ؟



ما يشاء ، وهو الذى يهدى الى الصراط المستقيم « قل لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (١) » فالمشرق والمغرب وجميع الجهات والامكنة هي لله ، وهي بالنسبة اليه متساوية ، فله أن يأمر عباده بالتوجه فى عبادته الى أى جهة ، فان شاء وجههم الى بيت المقدس ، لحكمة قصد اليها ، وان شاء وجههم الى الكعبة لحكمة قصد اليها ، وليس المقصود بالعبادة هو بيت المقدس أو الكعبة ، وانما المقصود وجه الله ، وأينما يولى المصلى وجهه فثم وجه الله « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم (٢) » •

ثم أخذ يأمر النبى تارة ، والمؤمنين تارة ، ويأمرهما معا تارة أخرى فى أسلوب مؤكد مفصل أن يثبتوا على هذه القبلة حيث هم ، وفى كل مكان يقيمون فيه حضرا ، وفى كل مكان يخرجون منه سفرا (٣) •

وظفق ينثر فى تضاعيف هذه الاوامر المؤكدة ما شاء من تعريف بأسرار التشريع القديم والجديد ، فيقول ان تشريع تلك القبلة الوقتية ما كان الا اختبارا ليتبين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه • وأما تشريع هذه القبلة الباقية فانه ينطوى على الحكم البالغة ، والمقاصد الجليلة ، فهى القبلة الوسطى التى تليق بكم أيتها الامة الوسطى ، وهى القبلة التى ترضاها بأبيها النبى ، والتى طالما قلبت وجهك فى السماء مستشرفا الى الوحي بها ، وهى القبلة التى يعلم أهل الكتاب أنها الحق من ربهم وان كانوا يكتمون ذلك حسدا وعنادا ، وهى القبلة التى يشهد الله بأنها الحق من عنده ، وأخيرا هى القبلة التى لا تبقى لاحد من المنصفين حجة عليكم ، أما الظالمون فلن ينقطع جدالهم فى شأنها ما بقيت عداوتهم لكم ، ولكن لا تخشوهم ، بل وطنوا أنفسكم على التضحية فى سبيل الله ، واصبروا ، ولا تحزنوا على من سيقتل منكم فى هذه السبيل فان الموت فيها هو الحياة الباقية •

(١) من الآية ١٤٢ . (٢) الآية ١١٥ من سورة البقرة .

(٣) فى الآيات ١٤٤ و ١٤٩ و ١٥٠ .

ثم أوماً (١) الى أن الجدال في هذه القبلة ليس صدا عن الشعائر التي في داخل المسجد الحرام فحسب ، بل هو كذلك صد عما حوله من الشعائر ، صد عن السعى بين الصفا والمروة « ان الصفا والمروة من شعائر الله (٢) » •

ثم أكد أمر هاتين الشعيرتين على نحو ما أكد أمر القبلة بالتعريض بأهل الكتاب الذين يعلمون أصلهما في تاريخ ابراهيم عليه السلام ، ولكنهم يكتمون ما أنزل الله من البيئات وهم يعلمون •  
**عنتر حشاد**

### حفظ الله

عن أبي العباس : عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال :  
« كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقال لى : يا غلام انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء — لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله تعالى لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء — لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك ، رفعت الاقلام ، وجفت الصحف » •  
رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح .

وفي رواية غير الترمذى : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » •

(١) أوماً : اشارة . (٢) من الآية ١٥٨ ، والصفا والمروة : هضبتان ملحقتان حالياً بالمسجد الحرام يسعى بينهما الحاج والمعتمر ، ومن شعائر الله : من علامات دين الله .

## المؤتمرات الإسلامية في السعودية<sup>(١)</sup>

تولى جامعات المملكة العربية السعودية وهيئاتها المؤتمرات الإسلامية مزيداً من الرعاية والعناية ، تقديراً لرسالتها السامية ، رسالة الإسلام الخالدة .

وكان من ثمرة هذه العناية عقد المؤتمرات الإسلامية الآتية :

### أ - مؤتمر رسالة المسجد :

عقد في مكة المكرمة في الفترة ما بين الخامس عشر ، والثامن عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٥ هـ .

وقد وجهت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة الدعوة إلى العلماء والمسؤولين المسلمين في كافة أنحاء العالم للاشتراك في هذا المؤتمر وقد مثل ما يقرب من ثمانين بلداً من بلدان العالم برياسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ( وقتذاك ) وتم تشكيل اللجان التالية :

- ١ - لجنة رسالة المسجد .
- ٢ - لجنة ادارة المسجد .
- ٣ - لجنة خطبة الجمعة واعداد الائمة .
- ٤ - لجنة التمويل .
- ٥ - لجنة التخطيط الهندسى للمسجد .
- ٦ - لجنة المجلس الاعلى العالمى للمساجد .
- ٧ - لجنة دائمة للمسجد الاقصى .

وبعد أن تدارس المؤتمر جدول الاعمال - انتهوا الى مجموعة توصيات ، نقطف منها ما يلي :

---

(١) أعد هذه الحلقة رئيس التحرير .

## « رسالة المسجد »

يوصى المؤتمر بما يلي :

١ - العناية بوضع مناهج اسلامية للدعوة تتلاءم مع واقع الحركة الاسلامية لكل منطقة ، ومراجعتها بين الحين والآخر لاضافة مزيد من الخبرات الميدانية التي تكونت للدعاة من خلال ممارستهم ميدانيا وعمليا .

٢ - التنسيق بين المسجد والوسائل الاعلامية والمؤسسات التربوية ، حتى تخدم جميعها عقيدة المسلم وتصحيح سلوكه حسب تعاليم الشريعة الاسلامية الغراء .

٣ - التوسع في انشاء المساجد المتعددة الخدمات بحيث توفر لروادها اشرافا ثقافيا واجتماعيا وتربويا .

٤ - تنويع وسائل الدعوة بالكلمة المكتوبة والمسموعة وغيرها .

٥ - من الضروري أن ينهض المسجد برسالته في جميع الاماكن التي توجد فيها تجمعات اسلامية حيث يصبح وجود المسجد ضرورة في كل مكان يتجمع فيه المسلمون كالمدارس والجامعات والمصانع والاندية والثكنات والمعسكرات وغيرها .

٦ - من الضروري أن يلقي الشباب في المسجد عناية خاصة بتوجيهه بالاسلوب الذي يتفق وعمر الشباب من ناحية ، وروح العصر من ناحية أخرى .

٧ - العناية بالمرأة حتى تنال نصيبها من الثقافة الاسلامية وأحكام دينها .

٨ - عقد اجتماعات دورية لائمة المساجد في كل منطقة لتبادل الخبرات والتجارب ودراسة المشكلات التي تعترض مهمة المسجد ووضع الحلول المناسبة لعلاجها بما يتفق مع صالح المسلمين ضمن الاطار الاسلامي الصحيح .

٩ - احياء الرسالة التعليمية للمساجد الاسلامية العريقة كجامع الزيتونة والقرويين والازهر ، وضرورة استمرار وظيفة تلك المساجد

التعليمية بما يحدد ماضيها التاريخي الذي أدى دورا هاما في الحياة  
الاسلامية .

١٠ - أهمية اعداد الأئمة ومساعدتهم ، حيث يتوقف الجزء الالهم  
في رسالة المسجد على كفاءتهما .

١١ - ضرورة العناية بالمسجد من ناحية بنائه وسائر متطلباته  
ومطابقة وظائفه ، وتخطيطه بما يخدم الهدف الاساسى من وجوده ،  
وتطهيره من كل ما يخالف شرع الله .

١٢ - استتفار المسلمين لاستنقاذ المقدسات الاسلامية ، وعلى  
الايض المسجد الاقصى، والمسجد الابراهيمي ، والدعوة الى تحريرهما .

١٣ - يوصى المؤتمر بأن تكون للامام حصانة تكفل له استقلاله  
الفكرى ، ورأيه الحر فى تناول مشكلات المسلمين وقضاياهم فى اطار  
الشريعة الاسلامية .

### « اعداد الأئمة والخطباء والدعاة »

يوصى المؤتمر بما يلى :

١ - أن يكون الامام والخطيب والداعى الى الله قوى الصلة  
بربه ، وقدوة لغيره ، أمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، قادرا على الجهر  
بكلمة الحق .

٢ - أن يقصد بما يقدمه من أعمال وجه الله والدار الآخرة ،  
وأن يبتعد عن الرياء ، والمجاملة فى الحق ، وأن يكون زاهدا فى مدح  
الناس وثنائهم .

٣ - أن يكون دائم الصلة بالاصلين الاساسيين ، والينبوعين  
الصابيين : كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دراسة وتأملا  
واستنباطا عملا يستمد من نورهما ويقف عند حدودهما .

٤ - أن يكون دقيق الفهم واسع الاطلاع محيطا بالبيئة التى  
يعيش فيها احاطة تامة بأحوالها وظروفها والتيارات والتحديات التى  
تتعرض لها .



- ٥ - أن يدرس التاريخ الاسلامى والانسانى وأن يكون ملما  
 بقرسط كبير من علوم الكون والحياة •
- ٦ - أن يكون له ثروة طائلة من النصوص واللغة وأن يكون على  
 علم ببعض اللغات غير العربية ليتمكن من الاطلاع على ما يكتبه الاصدقاء  
 والاعداء عن الاسلام ، ومن افهام واقناع من يتكلم بغير العربية  
 من المسلمين •
- ٧ - أن يكون على مستوى المسئولية والكفاية العلمية حتى  
 يستطيع أن يعالج ما يعرض له بحجة قوية وأسلوب مقنع •
- ٨ - أن يكون ذا خلق كريم وسلوك مستقيم ليكون محبوبا  
 لقومه ، فيؤمنوا عن صدق بما يقول ، ويستجيبوا لما يرشدهم اليه •
- ٩ - أن يكون حليما صبورا حريصا على افادة أهل حيه وتنوير  
 بصائرهم •
- ١٠ - أن يزهّد فيما عند الناس ، وأن يقنع بما أعطاه الله ، حتى  
 يكون عزيزا بينهم ، أهلا لاحترامهم ومودتهم ، بعيدا عن التعرض  
 لاهانتهم •
- ١١ - أن يكون حسن التلاوة لكتاب الله ، عالما بأحكام تجويده •
- ١٢ - أن يكون حسن المنظر ، ذا زى يتسم بالوقار •

### « المسجد الاقصى »

يوصى المؤتمر بما يلى :

- ١ - العمل على تقوية روح الجهاد عند المسلمين ، وبذل الجهود  
 فى سبيل تشكيل كتائب الجهاد الاسلامية لاستنقاذ المقدسات بالتعاون  
 مع المجاهدين من أجل فلسطين •
- ٢ - العمل الجاد على تسخير جميع ما يملكه المسلمون من  
 امكانات وغيرها فى سبيل استرداد مقدساتهم الاسلامية ، ورفض جميع  
 المقررات التى تفرط بأى جزء من أجزاء الاراضى المغتصبة ، أو أى حق  
 من حقوق شعبها •

٣ - تدريب الجيل الناشئ تدريبا عسكريا اسلاميا ، وجعل هذا التدريب جزءا أساسيا من مناهج التعليم في مرحلة التعليم الاعدادى ، وما تليها من مراحل دراسية في البلاد الاسلامية التي لا يكون التدريب العسكري فيها الزاميا ، وتعميم فكرة حركة الاشبال التي تعمل على اعداد أشبال الامة اعدادا عسكريا ، وذلك لتخريج أفواج من المجاهدين المخلصين .

٤ - شرح القضية التي نكب بها المسلمون في المسجد الاقصى وغيره من البقاع السليبية شرحا وافيا لابناء الامة الاسلامية وغيرهم ، ويمكن تحقيق هذا الهدف اذا تعاونت وسائل الاعلام مع منابر المساجد، ومناهج التعليم على تحقيقه .

٥ - العمل على وقوف المسلمين صفا واحدا في وجه أى دولة يثبت أنها قد انتهكت حرمة مسجد من مساجد المسلمين ، ومقاومة هذه الدولة بكل ما يستطيع المسلمون فرضه عليها من عقوبات .

٦ - تشكيل لجنة دائمة تحمل اسم « لجنة المسجد الاقصى » يكون مقرها رابطة العالم الاسلامى ، وتكون مهمتها متابعة تنفيذ هذه التوصيات .

### ب - المؤتمر العالمى للفقهاء الاسلامى :

وهو المؤتمر الذى قررت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض عقده في مدينة الرياض في المدة من غرة شهر ذى القعدة الى العاشر منه عام ١٣٩٦ هـ وستمثل في هذا المؤتمر بلدان العالم ، وسوف تتكفل الجامعة بنفقات جميع الاعضاء المدعوين ذهابا وايابا ، وأثناء انعقاد المؤتمر .

وانا لنرجو لهذا المؤتمر ما هو أهل له من النجاح ، وتحقيق أهدافه السامية في خدمة الاسلام والمسلمين .

• وهذه هي موضوعات المؤتمر •

- ١ - وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية في كل زمان ومكان •
- ٢ - الشبهات التي تثار حول تطبيق الشريعة الاسلامية في العصر الحديث •
- ٣ - الاجتهاد في الشريعة الاسلامية •
- ٤ - نظام القضاء في الاسلام •
- ٥ - أثر تطبيق الحدود الشرعية في تحقيق الامن والاستقرار للمجتمع •
- ٦ - أثر تطبيق النظام الاقتصادي الاسلامي في المجتمع •
- ٧ - التربية الاسلامية وأثرها في المجتمع •
- ٨ - الاعلام وأثره في نشر القيم الاسلامية وحمايتها •
- ٩ - الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام •
- ١٠ - المصارف الاسلامية بين النظرية والتطبيق •

#### د - مؤتمر لتوجيه الدعوة ، واعداد الدعاة :

وقد صدرت الموافقة الملكية السامية على قيام الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة بتنظيم مؤتمر عام لتوجيه الدعوة ، واعداد الدعاة ، والدعوة الى عقده •

ومن أهداف عقد هذا المؤتمر :

- ١ - التعريف بالدعوة الاسلامية ومنهجها الاقوم في توجيه الحياة الانسانية في كل جوانبها الى غايتها الفاضلة ، التي يسعد بها الانسان في دنياه وأخراه ، وفي توجيه بناء حضارتها بناء متكامل يلبى دائما مطالب الروح والجسم معا •
- ٢ - الاخذ بأفضل المناهج العلمية والاساليب العملية في اعداد الدعاة وتمكينهم من أداء رسالتهم •
- ٣ - التطور العلمي لاساليب الدعوة على ضوء النتائج العملية في حقل الدعوة •

- ٤ - دراسة المشكلات والصعوبات العامة التي تعترض مسار الدعوة والعمل على حلها بالوسائل الممكنة .
- ٥ - تعزيز سبل الاتصال والتعاون بين الهيئات والمؤسسات المعنية بالدعوة الاسلامية والتنسيق العام للجهود المبذولة في هذا الميدان على الصعيد العالمي وتنظيم سبل التعاون الايجابي بين الدعاة .

وهذه هي موضوعات المؤتمر الرئيسية :

- ١ - مفاهيم الدعوة الاسلامية وأساليبها .
- ٢ - اعداد الدعاة ومسئولية الجامعة في هذا المجال .
- ٣ - أساليب الدعوات المضادة ، وأهدافها ، وآثارها .
- ٤ - المذاهب والاتجاهات الالحادية والمعادية للإسلام ، والفرق المرتدة والزائفة في هذا العصر وتحديد موقف الاسلام والمسلمين فيها .
- ٥ - أجهزة الاعلام والنشر ودورها في توجيه المجتمعات ، وتأثيراتها الضارة للدعوة الاسلامية في المجتمعات الاسلامية خاصة ، وفي غيرها عامة ، وما يجب أن يتخذ ازاءها .
- ٦ - مشكلات الدعوة والدعاة الى الاسلام في العصر الحديث ، وكيف يمكن التغلب عليها .

#### د - المؤتمر الاقتصادي الاسلامي الاول بمكة المكرمة :

انعقد هذا المؤتمر منذ أربعة أشهر ، وقد دعت اليه جامعة الملك عبد العزيز بجدة ٢٥٠ من خيرة علماء وفقهاء المسلمين في العالم ، وقدموا أكثر من ٢٠٠ بحث عن الاقتصاد الاسلامي ، والبدائل لكل ما هو موجود في عالمنا الاقتصادي من تأميمات ومعاملات مصرفية من وجهة النظر الاسلامية ، وكلها مستندة الى أدلة قرآنية وأحاديث نبوية شريفة .

ولا يسع جماعة أنصار السنة المحمدية ، ومجلة التوحيد الا أن تتنوه بهذه الجهود المبذولة في سبيل اظهار معالم الدين الاسلامي ، وابرار محاسنه ومزاياه ، والله نسأل أن يكمل هذه المؤتمرات بالتوفيق والنجاح .

# باب الفتوى

أعد وأجاب عن أسئلة هذا العدد رئيس التحرير

ورد اليينا من الاخوة والاخوات قراء المجلة أسئلة ، نذكرها ،  
ونجيب عنها فيما يأتي :

س ١ - من الاستاذ على الصحابي عبد الرحمن سكرتير جماعة  
أنصار السنة المحمدية بفاقوس - جاءنا سؤال ، خلاصته :

- أفتى خطيب الجمعة بحل لبس « الدبلة » المصنوعة من الذهب  
للرجال ، ذاكرا أن خلعا يفرق الاسرة . وأن التحريم لم يرد في القرآن  
الكريم ، ومشككا في صحة أحاديث التحريم ، بل شكك في البخارى  
نفسه ، وصحيحه ، فهل هذا صحيح ؟

ج ١ - اذا كان الاسلام قد أباح الزينة ، بل طلبها ، واستنكر  
تحريمها « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق  
قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة (١) » فانه حرم  
على الرجال نوعين من الزينة - على حين أحلهما للإناث :

• أولهما : التحلى بالذهب .

• ثانيهما : لبس الحرير الخالص (٢) .

فعن على رضى الله عنه قال : أخذ النبى صلى الله عليه وسلم  
حريرا ، فجعله فى يمينه ، وأخذ ذهبا فجعله فى شماله ، ثم قال : « ان  
هذين حرام على ذكور أمتى » (٣) .

وعن عمر رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) من آية ٣٢ من سورة الاعراف (٢) انما ذكرنا حكم لبس  
الحرير ايضا ، لان السؤال استطرد اليه من جهة ، واتمما للفائدة من جهة  
أخرى . (٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان ، وابن ماجه .  
وزاد ابن ماجه : « حل لانائهم »



يقول : « لا تلبسوا الحرير ، فان من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » (١) •

ورأى خاتما من ذهب في يد رجل ، فنزعه وطرحه ، وقال : « يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيجعلها في يده » فقليل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ خاتمك انتفع به • قال : لا والله ، لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) •

ومثل الخاتم ما نراه عند المترفين من قلم الذهب ، ساعة الذهب ، قداحة « ولاعة » الذهب ، علبة الذهب للسجاير ، والفم الذهب • الخ (٣) •

وأما ما ذكره خطيب الجمعة من أن خلع دبله الذهب يفرق الأسرة فمرد ذلك لاي جهل رجالنا ونسائنا بأحكام الدين ، وتحكم العادات والاهام الفاسدة في سلوكهم ، فعلينا أن نفقههم في الدين ، والغاية لا تبرر الوسيلة ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول :

« من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه ، وأسخط عليه من أراضاه في سخطه ، ومن أرضى الله في سخط الناس رضى الله عنه ، وأرضى عنه من أسخطه في رضاه ، حتى يزينه ويزين قوله وعمله في عينه » (٤) ويقول : « احفظ الله يحفظك » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح •

فمن سعى في مرضاة الله وان غضب غيره — كان الله في عونته ، وكفاه شر خلقه ، ومن سعى في مرضاة الناس — وان أغضب الله عز وجل — حجب الله عنه عونته ، وتركه ونفسه •

---

(١) رواه البخارى ومسلم (٢) رواه مسلم

(٣) من كتاب « الحلال والحرام » للدكتور يوسف القرضاوى •

(٤) رواه الطبرانى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه باسناد جيد قوى

وعلاوة الايمان الحق أن تفعل ما يرضى الرب ، وان أسخط الخلق ،  
 علامة الايمان الحق أن تكون أوامر الله أول ما تسمع ، ونواهيه في مقدمة  
 ما تدع وتترك « يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله  
 واتقوا الله ان الله سميع عليم » •

ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وليس هذا من باب  
 « الضرورات تبيح المحظورات » فليس ثمة ضرورة •

— وما ذكره الخطيب — كذلك — من أن التحريم لم يرد في القرآن  
 الكريم ، وتشكيكه في صحيح البخارى — يرد عليه ببيان منزلة السنة  
 من القرآن الكريم ، وأنها منزلة البيان (١) ، كما قال سبحانه : « وأنزلنا  
 اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون (٢) » •

والله تعالى يقول : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٣) ويقول:  
 « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٤) ويقول :  
 « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا  
 في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٥) ويقول : « وان  
 تطيعوه تهتدوا » (٦) ويقول : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم  
 الله ويغفر لكم ذنوبكم » (٧) ويقول : « فليحذر الذين يخالفون عن  
 أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (٨) •

(١) جاءت السنة في الجملة موافقة للقرآن الكريم ، تفسر مبهمه ،  
 وتفصل مجمله ، وتزيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتشرح أحكامه وأهدافه ،  
 كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم ، تتمشى مع قواعده ، وتحقق  
 أهدافه وغاياته ، ولعلنا نتمكن من كتابة مقال مستقل في بيان منزلة السنة  
 ومكانتها من القرآن الكريم ، مع ضرب الامثلة ان شاء الله . (٢) من آية  
 ٤٤ من سورة النحل (٣) من آية ٨٠ من سورة النساء . (٥) من آية  
 ٧ من سورة الحشر (٥) آية ٦٥ من سورة النساء . (٦) من آية ٥٤  
 من سورة النور (٧) من آية ٣١ من سورة آل عمران . (٨) من آية  
 ٦٣ من سورة النور .

ولقد روى الحاكم والبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي » •

وفي حديث صحيح يقول المقدم بن معد يكرب : « حرم النبي صلى الله عليه وسلم أشياء يوم خيبر ، منها الحمار الاهلي وغيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي ، فيقول : بيني وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرماناه • وأن ما حرم رسول الله كما حرم الله » •

فمرجع الشريعة الاسلامية ، والتحليل والتحریم الى هذين الاصلين الشريفين : القرآن الكريم ، والسنة النبوية •

والسنة النبوية متى ثبتت عن المعصوم — صلوات الله وسلامه عليه — فهي تشريع وهداية ، وواجبة الاتباع لا محالة •

ولا شك أن أصح كتابين في الاسلام بعد القرآن الكريم هما صحيح البخارى ، وصحيح مسلم •

وقد اشتهر صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وكتب السنن الاربعة (١) بالكتب السنة ، ولكل من أصحابها ميزة يعرف بها ، فمن أراد التفقه فعليه بصحيح البخارى ، ومن أراد قلة التعليقات فعليه بصحيح مسلم ، ومن رغب في زيادة معلوماته في فن التحديث فعليه بجامعة الترمذى ، ومن قصد الى حصر أحاديث الاحكام فبغيبته لدى أبى داود في سننه ، ومن كان يعنيه حسن التبويب في الفقه فابن ماجة يلبي رغبته ، فأما النسائى فقد توافرت له أكثر هذه المزاي (٢) •

(١) وهى : الترمذى ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والنسائى •

(٢) ص ١١٩ من كتاب : علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالحى الطبعة الثالثة •

وقد اشتهرت هذه الكتب الستة جميعها في ظاهرة الاسناد التي اقتصت بها هذه الامة ، فعلى الرغم من اختلاف مناهج الجامعين لهذه الكتب لم يسجلوا حديثا الا ومعه اسناده الذي تلقوه به مسلسلا متصل الحلقات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أسهمت هذه الظاهرة بنصيب كبير في حفظ السنة النبوية ، وأعانت على التمييز بين الصحيح والحسن والضعيف .

وقد أبدى المنصفون من المستشرقين اعجابهم بالجهد الكبير الذي بذله المسلمون لحفظ الاحاديث النبوية وتمييز صحيحها من ضعيفها (والفضل ما شهدت به الاعداء) .

قال المستشرق جوينبول ، كاتب مادة الحديث في دائرة المعارف الاسلامية : « لا يعد الحديث صحيحا في نظر المسلمين الا اذا تتابعت سلسلة الاسناد من غير انقطاع ، وكانت تتألف من أفراد يوثق بروايتهم وتحقق الاسناد جعل علماء المسلمين يقتلون الامر بحثا ، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم لمعرفة الوقت الذي عاشوا فيه وأحوال معاشهم ، ومكان وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية بالآخر ، بل فحصوا أيضا عن قيمة المحدث صدقا وكذبا ، وعن مقدار تحريه للدقة والامانة في نقل المتون ليحكموا أى الرواة كان ثقة في روايته » (١) .

ونوه الاستاذ ( آدم ميتز ) في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري بالدور العظيم الذي قام به علماء الحديث في تدوين السنة النبوية وخدمتها ، فقال : « وقد اعتنى نقاد الحديث منذ أول الامر بمعرفة رجال الحديث وضبط أسمائهم والحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعاف ، ثم نظروا في الاساس الذي يبنى عليه هذا الحكم ، أعنى الصفات التي يجب توافرها في المحدث الثقة ، وهى ما يعرف بالجرح والتعديل .

(١) من ص ٢٣٥ المجلد السابع من دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية .

وقد أدت بهم حاجتهم الى السند المتصل أن يتجاوزوا البحث في حياة الرواة والحكم عليهم الى عمل تاريخ كامل لهم ، وهكذا وجدت تواريخ القرن الثالث الهجرى ، مثل : تاريخ البخارى ، وطبقات ابن سعد . . . الخ » (١) .

ألا فليتيق الله هؤلاء المفتون بغير ما أنزل الله ، حتى لا يحملوا أثقالهم ، وأثقالا مع أثقالهم ، وحتى لا يسألوا يوم القيامة عما كانوا يفتنون « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل آله أذن لكم أم على الله تفترون ؟ » .

ولا يشككوا عامة المسلمين في الاصل الثانى من أصول التشريع ، وقد شهد بصحته وتوثيقه المستشرقون من غير المسلمين ، والفضل ما شهدت به الاعداء ، وليعلموا أن العالم يزل بزلته عالم ، وليربثوا بمكانتهم التى وضعهم الله فيها من الامامة والعلم ولا يضللوا الناس .

والله تعالى نسأل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ، وأن يوفقنا للصواب والسداد ، انه الاعلى والاعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (٢) .

---

(١) ٤/٣١٩ من كتاب الحضارة الاسلامية لادم ميتز ، الترجمة العربية ل محمد عبد الهادى أبو ريده .

(٢) نكتفى في هذا العدد بالاجابة عن هذا السؤال ، فقد ضاق المقام من اجابة سائر الاسئلة ، وقد بدأنا به لاهيته من حيث الموضوع ، ومن حيث المنهج في التعليل والاستدلال للأحكام بعد أن عمت البلوى ، احقاقتا للحق ، ودمغا للباطل ، وان شاء الله سنوالى — تباعا — الاجابة عن الاسئلة التى وردت ، والتى ترد الينا ، ومنها : أسئلة المواريث ، وتفضيل بعض العبادات على بعض ، وطيران الميت بالنعش ، وحكم الختان . الخ ، وسيشارك في الاجابة عن هذه الاسئلة علماء الجماعة ، والمجلة ، والله — تعالى — اعلم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ٧ -



للأستاذ عنتز أحمد حشاد  
الموجه العام بوزارة التعليم

ج - عرض عام للسورة :

المدخل الى المقصد الآخر : في خمسة عشرة آية ( الآيات من ١٦٣ -

الى ١٧٧ ) •

عرفنا في مقاصد السورة (١) أنها تستهدف - في جملتها - غرضين

أساسيين ، وتفيض فيهما :

١ - الغرض الاول ، أو المقصد الاول ، وهو توجيه الدعوة الى بنى اسرائيل ، ومناقشتهم فيما كانوا يثرونه حول الرسالة المحمدية من تشكيك وتشبه ، وفي سبيل ذلك أخذت تذكرهم بنعم الله على أسلافهم ، ومعونته لهم في الشدائد والازمات ، وبما انتاب هؤلاء الاسلاف حينما التفت عقولهم عن تلقى دعوة الحق من أنبيائهم السابقين ، وارتكبوا ما ارتكبوا من صنوف العناد والتكذيب والمخالفة ، وتفنن مزاعمهم في أنهم على دين ابراهيم عليه السلام •

وقد استغرق هذا الغرض نصف السورة تقريبا من قوله تعالى :

« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون » الآية ٤٠ •

٢ - الغرض الآخر ، أو المقصد الآخر ، وهو التشريع الذى اقتضته حاجة المسلمين بعد الهجرة الى المدينة ، وبعد تكونهم جماعة متميزة عن غيرها ، في عباداتها ، ومعاملاتها ، وعاداتها •

(١) في ص ٦ من عدد ذى الحجة ١٣٩٥ من المجلة .

وهذه الآيات ( من ١٦٣ الى ١٧٧ ) واسطة العقد تربط بين هذين المقصدين ، بين المقصد الاول ، والمقصد الآخر ، فهي بمثابة الدهليز بين الباب والدار ، يقطعها السائر في خطوات ثلاث :

( الخطوة الاولى ) تقرير وحدة الخالق المعبود ، ( الخطوة الثانية ) تقرير وحدة الأمر المطاع ، ( الخطوة الثالثة ) فهرس اجمالى للاوامر والطاعات المطلوبة .

### الخطوة الاولى : تقرير وحدة الخالق المعبود .

لقد جاءت هذه الخطوة فى أشد أوقات الحاجة إليها بين سابقها ولاحقها ، فان ما مضى من تعظيم أمر الكعبة ومقام ابراهيم والصفاء والمروة كان من شأنه أن يلقى فى روع الحديث العهد بالاسلام معنى من معانى الوثنية الاولى فى تعظيم الاحجار والمواد ، ولا سيما وهذه الأماكن المقدسة كانت يومئذ مباءة للأصنام والأنصاب من حولها ومن فوقها ، فوجب ألا يترك هذا التعظيم دون تحديد وتقييد ، وألا تترك هذه الخلجات النفسية دون دفع وابعاد ، حتى لا يبقى شك فى أن قيام المصلين عند مقام ابراهيم ، وتوجيه وجوههم نحو الكعبة ، وتمسح الطائفين بأركانها ، وتقبيل الحجر الاسود ، وطواف الحجاج والمعتمرين بين الصفا والمروة ، كل أولئك لا يقصد به الاسلام توجيه القلوب الى هذه الاحجار والآثار — تزلفا بعبادتها ، أو رجاء لرحمتها ، أو طلبا لشفاعتها ، وانما يقصد تعظيم الاله الحق ، وامثال أمره بعبادته فى مواطن رحمته ، ومظان بركته ، التى تنزلت فيها على عباده الصالحين من قبل ، ثم تجديد ذكرى أولئك الصالحين فى النفوس ، وتمكين محبتهم فى القلوب ، باقتفاء آثارهم ، والتأسى بحركاتهم وسكناتهم ، حتى يتصل حاضر الامة بماضيها ، وحتى تنتظم منها أمة واحدة تدور حول محور واحد ، وتتجه الى مقصد واحد هو أعلى المقاصد وأسمأها ، مقصد التوحيد « والهكم اله واحد لا اله الا هو (١) » أتدرون من ذلك الاله

الواحد؟ انه ليس الكعبة ، وليس الصفا والمروة ، ليس ابراهيم ، ولا مقام ابراهيم ، ولكنه ( الرحمن الرحيم ) الذى وسع كل شىء رحمة ونعمة ( ان فى خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والارض آيات لقوم يعقلون ( ١ ) ) وهو الذى بيده القوة كلها ، والبأس كله : لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد ( ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ( ٢ ) ) .

وفى هذا تأكيد للمقصد الاول : مقصد دعوة بنى اسرائيل الى الاسلام وتوحيد الله ، وكذلك فيه تأسيس وتقديم ، وتوطئة وتمهيد لا بد منه قبل الشروع فى تفصيل الاحكام العملية ، فى المقصد الآخر للسورة ، ليكون ذلك توجيها للانظار الى الناحية التى ينبغى أن يتلقى منها الخطاب فى شأن تلك الاحكام ، ذلك أن المرء اذا عرف له سيذا واحدا ، وأسلم وجهه اليه وجب ألا يصدر الا عن أمره ، ولا يأخذ التشريع الا من يده ، ومن كانت له أرباب متفرقون ، وتنازعت فيه شركاء متشاكسون تقاضاه كل واحد منهم نصيبه من طاعته ، وكثرت عليه مصادر الامر المطاع : فأمر للآباء والعشيرة ، وأمر للعرف والعادات الموروثة والمستحدثة ، وأمر للسادة والكبراء ، وأمر للشياطين والاهواء ، ولذلك عززها بالخطوة الثانية :

### الخطوة الثانية : تقرير وحدة الأمر المطاع :

وهى ركن من عقيدة التوحيد فى الاسلام ، فكما أن أصل التوحيد ألا تتخذ فى عبادتك لها من دون الرحمن الذى بيده الخلق والرزق والضرب والنفع — كذلك من أصل التوحيد ألا تجعل لغير الله حكما فى تصرفاتك ، بل تعتقد أن لا حكم الا له ، وأن بيده وحده الامر والنهى ،

( ٢ ) من الآية ١٦٥

( ١ ) الآية ١٦٤

وأن الحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله ، ومن استحل حرامه ، أو حرم حلاله فقد كفر ، وكما لا يليق أن يكون هو الخالق ويعبد غيره ، وأن يكون هو الرازق ويشكر غيره — لا يليق أن يكون هو الحاكم ويطاع غيره ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق : ( يأيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين (١) ) .

لقد حدد الاسلام السلطة التي تملك التحليل والتحرير ، فانترعها من أيدي الخلق ، أيا كانت درجتهم في دين الله أو دنيا الناس ، وجعلها من حق الرب تعالى وحده . . . فلا أحبار أو رهبان ، ولا ملوك أو سلاطين ، يملكون أن يحرموا أو يحلوا ما لم يأذن به الله . . . ومن فعل ذلك منهم فقد تجاوز حده ، واعتدى على حق الربوبية في التشريع للخلق ، ومن رضى بعملهم هذا واتبعه فقد جعلهم شركاء لله ، واعتبر اتباعه هذا شركا ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله (٢) ) وهذا هو الذي يسمى بشرك الطاعة ، كما يسمى اتخاذ الآلهة من دون الله بشرك العبادة . يقول ابن كثير في تفسيره : « وقوله تعالى : « وان أطمعتموهم انكم لمشركون (٣) » أى حيث عدلتم عن أمر الله لكم ، وشرعه — الى قول غيره ، فقدمتم عليه غيره ، فهذا هو الشرك .

وقد نعى القرآن على أهل الكتاب الذين وضعوا سلطة التحليل والتحرير في أيدي أحبارهم ورهبانهم ، فقال تعالى في سورة التوبة : ( اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون (٤) ) .

وقد جاء عدى بن حاتم الى النبي صلى الله عليه وسلم — وكان قد دان بال نصرانية قبل أن يسلم — فلما سمع النبي — صلى الله عليه وسلم — يقرأ هذه الآية قال : يا رسول الله انهم لم يعبدوهم ، فقال : « بلى ، انهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام ، فذلك عبادتهم اياهم (٥) » .

(١) الآية ١٦٨ (٢) من آية ٢١ من سورة الشورى .  
(٣) من آية ١٢١ من سورة الانعام . (٤) الآية ٣١ من سورة التوبة .  
(٥) الترمذى ، وغيره ، وحسنه .

وفي رواية أن النبي عليه الصلاة والسلام قال تفسيرا لهذه الآية :  
« أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئا  
استحلوه ، واذا حرموا عليهم شيئا حرموه » .

ولا زال النصارى يزعمون أن المسيح عيسى — عليه السلام —  
أعطى تلامذته — عند صعوده الى السماء — تفويضا بأن يحلوا ويحرموا  
كما يشاءون ، كما جاء في انجيل متى ١٨ : ١٨ « الحق أقول لكم ، كل  
ما تربطونه على الارض يكون مربوطا في السماء ، وكل ما تحلونه على  
الارض يكون محلولا في السماء » .

ومن هذه الآيات البينات ، والأحاديث الواضحات عرف فقهاء  
الاسلام معرفة يقينية أن الله وحده هو صاحب الحق في أن يحل ويحرم  
في كتابه أو على لسان رسوله ، وأن مهمة الفقهاء لا تعدو بيان حكم الله  
فيما أحل وما حرم ، وليست مهمتهم التشريع الديني فيما يجوز  
وما لا يجوز .

وكانوا — مع امامتهم واجتهادهم — يهربون من الفتيا ، ويحيل  
بعضهم على بعض ، خشية أن يقعوا — خطأ — في تحليل حرام ،  
أو تحريم حلال .

نجد ذلك واضحا في كلام الائمة جميعا : أبى حنيفة ، والشافعي ،  
ومالك ، وابن حنبل ، والقاضي أبى يوسف .

وقد نقل ابن مفلح عن شيخ الاسلام ابن تيمية : أن السلف لم  
يطلقوا الحرام الا على ما علم تحريمه قطعا .

فليعرف هذا المقلدون الذين يسارعون باطلاق كلمة « حرام »  
أو كلمة « حلال » من غير دليل أو شبهة دليل (١) .

### عنتر حشاد

---

(١) ومن اراد التفصيل في هذا الموضوع فليرجع الى : الحلال والحرام  
في الاسلام للدكتور يوسف القرضاوى والى تفسير الآيات ( من ١١٨ — الى  
١٢٢ ) من سورة الانعام للشيخ مناع القطان في كتابه تفسير آيات الاحكام .

## مؤتمر اسلامى فى كراتشى \*

عقد مؤتمر اسلامى فى كراتشى فى الفترة من ١٢ - الى ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ هـ ، حضره واحد وثلاثون عالما برياسة الاستاذ الجليل ، العلامة المحقق السيد سليمان الندوى رحمه الله ، وكان موضوعه : « المبادئ الاساسية للدولة الاسلامية » .

ويسرنا ان نقدم اهم قرارات هذا المؤتمر للاخوة القراء ، فى وقت يهتم فيه المسلمون بالدستور الاسلامى ، وكيف يمكن وضعه وصوغه لدولة اسلامية عصرية ، واليكم خلاصة هذه القرارات :

### المقدمة

« الدستور الاسلامى » وكيف يمكن وضعه وصوغه لدولة اسلامية عصرية ، وقد أصبح اليوم مسألة خطيرة تهم المسلمين وتشغل بالهم فى جميع أقطار العالم الاسلامى ، فكثيرا ما تراهم يتساءلون : هل الاسلام دستور للدولة أم لا ؟ فان كان فما هى مبادئه وتفصيله ، وكيف يمكن ابرازه الى حيز الوجود والعمل ؟ وهل فى مبادئه وتفصيله العملية شىء يمكن الاتفاق عليه بين علماء المسلمين جميعا على اختلاف مذاهبهم ومسالكتهم ؟ .

فهذه مسائل فى باب الدستور الاسلامى تكاد تكون حديث الامة الاسلامية فى الاندية والمحافل الدينية والسياسية اليوم .  
ولأجل ذلك اشدت الشعور بمسئس الحاجة الى مؤتمر يجتمع فيه نخبة من علماء المسلمين ممن يوثق بهم ويرجع اليهم ، ليتفقوا جميعا على المبادئ الاساسية لدستور اسلامى خالص ، بل ليرتبوا ، وفقا لهذه المبادئ الاساسية ، مقترحات فى الدستور الاسلامى ترضى بها وتقبلها جميع الفرق الاسلامية . ومن هنا انعقد مؤتمر فى كراتشى لهذا الغرض الجليل خاصة برياسة الاستاذ الاجل العلامة المحقق السيد سليمان الندوى رحمه الله وذلك فى ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ هـ للنظر والمشاورة فى هذه المسألة المهمة ، والوصول الى نتيجة متفق عليها بين علماء هذه البلاد جميعا

(\*) أعد هذه الحلقة رئيس التحرير .



فهذه الرسالة مشتملة على ما اتفق عليه هؤلاء العلماء في هذا المؤتمر من المبادئ الأساسية للدولة الإسلامية .

### المبادئ الأساسية للدولة الإسلامية

يجب أن يكون في دستور الدولة الإسلامية تصريح بما يأتي من المبادئ :

١ - أن الحاكم الحقيقي ، من حيث التشريع والتكوين ، هو الله رب العالمين وحده .

٢ - يكون قانون البلاد مبنيا على قواعد الكتاب والسنة ، ولا يوضع قانون ولا يصدر أمر اداري يخالف الكتاب والسنة .

التنبيه : ان كانت البلاد نافذا فيها من القوانين ما يخالف الكتاب والسنة ، فلا بد في الدستور من النص على أنها تتسخ أو تغير وفقا للشريعة الإسلامية تدرجا في مدة محدودة .

٣ - لا تقوم الدولة على أساس نظرية اقليمية أو لسانية أو نسلية أو غيرها من النظريات الباطلة الاخرى ، وانما تقوم على مبادئ وغايات أساسها ما جاء به الاسلام من نظام للحياة البشرية .

٤ - على الدولة الإسلامية أن تقيم الحسنة وتستأصل السيئات على ما أرشد اليه الكتاب والسنة وأن تعمل على احياء الشعائر الإسلامية واعلاؤها تهييء التعليم الديني اللازم للجميع .

٥ - على الدولة أن تعمل على توكيد ما بين مسلمي العالم من أواصر الاخوة والاتحاد وأن تسعى في المحافظة على وحدة الامة المسلمة وأحكامها بأن تسد على سكان البلاد والمسلمين طرقا يتسرب بها اليهم الفوارق العنصرية واللسانية والاقليمية وما اليها من الفوارق المادية الاخرى على قواعد العصبية الجاهلية .

٦ - تكفل الدولة الحاجات اللازمة الانسانية ، كالمأكل والملبس والمسكن والعلاج والتعليم لكل من كان غير أهل لاكتساب الرزق أو لم يعد قادرا عليه أو عجز عنه عجزا مؤقتا لسبب من الاسباب النازلة ، كالبطالة والمرض مثلا ، من غير أن يفرق في ذلك بين الناس لاجل أديانهم أو سلالاتهم .

٧ - يتمتع أهل البلاد في حدود القانون - بجميع الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية من حماية النفس والمال والعرض وحرية المبدأ والمسلك وحرية العبادة والحرية الشخصية وحرية ابداء الرأي وحرية التنقل وحرية الاجتماع وحرية المحاولة لاكتساب الرزق والمساواة في فرص الرقى والاستفادة من المؤسسات الاجتماعية .

٨ - لا يسلب أحد من سكان البلاد حقا من هذه الحقوق الا اذا كان له مساع في الشريعة الإسلامية ولا يعاقب أحد على ذنب أو جريمة الا بعد أن يسمح له بالدفاع عن نفسه وتحكم عليه المحكمة .

٩ - وسكان الدولة من غير المسلمين يتمتعون في ضمن حدود القانون بحرية تامة في ديانتهم وعبادتهم وثقافتهم وتعليمهم الديني . وكذلك يكون من حقهم أن يطالبوا بالقضاء في أحوالهم الشخصية حسب قانونهم أو رسومهم وتقاليدهم .

١٠ - من المحتوم على الدولة أن تحافظ على جميع العهود والمواثيق التي قطعتها لغير المسلمين من سكان البلاد . ويتمتع سكان البلاد بالحقوق المدنية التي ذكرت في المادة السابعة من غير ما فرق بين المسلمين وغير المسلمين .

١١ - لا بد أن يكون رئيس الدولة مسلما ذكرا يعتمد الجمهور أو ممثلوهم المنتخبون على تدينه وكفائه وسداد رأيه .

١٢ - رئيس الدولة هو المسئول الحقيقي عن تسيير شئون الدولة غير أنه يجوز له أن يفوض جانبا من صلاحياته الى فرد أو جماعة .

١٣ - لا يستبد رئيس الدولة بالامر دائما وانما يسير امر الحكومة على منهاج الشورى ، ومعنى ذلك أنه يدير شئون الحكم ويؤدى واجباته بمشورة من أعضاء الحكومة وممثلي الجمهور المنتخبين .

١٤ - لا يجوز لرئيس الدولة أن يعطل الدستور كله أو جزاءه ويستبد بالحكم دون الشورى .

١٥ - والجماعة التي تخول حق انتخاب رئيس الدولة هي التي يكون في مكنتها أن تعزله عن منصبه بأغلبية الآراء .

١٦ - رئيس الدولة يكون مساويا لجمهور المسلمين في الحقوق المدنية ولا يكون بريئا من سلطة القانون .  
١٧ - لا يكون لاعضاء الحكومة وعمالها وللعامه الا قانون ونظام واحد ، ولا ينفذه فيهم الا المحاكم العامة في البلاد .

١٨ - تكون الهيئة القضائية في البلاد منفصلة عن الهيئة التنفيذية ومستقلة عنها ، حتى لا تتأثر في القيام بواجباتها بما للهيئة الادارية من السلطة .

١٩ - لا يسمح بالنشر والدعوة الى الافكار والنظريات التي تتناقض المبادئ الاساسية للدولة وتهددها بالفساد والاضطراب .

٢٠ - مقاطعات البلاد وولايتها المختلفة تعتبر أجزاء ادارية للدولة ولا تكون منزلتها كوحدات ( Wots ) نسلية أو لسانية أو قبلية . بل انما تكون بمثابة مناطق ادارية يمكن أن تفوض اليها الصلاحيات الادارية تحت اشراف الحكومة المركزية ورقابتها نظرا الى المصالح الادارية ، الا أنها لا يسمح لها أبدا بالاستقلال والانفصال عن المركز .

٢١ - لا يقبل تفسير شيء من الدستور بما يخالف الكتاب والسنة .  
عنتر حسان

\* \* \*

### تهنئة

يسر المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ، وجميع فروعها أن تهنيء فضيلة الدكتور محمد جميل غازي أحد أبنائها العلماء العاملين بنبيله درجة الدكتوراه في الأدب العربي بتقدير امتياز ، مع مرتبة الشرف الأولى ، راجين له حياة طيبة .

عنهم الرئيس العام للجماعة  
ورئيس تحرير المجلة

## باب الفتوى

### في الرضاع وفي الميراث \*

(١) في الرضاع : ورد اليينا من الاخوين الاستاذين : محمد برغوث

بأنصار السنة بظنطا ، وبخيت عبد الرحمن بأنصار السنة

بانقاهرة السؤالان الآتيان :

١ - فتاة رضعت من أم فتى يكبرها بخمس سنوات ، أى لم

يتلاقيا فى وقت واحد على الرضاع .

فهل يحل لهذا الفتى أن يتزوجها ؟ ولماذا ؟

٢ - ابن عم فتاة يريد الزواج منها ، علما بأنه رضع من أم والدها

رضاعة كاملة .

فما حكم هذا الزواج ؟

وفى الجواب عن السؤالين نذكر - باجمال - أن الزواج فى كلتا

الحالتين المبينتين فى السؤالين حرام ، والعقد باطل ، وتفصيل ذلك ،

وتعليه فيما يأتى :

١ - يثبت التحريم بين الرضيعين من المرضعة الواحدة ، سواء

اتحد زمن رضاعتهما أم اختلف ، وسواء أكان زوج المرضعة واحدا ،

بأن أرضعتها وهى تحت زوج واحد ، أم تعدد ، بأن أرضعت أحدهما

وهى تحت زوج ، ثم مات عنها أو طلقها ، وأرضعت الآخر وهى تحت

الزوج الثانى ، فالمرضعة فى الحالتين أمهما معا ، وهما أخوان لام من

الرضاعة ، لا يحل الزواج بينهما .

٢ - وفى السؤال الثانى أصبح ابن العم برضاعه من جدة الفتاة

( الابوية ) عما لها ، لانه أصبح أخوا من الرضاع لابيها ، وان اختلف

زمن الرضاعة كما سبق بيانه فى - ١ .

٣ - ثبت تحريم الزواج بالرضاع ، كما ثبت بالنسب ، بما جاء

فى القرآن الكريم من قوله تعالى « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم

وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت » ثم قوله :

\* أعد واجاب عن أسئلة هذا العدد رئيس التحرير .

« وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة (١) » .  
 فصل محرّمات النسب في سبعة أصناف ، ثم أجمل في المحرّمات  
 بالرضاع ، وذكر منهن صنفين هما : « الأمهات ، والأخوات » وجاء  
 الحديث الصحيح المشهور ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « يحرم  
 من الرضاع ما يحرم من النسب » مبينا أن الصنفين اللذين ذكرا في  
 التحريم بالرضاع يتناولان الاصناف السبعة التي ذكرت في التحريم  
 بالنسب .

٤ - القدر المحرم من الرضاع أن يكون - على الأقل - خمس  
 رضعات متفرقات ، مشبعات ، متيقنات ، وهو المفتى به .  
 ٥ - والرضاع المحرم هو ما كان قبل أن يتجاوز عمر الطفل  
 سنتين قمريتين ( بالشهور العربية (٢) ) .  
 (ب) وفي الميراث تقدم الينا الأخ أحمد عبد الفتاح بالسؤال  
 الآتي :

مات الميت عن زوجتين اثنتين ، وبنت واحدة ، وأخت شقيقة .  
 وفي الجواب نذكر أن للزوجتين  $\frac{1}{8}$  ثمن التركة ( يشتركان فيه  
 بالتساوي ) وللبنت النصف ، وللأخت الشقيقة الباقي تعصيبا ( وهو  
 في هذه المسألة  $\frac{2}{8}$  التركة ) .  
 وذلك لقوله تعالى في ميراث الزوجات : « فإن كان لكم ولد فلهن  
 الثمن مما تركتم » .

وفي ميراث البنت « وان كانت واحدة فلها النصف » .  
 ولقوله - صلى الله عليه وسلم - في ميراث الأخوات : « اجعلوا  
 الأخوات مع البنات عصبة » .  
 والمقصود بالأخوات في الحديث الشقيقات ، أو لآب فقط .  
 والعصبة من يأخذ التركة كلها ان لم يكن معه صاحب فرض مقدر ،  
 ويأخذ الباقي من التركة ان كان معه صاحب فرض . هذا ، وبالله التوفيق .

**عنتر حشاد**

(١) من الآية ٢٣ من سورة النساء .

(٢) أرجع الى كتاب الفتاوى للشيخ محمود شلتوت . والى كتابنا :  
 الهادي في التربية الدينية للصف الثالث من دور المعلمين والمعلمات ، والتربية  
 الدينية الاسلامية للصف الثاني الثانوي .

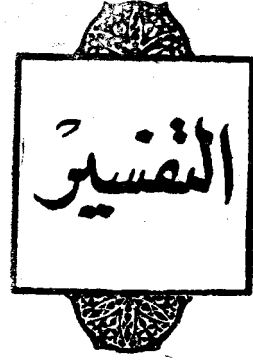
# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ٨ -

للأستاذ عنتر أحمد حشاد  
الموجه العام بوزارة التعليم



### ج - عرض عام للسورة :

المدخل الى المقصد الآخر : في خمس عشرة آية ( الآيات من ١٦٣ -  
الى ١٧٧ ) •

عرفنا في العدد السابق أن هذه الآيات تربط بين مقصدى السورة :  
المقصد الاول في دعوة بنى اسرائيل الى الاسلام • والمقصد الآخر  
في التشريع للمسلمين •

كما رأينا أن هذه الآيات تسير في خطوات ثلاث :

( الخطوة الاولى ) تقرير وحدة الخالق المعبود ( الخطوة الثانية )  
تقرير وحدة الأمر المطاع ( الخطوة الثالثة ) مهرس اجمالى للأوامر  
والطاعات المطلوبة •

وقد انتهينا من الحديث عن الخطوتين الاوليين (١) ، فلنتحدث عن  
الخطوة الثالثة • وهى الاخيرة •

الخطوة الاخيرة : اجمال الشرائع الدينية :

وذلك فى الآية (١٧٧) من هذه السورة ، وهى التى تسمى « آية  
البر » : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن  
البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وآتى المال  
على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى

(١) راجع فى ذلك التفسير فى العدد الثامن من هذه المجلة .



الرقاب ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ،  
والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا  
وأولئك هم المتقون » •

وهذه الآية الكريمة تنفع من سورة البقرة في منتصفها ، في مكان  
هو واسطة عقد ينتظم هدفها ، تصور لنا حبات أحد جانبيه توجيه الدعوة  
الى بنى اسرائيل ، وتصور لنا حبات الجانب الآخر بعد هذه الآية ما يجب  
على المؤمنين أن يتخذوه أساسا في البر بأنفسهم ، وأمتهم ومجتمعهم ،  
في جنائياتهم وعباداتهم ، وفي علاقتهم بمن يخالفهم في الدين ، وفي نظام  
الاسرة بينهم ، وفيما يوجبه عليهم تضامنهم الاجتماعي ، وفيما يطهر  
مجتمعهم من مساوئ الطغيان المالى ، وفيما يجب أن يتخذوه من وسائل  
الاستيثاق في الحقوق المدنية ، ويبدأ هذا الجانب من قوله سبحانه :  
« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى (١) » الى آخر  
السورة •

هذه حبات جانبي العقد الذى ينتظم موضوعات سورة البقرة ،  
والتي جاءت آية البر واسطة لها •

ولكى تربط هذه الآية بين جانبي السورة وهدفها نفت أولا ارتباط  
البر وقصره على شئ من المظاهر والصور والاشكال ، فمسألة تعيين  
الاماكن والجهات في مظاهر العبادات — تلك المسألة التي شغلت بال  
المخالفين والمؤلفين نقدا وردا — ليست هي كل ما يطلب الاشتغال به  
من أمر البر « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » (٢)  
بل هي شعبة واحدة من جملة الشعب التي تشتمل عليها خصلة واحدة  
من جملة خصاله ، وأرشدت الى أن البر (٣) أنواع ثلاثة جامعة لكل  
خير : بر في العقيدة ، وبر في العمل ، وبر في الخلق ، بر في معاملة  
المخلوق ، وبر في عبادة الخالق ، وبر في تركية الاخلاق ، فبتلك الخصال  
جميعها فليشغل المؤمنون الصادقون :

(١) من الآية ١٧٨

(٢) ففيها رد لما كان من اليهود من قولهم : « ما ولاهم عن قبلتهم  
التي كانوا عليها » .

(٣) البر : كلمة جامعة لكل معانى الخير •

## البر في العقيدة :

فالبر في العقيدة بينته الآية في قوله تعالى : « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » أمور خمسة :

الايمن بالله في ربوبيته ، في عبادته ، في وحدانيته ، في اعتقاد أنه هو وحده النافع الضار ، الرافع الخافض ، المعز المذل ، القابض الباسط ، القاهر فوق عباده ، الذي لا تعنو الوجوه (٤) الاله ، ولا تنتجه القلوب الا اليه . هذا الايمان المطلق بالاله وعظمة الاله هو الذي يرفع النفوس الى مكانة التكريم والسمو التي ارادها الله للانسان .

والايمن باليوم الآخر ، يوم الجزاء على الاعمال ، يوم المحاسبة على ما في القلوب والضمائر . وهذا الايمان باليوم الآخر يغرس في النفوس محبة الخير والحرص على اسداء المعروف ، وكراهية الشر ، وتجنب الاذى والافساد في الارض .

والايمن بالله ، والايمن باليوم الآخر على الوجه الحق — وهما من الغيب المطلق — لا يمكن لعقل بشرى أن يصل اليه مستقلا ، فان العقل البشرى ذو استعداد محدود ، ويحيط به مع ذلك الهوى والشهوة ، فلا بد من أن يهدى من مصدر لا يحد علمه ، ولا ترقى اليه الاهواء والنزعات ، وهو الله الذي لا يعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السماء وهو الحكيم الخبير .

اذن لا بد من واسطة بين هذا المصدر وبين الخلق ، هي طريق المعرفة لواجب الايمان بالله واليوم الآخر : هذه الواسطة تتكون من ثلاثة عناصر : الملائكة ، والكتاب ، والنبيين ، فلا بد من الايمان بها ، ولا يتحقق البر بانكار شيء منها ، وبهذه الامور الخمسة يكون البر في العقيدة « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » .

## البر في العمل :

وللبر في العمل شعب كثيرة ، ترجع كلها مهما تنوعت الى بذل

(٤) عنت الوجوه : خضعت وخشعت .

النفس والمال ابتغاء مرضاة الله ، وهناءة خلق الله ، والعمل يغذى العقيدة ، وفي نفس الوقت هو ثمرتها •

وقد ذكرت الآية بذل النفس في أعظم مظهر من مظاهر بذل النفس، ذلك هو اقامة الصلاة • الصلاة هي عماد الدين ، وهي الفارق بين المؤمن وغير المؤمن ، الصلاة هي مناجاة العبد لربه ، الصلاة هي الناهية عن الفحشاء والمنكر ، العاصمة من الهلع والجزع ، وذكرت الآية بعد ذلك بذل المال في صورتين : صورة ايتاء المال مع حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وصورة ايتاء الزكاة ، وبمقتضى هذا الوضع القرآنى يفهم أن الزكاة شيء ، وأن ايتاء المال على حبه هؤلاء الاصناف شيء آخر لا يندرج في الزكاة ، ولا تغنى عنه الزكاة •

فهؤلاء الاغنياء والقادرون الذين ينفقون الزكاة ، ولا يمدون يد المساعدة لسد حاجة المحتاجين ، ودفع ضرورة المضطرين ، والقيام بمصالح المسلمين – ليسوا على البر الذى يريده الله من عباده •

وهذا أصل عظيم في تنظيم الحياة الاجتماعية يباح به للحاكم أن يشرع ألوانا من الضرائب العادلة وراء الزكاة اذا لم تف الزكاة بحاجة الافراد والمجتمع •

### البر في الخلق :

أما البر في الخلق فقد ذكرته الآية في مبدئين : مبدأ القيام بالواجب وقد عبرت عنه الآية بقولها : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » ومبدأ مقاومة الطوارئء والتغلب على عقبات الحياة ، وقد عبرت عنه الآية بقولها : « والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » •

والعهد لفظ شامل يجمع ألوانا من الارتباطات والالتزامات لا غنى للناس عنها ، ولا استقامة للحياة بدونها ، وهي على كثرتها ترجع الى عهد بين العبد وربه ، أو عهد بين الانسان والانسان ، أو عهد بين الدولة والدولة •

وعهود الله مع عباده كثيرة • منها العام ، ومنها الخاص :

« ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان (١) » ، « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لنا معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (٢) » .

أما عهود العباد بعضهم مع بعض فهي تتمثل فيما يحدث بينهم من عقود والتزامات مالية ، أو غير مالية ، وكذلك فيما يحدث بين الامة والامة في تحديد الحقوق والالتزامات ، وكلها يجب الوفاء بها ما لم تكن في معصية الله بتضييع حق ، أو الحاق أذى بالفرد أو الامة .

أما مبدأ المقاومة والصبر في الحياة فقد ذكرته الآية في ثلاث حالات ، هي أبرز ما يظهر فيه الهلع والجزع : البأساء (٣) ، والضراء (٤) وحين البأس (٥) .

والصبر عدة النجاح في الحياة ، ومصدر جميع الفضائل الانسانية ، والسبيل الوحيد للتغلب على جميع الصعاب ، وليس الصبر هو الخضوع والاستكانة من غير مقاومة ولا عمل ، وانما الصبر جهاد ومحاولة ، مع الاحتفاظ برباطة الجأش والثقة بحسن العاقبة .

هذه عناصر البر في العقيدة ، والعمل ، والخلق ، وهي دستور قوى متين ترقى به الامم الى أوج العزة والكرامة ، وتتأى به عن الشرور والفساد .

وحسبنا في ذلك أن الآية بعد ذكر هذه العناصر قد حصرت الصدق والتقوى في هؤلاء الابرار « أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » صدقوا في ايمانهم ، صدقوا في أعمالهم ، صدقوا في أخلاقهم ، وهم الذين يصدق عليهم أنهم هم المتقون على الاطلاق ، الذين يعملون لكل ما يصلحهم ويصلح الناس ، ويتجنبون كل ما يضرهم ويضر الناس .

### عنتر حشاد

(١) من الآية ٦٠ من سورة يس (٢) آية ٨١ من سورة آل عمران

(٣) البأساء : من البؤس وهو الشدة والفقر .

(٤) الضراء : ما يضر الانسان من مرض أو فقد محبوب : مال أو اهل

أو ولد (٥) البأس : اشتداد الحرب .

# آداب الصوم

## لرئيس التحرير

نكل عبادة من العبادات آدابها : للوضوء آدابه ، وللصلاة آدابها ، ولكل من الزكاة ، والحج ، والاعتكاف آدابها — وكذلك للصوم آدابه •

من هذه الآداب ما تجب مراعاته ، ومنه ما يستحب ، فيجب على الصائم :

١ — أن يجتنب ما يخل بصومه من قول الزور ، واللغو والكذب في الحديث ، والغيبة والنميمة ، وأن يخفض النظر عما حرم الله ، وأن يبتعد عن المعاصي ، وبهذا ينتفع بصومه ، وتحصل له التقوى التي جعلها الله الحكمة من الصيام بقوله سبحانه :

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (١) » فالصوم ليس مجرد امسك عن الاكل والشرب ، وانما هو امسك — كذلك — عن سائر ما نهى الله عنه ، فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يدع (٢) قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه (٣) » وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر (٤) » وعنه أيضا • أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الصيام من الاكل والشرب ، وانما الصيام من اللغو والرفث ، فان سابك أحد أو جهل عليك ، فقل : انى صائم ، انى صائم (٥) » •

(١) آية ١٨٣ من سورة البقرة (٢) يترك

(٣) رواه الجماعة الا مسلما (٤) روه النسائي وابن ماجه والحاكم

(٥) رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم •

ويستحب للصائم مراعاة الآداب الآتية :

١ - أن يتسحر ( والسحور (١) : الأكل من منتصف الليل الى طلوع الفجر ، فمن أكل قبل منتصف الليل لا يعد متسحرا ) •

وقد أجمعت الأمة على استحبابه ، فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تسحروا فان في السحور بركة » رواه البخارى ومسلم •

وعن المقدم بن معديكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بهذا السحور ، فانه هو الغذاء المبارك » رواه النسائى بسند جيد • وسبب البركة : أنه يقوى الصائم وينشطه ويهون عليه الصيام • ويتحقق السحور بكثير الطعام وقليله ولو بجرعة ماء ، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « السحور بركة فلا تدعوه ، ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء فان الله وملائكته يصلون على المتسحرين » رواه أحمد •

٢ - وأن يؤخر السحور ، فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قمنا الى الصلاة • قلت : كم كان قدر ما بينهما ؟ قال : خمسين آية » رواه البخارى ومسلم • وعن عمرو بن ميمون قال : « كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعجل الناس افطارا ، وأبطاهم سحورا » رواه البيهقى بسند صحيح •

(١) السحور ( بضم السين ) الأكل وقت السحر ، والسحور ( بفتح السين ) الطعام المأكول نفسه ، كالوضوء ( بضم الواو ) لغسل ومسح الأعضاء المخصوصة المعروفة ، والوضوء ( بفتح الواو ) للماء الذى يتوضأ به •

٣ - تعجيل الفطر متى تأكد للصائم غروب الشمس ، فعن سهل بن سعد : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » رواه البخارى ومسلم .

ويكون الفطر على رطبات ، فان لم يجد فعلى نمرات ، فان لم يجد حسا (١) حسوات من ماء ويستحب أن يكون المأكول وترا . كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فطره .

يفطر بهذه الكيفية قبل صلاة المغرب ، فاذا صلى تناول حاجته من الطعام بعد ذلك ، الا اذا كان الطعام موجودا بحضرته ، ونفسه تشتهي فانه يبدأ به ، حتى لا يصلى وعنده ما يشغل البال ، ويحل بالخشوع .

٤ - الاكثار من الدعاء أثناء الصيام ، وعند الفطر وقت المغرب ، كما أرشدنا الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين في أحاديثه أن دعوة الصائم حتى يفطر ودعوته عند فطره لا ترد .

وكان عبد الله اذا أفطر يقول : « اللهم انى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفرلى » وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الاجر ان شاء الله تعالى » .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت » .

٥ - السواك ، لحديث عامر بن ربيعة رضى الله عنه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا أحصى يتسوك وهو صائم » رواه أحمد وأبو داود والترمذى ولا فرق بين أن يتسوك الصائم أول النهار وآخره .

(١) شرب .



٦ - الجود ومدارسة القرآن الكريم ، فهما مستحبان في كل وقت ، ولكنهما أكد في شهر رمضان ، شهر القرآن ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة (١) .

٧ - الاجتهاد في العبادة ، وبخاصة في العشر الأواخر من رمضان .  
ومن العبادات التي تستحب وتتأكد في هذا العشر الاخير الاعتكاف ، وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف في العشر الاواخر من رمضان منذ قدم المدينة الى أن توفاه الله تعالى .

وقال بعض التابعين : « عجبنا من الناس ، كيف تركوا الاعتكاف ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل الشيء ويتركه ، وما ترك الاعتكاف حتى قبض » .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم : « كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المنزر (٢) » .  
رواه البخارى ومسلم .  
وفي رواية لمسلم : « كان يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره » .

وروى الترمذى عن على رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقظ أهله في العشر الأواخر ، ويرفع المنزر » .  
والله نسأل أن يوفقنا لحسن صيام هذا الشهر وقيامه ، وأن يرزقنا الصدق والاخلاص في كل حال ، انه ولى التوفيق ، مجيب الدعاء .

(١) أى في الاسراع والعموم .

(٢) شد المنزر : كناية عن الاجتهاد في العبادة ، والإقبال على طاعة الله عز وجل .

# باب الفتوي

## في الميراث

أعد وأجاب عن أسئلة هذا العدد رئيس التحرير

جاءنا من الاخ أحمد عبد الفتاح سؤالان في الميراث ، نذكرهما ،  
ونجيب عنهما فيما يأتي :

١ - توفيت امرأة عن :

- زوج ، وأم ، وأخت شقيقة ، وأربعة اخوة أشقاء .
  - ثم توفي الزوج عن زوجة أخرى ، وابن ، وابنتين .
- فما نصيب كل وارث في التركة ؟

الجواب : هذا السؤال يتضمن مسألتين اثنتين ، كل مسألة منهما  
مستقلة عن الاخرى ، وهما :

( أ ) توفيت المرأة عن : زوج ، وأم ، وأخت شقيقة ، وأربعة  
اخوة أشقاء .

وفي هذه المسألة : للزوج النصف ، وللأم السدس ،  
وللاخت الشقيقة والاخوة الاشقاء معا الباقي تعصيا  
( وهو هنا الثلث ) يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين (١) .  
ودليل ذلك قوله تعالى :

في ميراث الازواج : « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم  
يكن لهن ولد » .

- وفي ميراث الام : « فان كان له اخوة فلأمه السدس » .
- وفي ميراث الاخوة والاخوات الاشقاء : « وان كانوا اخوة  
رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين » .

---

(١) فيمكن تقسيم الثلث الى ٩ تسعة اقسام متساوية ، للاخت قسم ،  
ولكل واحد من الاخوة الذكور قسيمان .

(ب) توفي الرجل عن : زوجة ، وابن ، وابنتين •

وفي هذه المسألة : للزوجة الثمن ، وللابن والبنتين معا  
الباقى تعصيبا ، وهو هنا  $\frac{7}{8}$  يقسم بينهم لذكر مثل  
حظ الانثيين (١) •

ودليل ذلك قوله تعالى :

في ميراث الزوجات : « فان كان لكم ولد فلهن الثمن  
مما تركتم » •

وفي ميراث الاولاد : « يوصيكم الله في اولادكم للذكر  
مثل حظ الانثيين •

٢ - توفيت امرأة عن :

زوج ، و ٣ - ثلاثة أبناء ، و ٣ - ثلاث بنات •  
فما نصيب كل ؟

الجواب :

للزوج  $\frac{1}{4}$  ربع التركة لوجود الفرع الوارث ، وللأبناء والبنات  
الباقى ، وهو هنا :  $\frac{3}{4}$  ثلاثة أرباع التركة (٢) ودليل ذلك قوله تعالى :

في ميراث الأزواج : « فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن » •  
وفي ميراث الاولاد : « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ  
الانثيين » • كما مر في جواب السؤال الاول •

والله أعلم •

عنتر حشاد

(١) يمكن تقسيم نصيب الاولاد الى أربعة أقسام متساوية للابن  
قسمان ، ولكل واحدة من البنتين قسم واحد •

(٢) يمكن تقسيم نصيب الاولاد ( الذكور والاثاث ) الى ٩ تسعة أقسام  
متساوية لكل واحد من الذكور قسمان ، ولكل واحدة من الاثاث قسم واحد •

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ٩ -

للأستاذ عنتر أحمد حشاد  
الموجه العام بوزارة التعليم



### ج - عرض عام للسورة :

المقصد الآخر من مقصدى السورة : في تسع ومائة آية ( ١٧٨ -

٢٨٦ ) وهو النصف الاخير من السورة في التشريع للمسلمين .  
بعد ارساء الاساس تكون اقامة البنيان ، وبعد الاطمئنان على  
سلامة الخارج يجيء دور البناء والانشاء في الداخل .

نعم ، لقد تم ( اصلاح العقيدة ) التي هي روح الدين وجوهره ،  
فليبدأ ( تفصيل الشريعة ) التي هي مظهر الدين وهيكله . . . . . لقد أزيلت  
شبهه المعاندين ، وأقيمت الحجة عليهم ، فلم يبق الا انارة السبيل  
للسالكين ، وايضاح الحجة بين يديهم . . . . . كانت العناية من قبل موجة  
الى بيان ( حقائق الايمان ) فلتتوجه الآن الى بسط ( شرائع الاسلام ) .

ولقد رأينا - في العديدين السابقين - كيف مهدت السورة لهذا  
التحول ، ولهذا المقصد ، اذ وضعت برزخا (١) يربط بين أطراف الحديث .  
وبين مقصدى السورة .

ولو أنك تلت الآن التفاتة يسيرة الى جانبك - لرأيت أقرب هذا  
البرزخ اليك ، تلك الآية الجامعة ( آية البر (٢) ) التي شملت أصول  
الدعوة بشطريها : النظرى والعملى ، الايمان والاسلام ، العقيدة

(١) في خمس عشرة آية ( ١٦٣ - ١٧٧ ) . (٢) الآية ١٧٧ .

والشريعة ✽ ولرأيت أقرب هذين الشطرين اليك هو هذا الشطر العملي .

فاعلم الآن أن هذا الشطر العملي الذي لمناه في آية البر مطويا

في فهرس موجز - سنراه فيما يلي مبسوطا في بيان مفصل .

ففي مائة آية ونيف (1) - سنرى فنا جديدا من المعاني ، مهمته

رسم نظام العمل للمؤمنين ، وتفصيل الواجب والحرام والحلال لهم

في شتى مناحي الحياة : في شأن الفرد ، وفي شأن الاسرة ، وفي شأن

الامة ... بيانا تارة ، وجوابا عن سؤال تارة أخرى ، متناولا في جملة

عشرات من شعب الاحكام .

هذه الحكمة العامة : في تأخير اقامة البنين ، ريثما أرسيت قواعده ،

وفي تأجيل الفروع الى أن أحكمت أصولها ✽ ستبدو من ورائها حكم

جزئية ، وأسرار دقيقة لمن أقبل على هذه الفروع ينظر الى تلاصق

لبنائها في بنيتها ، وتناسق حباتها في قلاذتها ، ام رجع ينظر الى هذا

التقابل بين ذلك الاجمال السابق ، وهذا التفصيل اللاحق .

لقد ختمت آية البر - كما رأينا - بخصلة من خصال البر ، هي

خلة الصبر ( والصابرين في البأساء ، والضراء ، وحين البأس ) شعبتها

الآية الى هذه الشعب الثلاث ، ووضحتها هذا التوضيح ، فكان ذلك

تنويها بشأنها أي تنويه .

فهل تعلم الآن أنه - وقد بدأ دور التفصيل - ستكون هذه الخصلة

بشعبها الثلاث أول ما تعنى السورة بنشره من خصال البر . ولكن في

ترتيب تصاعدي على عكس الترتيب السابق : الصبر حين البأس ، ثم

الصبر في الضراء ، ثم الصبر في البأساء ...

وهل تعلم أن هذا النظام التصاعدي نفسه سيتبع في سائر

الخصال : الوفاء بالعهود والعقود ، ثم اقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،

والبذل والتضحية في سبيل الله ؟ اليك البيان مفصلا :

---

(1) النيف : ما زاد على العقد من واحد الى تسعة .

## الصبر حين البأس :

وهنا يختار الله لنا من مثل الصبر أمثلها وأفضلها : ذلك هو ضبط النفس حين البأس ، كفا لها عن الاندفاع وراء باعثة الانتقام ، وردعا لها عن الاسراف في القتل . ووقوفا بها عند التماثل والتكافؤ العادل في القصاص ( آيتا القصاص ١٧٨ و ١٧٩ ) .

وإذا كان تداعي المعاني يسوقنا من الحديث عن القتل الى الحديث عن هم في ساعة الاحتضار ناسب تتميم الكلام ببيان ما يجب على المحتضر من الوصية لوالديه وأقاربه برابهم ( آيات الوصية ١٨٠ – ١٨٢ ) .

## الصبر في الضراء :

وكذلك سيختار الله لنا من أبواب الصبر في الضراء أعلاها : ليس الصبر على الامراض والآلام باطلاق ، ولكنه الصبر على الظمأ والجوع في طاعة الله ( آيات الصوم ١٨٣ – ١٨٧ ) .

وينساق الحديث من الصوم المؤقت في أيام معدودات عن بعض الحلال ، الى الصوم الدائم عن السحت والحرام ( آية ١٨٨ ) .

## الصبر في البأساء :

وعلى هذا النمط نفسه – سنرى الصبر في البأساء هنا ليس هو ذلك الصبر الاضطرارى على الفقر والازمات المالية والجوائح السماوية، ولكنه الصبر الاختيارى على التضحية بالاموال انفاقا لها في سبيل الله ، والمثال الذى يختاره التنزيل الحكيم هنا مثال مزدوج (١) ، ينتظم الصبر في البأساء والضراء جميعا ، اذ يجمع بين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال ( الحج الى بيت الله ١٨٩ – ٢٠٣ ) .

ولتقف بك ها هنا وقفة يسيرة ، نشير فيها الى شأن عجيب من شؤون النسق القرآنى في هذا الموضع :

---

(١) بل ان شئت قلت : انه مثلت الالوان ، لانه سيدخل في ثناياها الصبر حين البأس في مجاهدة اعداء الله ( في الايات ١٩٠ – ١٩٥ ) .

ذلك أنه حين بديء بذكر الحج « يستلونك عن الالهة قل هي مواقيت للناس والحج (١) » لم تتصل به أحكامه ولاء « وأتموا الحج والعمرة لله (٢) ٠٠٠ » بل فصل بين اسمه وحكمه بست آيات في أحكام الجهاد بالنفس والمال في قتال الأعداء (١٩٠ - ١٩٥) فاصلة يحسبها الجاهل رقعة غريبة في ثوب المعنى الجديد ٠٠٠ ولكن الذي يعرف تاريخ الاسلام وأسباب نزول القرآن - يعرف ما لهذه الفاصلة من شرف الموقع ، واصابة المحز ، لا مجرد الاقتران الزماني بين تشريع الحج وغزوة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، ولكن لان أداء المناسك في ذلك العام كان عزمًا لم ينفذ ، وأملا لم يتحقق ، إذ أحصر (٣) المسلمون يومئذ عن البيت ، وهموا أن يبطشوا بأعدائهم الذين صدوهم عنه ، لولا أن الله نهاهم عن البدء بالعدوان ، وأمرهم ألا يقاتلوا في المسجد الحرام الا من قاتلهم فيه ، فانصرفوا راجعين ، مستسلمين لأمر الله ، منتظرين تحقيق وعد الله . فكذاك فلينصرف القارىء أو المستمع ها هنا وهو متعطش لاتمام حديث الحج على أن يعود اليه بعد فاصل ، كما انصرف المسلمون اذ ذاك عن مكة وهم اليها متعطشون ، على أن يعودوا اليها من عام قابل .

هكذا كانت هذه الآيات الفاصلة تذكارا خالدا لتلك الاحداث الاولى . وهكذا كان القرآن الحكيم مرآة صافية نطالع فيها صور الحقائق من كل لون ، نقتبسها طورا من تصريح تعبيره ، وطورا من نهجه وأسلوبه في تعجيل البيان أو تأخيره .

ثم كانت هذه الآيات الفاصلة في الوقت نفسه درسا عمليا في صبر المتعلم على أستاذه ، لا يعجله بالسؤال عن أمر في أثناء حديثه ، ولكن يتلثب قليلا حتى يحدث له منه ذكرا في ساعته الموقوتة . وهكذا لن يطول بنا الانتظار حتى نرى أحكام الحج والعمرة تجيء في اثر ذلك على شوق وظمأ ، فتشبع وتروى بالبيان الشافي الوافي (١٩٦ - ٢٠٣) وبتمام هذا البيان تتم الحلقة الاولى من الاحكام ، أعنى فريضة الصبر في البأساء والمضراء وحين البأس .

**عنتر حشاد**

(٢) آية ١٩٦ وما بعدها .

(١) آية ١٨٩ .

(٣) منع المسلمون عن أداء العمرة .

# باب الفتوى

في طيران الميت بالنعش  
اعداد رئيس التحرير

في طيران الميت بالنعش :

سألنى الاخ الفاضل عبد العظيم حجازى بالادارة العامة لدور المعلمين والمعلمات بوزارة التعليم عما شاهده من جريان المشيعين بنعش المتوفاة في قرية سنهوا مركز منيا القمح - شرقية ، وعما ذكره له هؤلاء المشيعون من أنها تطير بالنعش ، وأنها من دراويش أبى القاسم ، وعن موقف الدين من هذا الموضوع •

وفي الجواب نكتفى بما ذكره فضيلة الشيخ محمود شلتوت - شيخ الجامع الازهر - رحمه الله ، في ص ١٨٢ من كتابه الفتاوى طبعة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م بمطبعة الازهر ، فقد قال - رحمه الله - ما نصه بالحرف :

يتحدث كثير من الناس عن طيران بعض الموتى ، وهم محمولون على أعناق الرجال ، وعن تراجع النعش بحامله الى الوراء ، ويتحدثون عن ثقله مرة ، وخفته أخرى ، وتنتشر هذه الاحاديث ، وتأخذ بين الناس صبغة الواقع الصحيح ، كما يأخذ الموتى في معتقداتهم مكانة الاولياء الذين تبدو كراماتهم الحسية • وكثيرا ما ينشأ عن ذلك اقامة أضرحة لهؤلاء الموتى باسم الولاية ، وتصبح تلك الاضرحة مزارات تلتمس بركاتها ، ويدعى من فيها ، ويتجه اليه في قضاء الحاجات ، ورفع الملمات والكروب ، كما يصبح للضريح أيضا خدم وموظفون يتلقون النذور والصدقات باسم ساكنه •

وقد سألنى الكثيرون أن أبين لهم موقف الدين من هذه الامور •

\*\*\*

أخبار يلوح عليها الزيف :

والواقع أن صدق هذه الاخبار لا يكفى فيه مجرد سماعها ، ولا مجرد رؤية النعش وهو محمول على الاعناق يتقهقر الى الوراء أو



يتقدم الى الامام ، فضلا عن سماع طيرانه في السماء ، لا يكفى سماع شيء من هذا في تصديقه ، فالناس مولعون<sup>(١)</sup> بتناقل الاخبار الغريبة ، وفيهم من هو قابل لتصديق كل شيء يسمعه ، فينقله ويتحدث به ويقسم عليه . ان صدق الاخبار يحتاج الى الوثوق بصدق حاملي النعش ، والوثوق بسلامة نفوسهم من الانفعالات الخاصة التي تورث الضعف في أعصابهم ، وتجعلهم يتقهقرون أو يندفعون الى الامام بغير انتظام ، والوثوق بأنه ليس لهم نوايا خاصة في اشاعة أن الميت له عند الله منزلة ، يبني له بها ضريح ، وتصنع له مقصورة ، وتفتح أبوابه للزيارة والنفور ، وتقام له الموالد والليالي ، الى غير ذلك مما يكون في واقعه مورد رزق جديد لحامليه ، والى من أوعز اليهم بايجاد هذا المظهر .

### لم يطر ميت محمول في سيارة :

ومن الغريب أنا لا نسمع بذلك الا في القرى حيث تحمل الموتى على الاعناق ، والا في عصورنا المتأخرة التي اتخذت فيها هذه المظاهر سبيلا للارتزاق ، وسبيلا للتغريب بضعفاء العقول ، فلم نسمعه عن ميت محمول في سيارة ، أو في قطار ، أو في طائرة ، لم نسمعه عن باخرة قافلة<sup>(٢)</sup> من بيت الله الحرام ، وقد فاضت فيها روح حاج تقى نقى ، له بالله صلة خاصة . لم نسمع أن جثته ثقلت أو امتنعت عن أيدي الذين يقذفونه في البحر حتى يحفظ من الحيتان والاسماك ، ويدفن في القبور العادية .

### لم يطر أحد من الصحابة :

لم نسمع شيئا من ذلك عن أحد ممن ماتوا في العصور الاولى للإسلام ، خير القرون ، وعلى رأسهم الخلفاء الاربعة ، وحماة الإسلام من الصديقين والشهداء والصالحين . واذن ، فنحن في حل من تكذيب كل ما نسمع من هذا القبيل ، ونرفض هذه الاخبار ، ولا نعنى بالبحث

(١) مغرمون محبون .

(٢) راجعة .

عن أسرارها وأسبابها • والانسان متى فارق هذه الحياة انقطعت صلته  
بالدنيا ، وصار أمره لله وحده •

ومن غريب الامر أن مثل هذه الاقاصيص المخترعة لا تروج الا في  
زمن التفهقر الفكرى ، وانصراف الناس عن العمل الجاد المثمر ،  
ولا تروج الا في بيئات خاصة عرفت بالسذاجة وتصديق كل ما يقال •

وبعد :

فنصيحتى للسائلين أن يتجهوا بأسئلتهم نحو ما ينفعهم في دينهم  
ودنياهم ، وليعلموا أن الحياة حياة السائل ، وحياة المجيب ، وحياة  
القارئ والمستمع — أعز من أن تضيع في السؤال والجواب عن طيران  
الموتى أو تفهقرهم أو تقدمهم ، وليس في النعش سوى جثة هامة  
ذهبت روحها الى خالقها ، وهو وحده العليم بحالها : مالها وما عليها  
« ولا تقف (٢) ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك  
كان عنه مسئولا (٣) » •

**عنتر حشاد**

---

(٢) لا تقف : لا تتبع ولا تتدخل •  
(٣) آية ٣٦ من سورة الاسراء •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ١٠ -

للأستاذ عنتر أحمد حشاد  
الموجه العام بوزارة التعليم



ج - عرض عام للسورة :

انتهينا في العدد السابق من استعراض الحلقة الاولى ، وهي فريضة الصبر في البأساء والضراء وحين البأس ، التي ختمت بها آية البر ( الآية ١٧٧ ) ثم فصلتها الآيات ( ١٧٨ - ٢٠٣ ) ، كما رأينا .

استجمامة ( ٢٠٤ - ٢١٤ ) .

وقيل أن ننتقل الآيات بنا الى الحلقة الثانية ، وهي الوفاء بالعهد والعقود ( والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ) - شاعت حكمة الله ، وتلطفه بنا في تربية نفوسنا على طاعة أمره ، ألا يصعد بنا الى هذه الحلقة الثانية من فورنا هذا ، ولكن بعد استرواحة فيها شيء من الموعظة العامة ، يثبت بها القلوب على ما مضى ، ويمهد بها السبيل الى ما بقى ٠٠٠ وكان من حسن الموقع لهذه الموعظة العامة ، أنها اتصلت بالموعظة الخاصة التي ختم بها حديث الحج ، والتي قسمت الناس من حيث آمالهم ومطامحهم الى فريقين : فريق يطلب خير الدنيا ، ولا يفكر في أمر الآخرة ، وفريق لا تتسبه دنياه مصالح أخراه « فمن الناس من يقول ربنا آتتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » ( ٢٠٠ - ٢٠٢ ) فجاءت الموعظة العامة - بعد

ذلك - متصلة بتلك الموعظة الخاصة تقسم الناس من حيث خلقهم الى فئتين : فئة المنافق اللبق الذى يعجب مظهره ، ويسوء مخبره ، لا يبالي أن يضحى فى سبيل هواه بحياة العباد ، وعمران البلاد ، فاذا ووجه بحقيقته ، ودعى الى تقوى الله وخشيته - لم يرجع الى الحق ، ولم يحاول اصلاح نفسه ، انما أخذته العزة بالاثم ، واستكبر أن يوجه اليه النقد ، وفئة المؤمن الصادق الذى يبذل نفسه كلها لمرضاة الله فلا يستبقى منها شيئاً ، ولا يكون لذاته حساب فى تصرفاته ، لانه يفنى فى الله ، ويتوجه بقلبه كله لله ( ٢٠٤ - ٢٠٧ ) .

وتخلص الآيات الحكيمة من هذا التقسيم ، الى توجيه النصيح للمؤمنين بأن يخلصوا نفوسهم من شوائب الهوى ، ويستسلموا بكليتهم لأوامر الله ، دون تفريق بين بعضها وبعض ، ليكونوا من الفئة الثانية ، فئة من لا تنسيه دنياه مصالح أخراه ، فئة المؤمن الصادق « يأبى الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » محذرة اياهم من الزلل عنها بعد أن هدوا اليها ووقفوا عليها ، معزية لهم عما قد يصيبهم من البأساء والضراء فى سبيل اقامتها ، ضاربة لهم المثل فى ذلك بسنة السلف الصالح من الامم السابقة ( ٢٠٨ - ٢١٤ ) وهنا تتم الاسترواحة بالموعظة العامة .

### الحلقة الثانية فى الوفاء باليهود :

وستكون هذه الحلقة فى تفصيل الخصلة الثانية من الخصال العملية التى أجملت فى آية ابر ، وهى الوفاء باليهود والعقود ، وستختار من بين هذه العقود أحقها بالعبادة والرعاية : عقدة الزواج ، وما يدور حول محورها من شؤون الأسرة : أليست الأسرة هى المجال الاول للتدريب على حسن العشرة ، وعلى التتره من رذيلة الانانية والاثرة ؟ ثم أليست الامور متى استقامت فى هذا المجتمع الصغير ، استقامت بالتدريج فى المجتمع الكبير ، ثم فى المجتمع الاكبر ؟ ... « خياركم خياركم لنسائهم » . ترى كيف سيكون الانتقال الى هذه الحلقة الثانية ؟ هل يصعد القرآن بنا نوا الى تفصيل هذه الشؤون المنزلية المتشابكة المتشعبة ؟ كلا ، ان هذا البيان للتربوى الحكيم لن يهجم بنا عليها دفعة واحدة ،

ولكنه سيتلطف في الوصول بنا اليها على معراج من الاسئلة والاجوبة  
تتصل أوائلها (١) بالاحكام الماضية : الانفاق ، والجهاد ( ٢١٥ - ٢١٨ )  
وتتصل أو اخرها (٢) بالاحكام التالية : مخالطة التيامى ، وشرائط  
المصاهرة ، وموانع المباشرة ( ٢٢٠ - ٢٢٢ ) . . . وهكذا نصل في رفق  
ولين ، دون ايجاز ولا اختصار الى صميم الحلقة الثانية ( ٢٢٣ - ٢٣٧ )  
حيث نتلقى في شأن الحياة الزوجية دستوراً حكيماً ، مؤلفاً من شطرين :  
شطره الاول يعالج شؤون الاسرة في أثناء اتصالها ( ٢٢٣ - ٢٣٢ )  
وشطره الاخير يعالج شؤونها في حال انحلالها وانفصالها ( ٢٣٣ - ٢٣٧ ) .  
فخذ هذه الحلقة الجديدة من السورة الكريمة ، وتعرف أسباب  
نزولها ، وانظر كيف كانت كل قضية منها فتية في جاذبة معينة منفصلة عن  
أخواتها ، ثم عد لتتظر في أسلوبها البياني جملة . . . وحاول أن ترى عليه  
مسحة انفصال أو انتقال ، أو أن تحس فيه أثراً لصنعة لاصق ، أو تكلف  
لحام . . . واعلم منذ الآن أنك ستحاول عبثاً ، فانك لن تجد أمامك  
الاسبيكة واحدة يطرد فيها عرق واحد ، ويجرى فيها ماء واحد ، على  
رغم أنها جمعت من معادن شتى .

تأمل أول كل شيء خط سير المعانى .

انظر كيف استهك الحديث بارساء الاساس ، وذلك بتقرير حق  
العشرة والمخالطة الزوجية « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى  
سئتم . . . » ( ٢٢٣ ) ثم أنظر كيف تلاه النهى عن ادخال اليمين في أمثال  
هذه الحقوق المقدسة ، سواء بالحلف على منع البر عن مستحقته ، أو على  
قطع ما أمر الله به أن يوصل « ولا تجعلوا الله عرضة لآياتكم أن تبروا  
وتتقوا وتصلحوا بين الناس » ( ٢٢٤ و ٢٢٥ ) وكيف عقبه بحكم فرع  
من فروع الحلف والايمان متصل بالعلاقة الزوجية ، وهو حكم من حلف  
على الامتناع عن زوجته (٣) « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة  
أشهر . . . » ( ٢٢٦ - ٢٢٧ ) وكيف اتصل من هنا بأحكام الطلاق ،

(١) « يسألونك ماذا ينفقون ؟ » « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . »

(٢) « يسألونك عن اليتامى » « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن . . . »

« ويسألونك عن الحيض ، قل هو أذى . . . »

(٣) وهو ما يسمى الايلاء .

وما يتبع الطلاق من حقوق وواجبات » والمطلقات يتربصن بأنفسهم  
ثلاثة قروء . . . » ( ٢٢٨ ) .

فاذا أعجبك هذا التسلسل المعنوي ، وهذا التدرج المنطقي في  
شئون متفرقة ، ارتجلتها الحوادث ارتجالا ، فتعال معي لنضع يدنا في  
هذه القطعة على حرف واحد ، نلمس فيه مبلغ الاحكام في التأليف بين  
هذه المتفرقات ، حتى صارت شأننا واحدا ذا نسق واحد .

ذلك هو موضع النقلة من فتيا الايلاء ، الى فتيا الطلاق : « وان  
عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ، والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة  
قروء . . . » ألا ترى كيف أدير الاسلوب في حكم الايلاء على وجه  
معين ، يطل القارئ منه على أفق متلبذ ينذر باحتمال الفراق ، فلما جاء  
بعده الحديث. عن أحكام الفراق لم يكن غريبا ، بل وجد مكانه مهياً له  
من قبل ، كأن خاتمة حكم الايلاء كانت بمثابة عروة مفتوحة ، تستشرف  
الى عروة أخرى تشتبك معها ، فلما جاءت فتيا الطلاق في وقتها كانت  
هي تلك العروة المنتظرة . وما هو الا أن التقت العروتان حتى اعتقنا ،  
وكانت منهما حلقة مفرغة لا يدري أين طرفاها . وهكذا أصبح الحديثان  
حديثا واحدا .

ترى من علم محمدا — صلى الله عليه وسلم — لو كان القرآن  
من عنده — أنه سوف يستفتى يوما في تلك التفاصيل الدقيقة لاحكام  
الطلاق ؟ ومن علمه أنه سيجد لهذا السؤال جوابا ، وأن هذا الجواب  
سيوضع في نسق مع حكم الايلاء ، وأنه ينبغي لاستقامة النسق كله  
أن يساق حكم الايلاء ، الذي وقع الاستفتاء فيه الآن ، وعلى وجه يجعل  
آخر شقيه هو أقربهما الى حديث الطلاق الذي سوف يسأل عنه بعد  
حين ، لكي ينضم الشكل الى شكله متى جاء وقت بيانه ؟ لقد كان القدر  
يسير اذا في ركاب هذا التنظيم ، فأثار مادة حوادثه ، وبعث حاجات  
النفوس الى طلب بيانها ، وهيهات أن يحوم علم البشر حول هذا الافق  
الاعلى ، فانما ذلك شأن عالم الغيب والشهادة ، الذي أعطى كل شيء  
خلقه ثم هدى . . . ولم يبق الا أن تقول معي : آمنت أن الذي بيده

تصريف الزمان ، هو هو الذى بيده تنزيل القرآن . . . ألا له الخلق  
والامر ، تبارك الله رب العالمين .

وتمضى السورة فى هذا النمط الجديد ، مفصلة آثار الطلاق وتوابعه  
كلها : عدة ، ورجعة ، وخلعا ، ورضاعا ، واسترضاعا ، وخطبة ،  
وصداقا ، ومنتعة الى تمام هذه الحلقة ( ٢٣٧ ) .

وبعد أن يقرر القرآن فى هذه الاحكام قانون الحق والعدل — يتبعه  
بقانون أسمى : قانون البر والفضل ، مرغبا صاحب الحق فى التنازل  
عنه ، ومرغبا من يؤدى الحق فى أن يزيد عليه : « وأن تعفوا أقرب  
للتقوى » .

ثم يختم الدستور كله بوصية جامعة ، يناشد فيها الناس كافة أن  
يكون تعاملهم على أساس الاحسان والمكارمة ، لا على أساس المشادة  
والمخاصمة « ولا تنسوا الفضل بينكم » ألا انها نعمت الوصية ، وانها —  
والله — لوصية مودع ، سيتحول الحديث بعدها من تنظيم شئوننا  
الجزئية الصغرى ، الى توجيه شئوننا الكلية الكبرى : الى مناجاة الله ،  
والجهاد فى سبيل اله .

وهناك تبدأ الحلقة الثالثة من خصال البر : اقامة الصلاة ، وإيتاء  
الزكاة ، وبذل المال على حبه فى سبيل الله « حافظوا على الصلوات  
والصلاة الوسطى . . . » ( ٢٣٨ — ٢٧٤ ) .

**عنتر حشاد**

# باب الفتوي

## اعداد واجابة عنتر أحمد حشاد

جاءنا من الاخ الفاضل الحاج ابراهيم عزب الدسوقي أمين الصندوق بمجلس ادارة المركز العام للجماعة - السؤال الآتى فى الميراث: توفى الحاج (مح (١)) وليس من الورثة الا اولاده الذكور والاناث، وهم:

ابن واحد ذكر من أم ، وهو (مص) وست بنات اناث من أم أخرى، وهن: (أ)، و (ج)، و (نف)، و (ع)، و (ر)، و (نع) ثم توفى من هؤلاء البنات خمس، وهن بحسب ترتيب الوفاة: (ج) ثم (أ) ثم (نف) ثم (ع) ثم (ر) عن الورثة المبينين لكل فى الجواب:

وفى الجواب: أشير الى أن هذا السؤال يتضمن ست مسائل فى الميراث (كل مسألة مستقلة عن الاخرى) وهى:

**المسألة الاولى:** فى تقسيم تركة الحاج (مح) على ورثته، وهم اولاده السبعة:

تقسم التركة كلها عليهم جميعا، للذكر مثل خط الانثيين، فيخص الابن الذكر (مص)  $\frac{1}{4}$  ربع التركة، ويخص كل واحدة من البنات الاناث الستة  $\frac{1}{8}$  ثمن التركة.

وذلك لقوله تعالى: «يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين (٢)»

**المسألة الثانية:** فى تقسيم تركة (٣) المتوفاة (ج) على ورثتها المنحصرين فى زوجها، وأخواتها الشقيقات الخمس، وأخيها من أبيها:

(١) اكتفى الاخ المستفتى فى ذكر الاسماء بالحروف الاولى لكل وارث.

(٢) من الآية ١١ من سورة النساء.

(٣) توضيحا لما استقهم عنه السائل أبين أن تركة المتوفى تشمل كل ما كان يملكه، سواء ما تملكه بطريق الشراء، أو بطريق الارث عن غيره، أو بأى طريق من طريق من طرق التملك، فما ورثته هذه المتوفاة (ج) عن أبيها (مح) يدخل فى التركة، ومثل هذا يقال فى تركة كل متوفاة فى المسائل الاربعة الآتية:



للزوج  $\frac{1}{2}$  النصف ، وللأخوات الشقيقات الخمس  $\frac{2}{3}$  الثلثان  
ويقسم نصيبهن عليهن بالتساوى ، ولا شيء للاخ من الاب .

وذلك لقوله تعالى مخاطبا الأزواج مبينا ميراثهم من زوجاتهم :  
« ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد (١) » ولقوله سبحانه  
في ميراث الأخوات الشقيقات أو لأب : فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان  
مما ترك (٢) « وما زاد على اثنتين يأخذ حكمها ، كما في ميراث البنات .

ويلحظ أن مجموع الانصاء ، وهما : النصف والثلثان يزيد عن  
الواحد الصحيح — فينقص من نصيب كل بنسبته ، وبهذا تقسم التركة  
الى سبعة أجزاء متساوية ، للزوج ثلاثة من سبعة ، وللأخوات الشقيقات  
أربعة من سبعة ويقسم نصيبهن بالتساوى ، كما سبق .

**المسألة الثالثة :** في تقسيم تركة المتوفاة ( أ ) على ورثتها المنحصرين  
في أولادها الذكور والانات ، وأخواتها الشقيقات الاربع ، وأخيها من  
أبيها :

تقسم التركة كلها بين أولادها فقط ، للذكر مثل حظ الانثيين ،  
ولا شيء للأخوات الشقيقات ، ولا للاخ من الاب .

**المسألة الرابعة :** في تقسيم تركة المتوفاة ( نف ) على ورثتها  
المنحصرين في أخواتها الشقيقات الثلاث ، وأخيها من أبيها :

للأخوات الشقيقات الثلاث  $\frac{2}{3}$  الثلثان ، وللأخ من الاب الباقي ،  
وهو هنا  $\frac{1}{3}$  الثلث .

**المسألة الخامسة :** في تقسيم تركة المتوفاة ( ع ) على ورثتها  
المنحصرين في أختين شقيقتين ، وأخيها من أبيها :

(١) من الآية ١٢ من سورة النساء .  
(٢) من الآية الأخيرة ١٧٦ من سورة النساء .

للأختين الشقيقتين الثلثان ، وللاخ من الاب الباقي ، وهو هنا  $\frac{1}{3}$  الثلث .

**المسألة السادسة :** في تقسيم تركة المتوفاة ( ر ) على ورثتها المنحصرين في أختها الواحدة الشقيقة ، وأخيها من أبيها :

للأخت الشقيقة  $\frac{1}{2}$  نصف التركة ، وللاخ من الاب الباقي ، وهو هنا  $\frac{1}{2}$  النصف .

وذلك لقوله تعالى في ميراث الاخوات الاناث الشقيقات أو لاب : « ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك (١) » .

ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم في ميراث العصابات : « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقى فهو لاولى رجل ذكر » والله أعلم .  
ومن هذه المسائل يفهم ما يأتي :

١ - أن الورثة المبينين في المسألة الاولى ما زال منهم على قيد الحياة ابن الحاج ( مح ) وهو : ( مص ) وابنته ( نع ) .

٢ - أن كل متوفاة في المسائل الاربع الاخيرة ( الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ) قد توفي زوجها قبلها ، لعدم ذكره في ورثتها ، أو أن بعضهن قد توفين قبل الزواج وعلى هذا الاساس كانت الفتوى .

والله ولى التوفيق ، نسأله أن يفقهنا في الدين . . .

**عنتر حشاد**

(١) من الآية الاخيرة ١٧٦ من سورة النساء .

بسم الله الرحمن الرحيم

## ٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ١١ -

عنتر أحمد حشاد

الموجه العام بوزارة التعليم



ج - عرض للسورة :

الحلقة الثالثة : في اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وبذل المال على حبه في سبيل الله (١) :

في الحلقتين السابقتين استعرضنا ما فصلته الآيات من خصال الخير ، وما رسمته وبينته آية البر (٢) ، من خلة الصبر في البأساء والضراء وحين البأس ، ومن الوفاء بالعهود والعقود ، وبخاصة في مجال الاسرة .

وبهذا تتطوى صفحة الثئون الجزئية الصغرى ، بعد أن عرفنا فرائض القرآن في حق الزوج والولد ، وتشرق جبهة الثئون الكلية الكبرى ، لنعرف فرائضه في حق الله والوطن .

ان هذه الثئون العليا هي الهدف الاعظم من التشريع في هذه السورة ، يعرف ذلك من يتابع سير البيان في أحكامها .

فعندما جمعت آية البر خصال الفضائل - كانت أول فضيلة عملية فيها بعد الايمان هي بذل المال في مصالح الامة : « ولكن البر من آمن بالله واليوم آخر والملائكة والكتاب والنبين ، وآتى المال على حبه » .

لقد فم الآيات بعد ذلك أحكام القتال والانفاق تفصيلا ، ثم ما زالت بعد ذلك تردد علينا نداءها حيناً بعد حين . « وقاتلوا في سبيل

(٢) الآية ١٧٧

(١) ابتداء من الآية ٢٣٨

الله « ، « وأنفقوا في سبيل الله » اننا في جبهة قتال نتلقى فيها التعليمات بشأن الجهاد .

ماذا نقول ؟ شأن الجهاد ! أليس الحديث سيفتتح الآن بشأن الصلاة « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، فان خفتم فرجالا (١) أو ركبانا ، فان أمنتهم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون (٢) وعدة الوفاة : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج (٣) . . . » الآية ، ولن يفتتح بشأن الجهاد .

بل نقول ، ونحن نعنى ما نقول : ان الحديث يعود الآن الى شأن الجهاد ، وان الخطاب هنا بالصلاة وغيرها يتوجه الى المجاهدين من حيث هم مجاهدون ، ليحل المشكلات التي يثيرها موقف الجهاد نفسه ، قبل أن يوجه اليهم الامر الصريح بالقتال . . .  
فأول هذه المشكلات مشكلة الصلاة في الحرب : ألا يكون الجهاد رخصة في اسقاط هذا الواجب أو تأجيله ؟

يجيبنا الكتاب العزيز : لا رخصة في ترك الصلاة ولا في تأجيلها ، لا في تسلّم ولا في حرب ، لا في أمن ولا في خوف : « حافظوا على الصلوات » (٢٣٨) وانما الرخصة عند الخوف في شيء واحد : في صفات الصلاة وهيأتها : « فان خفتم فرجالا أو ركبانا ، فاذا أمنتهم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » (٢٣٩) .

فيأبها المجاهدون : لا يشغلنكم جهاد عدوكم عن ذكر ربكم ، انه عدتكم التي بها تطمئن قلوبكم . . . استعينوا بالصبر والصلاة . حافظوا على الصلوات في أوقاتها . لا تضيعوها في حال أمنكم ، ولا في حال خوفكم .

والصلاة — كما نعلم — قوة معنوية على العدو ، وعدة من عدد

(١) رجالا : جمع راجل ، وهو من يمشى على رجليه ، والمعنى : فان خفتم العدو في حال القتالة في الحرب فصلوا مشاة أو راكبين على ركائبكم بايما ، سواء وليتم شطر القبله أولا .  
(٢) الآيتان ٢٣٨ و ٢٣٩ .  
(٣) الآية ٢٤٠ .

النصر (١) • لا جرم كان من الحكمة أن تزود بها أرواح المجاهدين قبل أن يؤمروا بالقتال أمرا صريحا •

والصلاة — في الوقت نفسه — طهرة للنفس من مساوئ الاخلاق، تنقيها من دنس الشح ، والحرص على حطام الدنيا (٢) • لا جرم كان من الحكمة — كذلك — جعلها دعامة للوصية السابقة التي أمرتنا بالتسامح والتكامل في المعاملات « وأن تعفوا أقرب للتعوى ولا تنسوا الفضل بينكم » •

هكذا كان وضع حديث الصلاة مزدوج الفائدة : دواء وغذاء معا ، ينظر الى الامام والى الوراة جميعا • بل قل : انه مثلث الفائدة ، لانه في نظره الى الخلف لا ينظر الى الآية السابقة (٣) « آية العفو والفضل » وحدها ، بل ينظر كذلك الى الآية الجامعة : آية البر ، ليفصل اجمالها في هذا الجانب •

ثم هناك — كذلك — من مشكلات الحرب : مخافة الجندي على نفسه ، وعلى المجاهدين معه • • من أخطار الموت أو الهزيمة ، ومخافته على أهله من الضياع والفقر لو قتل • •

لذلك انساق البيان القرآني الكريم يطرد عن قلب الجندي كلتا المخافتين : أما أهله فقد وصى الله للزوجة اذا مات زوجها — أن تمتع حولا كاملا في بيته « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج (٤) » ، وكذلك مطلقته سينتقر لها حق في المتعة لا ينسى « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » فاطمئنوا — اذن — من هذا الجانب •

أما خشية الموت على أنفسكم فهل ظننتم أنه ينفعكم الفرار ان

- 
- (١) هكذا قال الله سبحانه : « واستعينوا بالصبر والصلاة » •
  - (٢) وهكذا قال الله عز وجل في وصف الانسان : « واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين » •
  - (٣) الآية ٢٣٧
  - (٤) الآية ٢٤١ •

فررتهم من الموت أو القتل ؟ ألا تعلمون أن أجلكم سيوافيكم ولو كنتم في بروج مشيدة ، وأنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها ورزقها عند الله ، وأن الذي يطلب الموت قد توهب له الحياة .

وأما خوف الهزيمة لجيشكم . . . . فهل حسبتم أن الفوز منوط بكثرة العدد ووفرة العدد . . . ؟ ألم تعلموا أن النصر مع الصبر ، وأنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .

هكذا أبعدت الآيات المخاوف كلها عن قلوب المجاهدين ، بعد أن زودت أرواحهم بزيادة التقوى ، وهكذا أصبحوا على استعداد نفسى كامل ، لتلقى الأوامر العليا ، فليصدر اليهم الأمر صريحا بالجهاد في سبيل الله بأمورهم وأنفسهم : « وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ، من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، والله يقبض ويبسط (١) واليه ترجعون (٢) » .

وتسوق الآيات من نبال الأولين ما يثبت هذه الحقائق كلها ، وتفصل لهم من العبر التاريخية ما يثبت أقدامهم حين البأس ، ويزيدهم أملا في النصر « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت (٣) » « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى . . . . (٤) » .

والجهاد جهادان : جهاد بالنفس ، وجهاد بالمال ، وليس الجهاد بالمال وقفا على شئون الحرب ، بل هو بذله في كل ما يرفه عن الأمة ، ويقوى شوكة الدولة ، ويحمى حمى الملة .

ولقد أخذ الجهاد بالنفس حظه من الدعوة في آية قصيرة ( ٢٤٤ ) ثم في آيات كثيرة ( ٢٤٦ - ٢٥٣ ) . وأخذ الجهاد بالمال بعض حظه في آية قصيرة ( ٢٤٥ ) فمن العدل أن يأخذ تمام حظه في آيات كثيرة كذلك . وهكذا نرى الدعوة اليه تأخذ الآن قسطها ، مطبوعا بطابع الشدة

(١) الرسم العثمانى لكلمة « يبسط » بالصاد ، لكنها تقرأ بالسین

(٢) الآيتان ٢٤٤ و ٢٤٥ (٣) ٢٤٣

(٥) الآيات من ٢٤٦ - الى ٢٥٣

تارة ( ٢٥٤ ) وطابع اللين تارة ( ٢٦١ ) وطابع التعليم المفصل لآداب  
البذل تارة أخرى ( ٢٦٢ - ٢٧٤ ) .

ففى اللين نستمع الى قول الله عز وجل يدعوننا الى البذل فى تल्प  
كريم ، تذوب منه النفس الكريمة خجلا واستحياء : « من ذا الذى يقرض  
الله قرضا حسنا . . . » « يقرض الله » ؟ أى رب ، ان العبد عبدك ،  
والمال مالك . أتستقرضنى اياه ، وهو منك واليك ، ولك الفضل والمنة  
من قبل ومن بعد ؟ لكن القلوب القاسية لها علاجها ، ولا يجدى فيها الا  
أن تهز هذا عنيفا ، وأن تصارح بالحقائق مصارحة ، وهذا هو أسلوب  
الشدة الذى نجده فى قوله سبحانه : « أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن  
يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون » .  
وفى هذا تهديد للممسكين الكانزين ، وتذكير لهم بأن المال مال الله ،  
رزقهم اياه ، ولا يسترد منهم الا بعضه « أنفقوا مما رزقناكم » وان  
لم ينفقوا فلينتظروا يوما لا يجيهم منه فداء يشتررون به أنفسهم ، لانه  
لا بيع يومئذ ، ولا يغنى فيه عنهم خليل ، لانه لا خلة يومئذ ، ولا تنفعهم  
فيه شفاعة الشافعين ، لانه لا شفاعة يومئذ الا لمن أذن له الرحمن  
ورضى له قولا .

وفى تفصيل شروط وآداب البذل التى ينبغى مراعاتها ليكون  
الانفاق فى سبيل الله ، وليضاعف جزاؤه نجد منها ما يتصل بالانفاق نفسه ،  
وبواعثه على البذل ، وأسلوبه عند البذل ، وموقفه بعد البذل ، ومن هذه  
الشروط والآداب أيضا ما يتصل بالمال المبذول وحسن اختياره ، ومنها  
آداب فى طريقة توصيل العطية الى أهلها ، وآداب فى الوجوه والابواب  
التى تصرف فيها .

فأما البواعث على البذل فان الانفاق ينبغى أن يكون ابتغاء مرضاة  
الله ، خالصا لوجهه ، مجردا من شوائب الاعراض ، والى هذا يشير  
قول الله سبحانه : « وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله » وقوله عز شأنه :  
« ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم » أى تمكيننا  
لملكة الجود ، وتثبيتنا لعادة السخاء فى نفوسهم ، وتحقيقنا لمعنى الرضا

والطمأنينة فيها ، فهذه الروح الطيبة التي تمد العمل الصالح ، قل أو  
كثر ، يبارك الله ثمرتها في الدنيا والآخرة ، ويكون مثلها - كما قال الله -  
عز وجل - مثل الحديدية الخصبه المعرضة للشمس والهواء بمكان مرتفع ،  
فسواء عليها أسقاها المطر بوابله الغزير ، أو بللها برذاذ من طله ونداه ،  
فانها تخرج ثمرتها أضعافا مضاعفة .

أما البواعث النفعية التي تلتفت النفس فيها الى جانب الناس ،  
طلباً لحمدهم ، واكتساباً لثنائهم فهذه يمحق الله ثمرتها ، ويذهب ببركتها ،  
وقد ضرب الله لهذا المحق مثلين اثنين ، مثل السيل الجارف الذي ينزل  
على حجر أملس ، فيكتسح ما عليه من تراب ، ومثل العاصفة النارية  
التي تصيب الزروع الناضجة ، والثمار اليانعة فتحرقها وتبيدها ، وكذلك  
الرياء في احباطه لثمرات الاعمال .

وأما أسلوبه عند البذل ، وموقفه بعد البذل فالقرآن يرشدنا الى  
أن الأدب فيه أن يكون عن هشاشة وبشاشة ، وأن يكون مشفوعاً بالقول  
المعروف والاعتذار الجميل عن جهد المقل ، وألا يتبع بالمن والفخر فان  
ذلك يبطل معنى الاحسان ، كما يبطله الرياء .

وأما مادة العطية فالقرآن يدعونا أن نختارها من خير المال  
وأجوده ، وأحبه الى نفوسنا ، ويحذرننا أن نجعلها من سقط المتاع ،  
وحثالة المال ، التي لو قدمت اليها نحن ما أخذناها الا مغمضين على  
كره ومضض . هكذا يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من  
طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ، ولا تيمموا الخبيث منه  
تتفقون ولستم بأخذيه الا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى جيد »  
( آية ٢٦٧ ) كما يقول سبحانه ( في سورة آل عمران ) : « لن تتالوا البر  
حتى تتفقوا مما تحبون » ( آية ٩٢ ) .

وأما طريقة توصيل العطية فالقرآن الكريم يوجهنا الى أفضل  
الطرق فيها ، وهي الاسرار بها ، لنكون أبعد عن رياء المعطى ، وأبعد عن  
حرج شعور الآخذ ، ولكنه مع ذلك لا يرى بأساً عند خلوص النية أن



تكون العطية علانية (١) .

وأما الوجوه والابواب التي تصرف فيها، فالقرآن لا يكتفى منه بأن نلتبس بأموالنا مواضع الحاجة والاستحقاق ، بل ينبهنا الى أن نبدأ بأحقها وأولاها ، ويشير الى أن أحق المستحقين لتضافر الامة على رفدتهم ومعونتهم وعطائهم — هم فئة المجاهدين الذين حبسوا أنفسهم للدفاع عن كيان الدولة ، وسياج الملة ، أو الذين أصابتهم الجراح في هذا السبيل ، فتركهم زمنى لا يستطيعون ضربا في الأرض للسعى على معاشهم (٢) .

هذا هو موجز التعاليم التي يفصلها لنا الذكر الحكيم ، فلنقرأها (٣) ، ولننأدب بأدائها ، لنكون من أولى الاحسان في الاحسان ، والله المستعان .

### عتر حشاد

---

(١) قال الألويسي في تفسيره : « والاكثر على أن هذه الافضلية فيما اذا كان — كل من صدقتى السر والعلانية — تطوعا ممن لم يعرف بمال « أى لم يعرف بغنى » والافباء الغرض لغيره « أى لغير المتطوع المذكور » افضل لنفى التهمة ، وكذا الاظهار افضل لمن يقتدى به وأمن نفسه » . انتهى وعن ابن عباس — رضى الله عنه — « صدقة السر في التطوع تفضل على علانيتها سبعين ضعفا ، وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ، وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الاشياء كلها » .

(٢) وهذا ما يفهم من الآية ٢٧٣ ، ويشعر به حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان ، والتمر والتمران ، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ، ولا يظن به فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس » رواه ابو هريرة .

(٣) في الآية الكريمة ( من ٢٦١ — الى ٢٧٤ ) .

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## ٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ١٢ -

عنتر أحمد حشاد

الموجه العام بوزارة التعليم



### ج - عرض عام للسورة :

رأينا - في الحلقة السابقة - أن الحديث كان في فضيلة التضحية، في فضيلة الجهاد بالنفس والمال (١) . وهنا ( في الآيات من ٢٧٥ (٢) ) ينساق الحديث من هذه الفضيلة التي هي أسمى الفضائل الاجتماعية - الى رذيلة الجشع والطمع ، واستغلال حاجات الضعفاء ، التي هي في أقصى الطرف المقابل ، والتي هي أخطر أنواع المعاملات البشرية ، وأعنى بها رذيلة الربا ، التي تستغل فيها حاجة الضعيف ، ويتقاضى فيها المقرض ثمن المعروف الذي يبذله .

ومثل القرآن الحكيم - حين ينتقل بنا من وصف فضيلة الى وصف رذيلة في أقصى الطرف المقابل لها - مثل الربى ، يعمد الى صورتين متباعدتين : صورة مشرقة مضيئة ، وأخرى قاتمة مظلمة ، ويعرضهما جنباً الى جنب ، فتتضح كلتا الصورتين ، وتزدادان بهذا الاقتران افتراقاً في أعين الناظرين ... تزداد الفضيلة قسامة ووسامة (٣) ، فتتجلى محببة الى القلوب ، وتزداد الرذيلة فحشا ودمامة (٤) ، فتبدو مذممة مبيغضة الى النفوس .

الصدقة : نزول عن المال كله بلا عوض ولا رد ، والربا : استرداد

(١) في الآيات من ٢٣٨ - الى ٢٧٤ .

(٢) الى الآية ٢٧٩ .

(٤) دمامة : قبحا .

(٣) قسامة ووسامة : جمالا .

للدين ومعه زيادة حرام ، مقتطعة من جهد الدين ، أو من لحمه • من جهده ان كان قد عمل بالمال الذى أخذه ديناً فربح نتيجة لعمله هو وكده هو • ومن لحمه ان كان قد أخذ المال للنفقة منه على نفسه وأهله ولم يستربحه شيئاً ، فالربا هو الطرف الآخر للصدقة •• الطرف الكالح الطالح الذى تقتصر منه الاريحية الانسانية •

ولايضاح مدى البعد والمفارقة فى القيم المعنوية بين هذين الطرفين المتباعدين - نقول : ان ها هنا أربع درجات من الاعمال والقيم : اثنتان منها مشروعتان ، احدهما أفضل وأسمى من الاخرى ، واثنتان محظورتان محرمتان ، احدهما أكبر جرماً ، وأشد حرمة من أختها •

فأما الخصلتان المشروعتان ، فأقلهما التعامل على أساس العدل ، الذى يأخذ فيه كل ذى حق حقه ، لا ظالماً ولا مظلوماً ، من غير ارهاق ولا حرج « فلکم رءوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » هذا حسن ، وأحسن منه ان يكون التعامل على أساس الفضل الذى يتنازل فيه الكريم عن بعض حقه وحظه ، ليزيد فى حظ صاحبه جوداً وإيثاراً « وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » وهذا هو أصل فكرة البر والاحسان •

وأما الخصلتان المحظورتان المحرمتان ، فأهونهما التعامل مع المدين المعسر على أساس التدقيق فى الحقوق والمشاحة فيها فى حال العسرة ، دون اشفاق على المعسر ولا امهال له • انها قسوة فاحشة ، وأشد قسوة منها وفحشاً ان يكون التعامل بالربا ، على أساس طلب المزيد فى حظ نفسه ، بالاقتطاع من حق غيره ، طمعا وجشعا واستغلالا للحاجات • وهذا هو أصل باب الربا الذى هو - كما قلنا - أحط أنواع المعاملات ، لئيشرية •

ونرى القرآن الحكيم يضم هذين الطرفين المتباعدين « الصدقة والربا » فيعرضهما علينا هنا متجاورين ، للمعنى التربوى الذى عرفناه، ثم يعرض علينا ما بين هذين الطرفين من الدرجتين الوسطيين بعد ذلك •

## الحديث الآن - اذن - في شأن الربا :

والربا داء وبيل من آدواء البشرية المزمنة • وقد حرّمته الشرائع السماوية كلها ، ولم تفرق في الحظر والتحريم بين قليله وكثيره • وكان تحريمه في الاسلام تدريجيا كتحرّيم الخمر : فأول ما نزل في شأنه قوله تعالى في سورة الروم المكية : « وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله (١) » فكان ذلك ذمّا له بغير تحريم صريح • ثم نزل تحريم الربا الفاحش فحسب في قوله عز شأنه : « ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة (٢) » وأخيرا جاء بتحريم كثيره وقليله. تحريما كليا في تضاعيف هذه الآيات ( ٢٧٥ - ٢٧٩ ) التي نعرضها الآن « وان تبتم فلکم رعوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » وهي آخر آية أنزلت في شأن الربا ، بل هي وما يليها آخر ما نزل من القرآن الكريم كله ، كما صح عن ابن عباس رضی اللہ عنہما • فهي التي استقر عليها أمر التشريع الاسلامي في هذا الشأن ، وهكذا لم يبق بعدها حجة لاحد . في استساعة واطاحة أقل القليل من الربا • ذلك أن الاختلاف في الدرجات والنسب لا يغير شيئا في أمر المبدأ ، ولا يقتلع جرثومته ، التي هي شر كلها : انها شر خلقيا ، وشر اجتماعيا ، وشر اقتصاديا ، وشر في الدنيا والآخرة •

أما أنها شر خلقيا فقد تبين ، وأما أنها شر اجتماعيا فلأنها توسع الهوة بين الطبقات ، اذ أنها تضمن تحويل الثروة تدريجيا الى ناحية واحدة ، وهي ناحية رأس المال ، مع ترك اليد العاملة تتحدّر بالتوالي نحو الحضيض ، وأما أنها شر اقتصاديا فلأنها تحرم ميدان العمل من تلك الايدي الناعمة المترفة ، التي تنال رزقها من قعود وكسل ، وأما أنها شر على صاحبها في الدنيا والآخرة فلأن الله أوعد المرابين بتعكيس تصدهم ، وباللحق والنقص من حيث يطلبون المزيد ، كما أنه وعد البررة

(١) من الآية ٣٩ من سورة الروم •

(٢) من الآية ١٢٠ من سورة آل عمران •

المحسنين باخلاف ما أنفقوا . وانماء ما نقصوا « يمحق الله الربا ويربى  
المصدقات » .

وقد يفهم بعض الناس من هذا الطابع البارز في التشريع الاسلامى،  
طابع القناعة والسماحة — أن الاسلام يكاد ينزع من النفوس قيمة  
المال . ويثنيها عن الاهتمام بأمره . . . . . فهل هى دعوة الى الزهد فى  
القيم المادية الى حد عدم العناية بكسبها وتثميرها . أو عدم المبالاة  
بصيانتها وحفظها ؟

هيهات ، هيهات . ان المال فى نظر القرآن هو قوام الحياة (١) ،  
وقد سماه خيرا (٢) ، يأمرنا بأن نسعى فى طلبه ، ويحذرننا أن نعهد بتدبيره  
الى السفهاء . . . . . ان القرآن يدعو الى كسب المال من حله ، لانفاقه فى  
محلّه ، وكيف ينفق المال فى مصارفه من لم يلتزمه من مواردّه ، ولم  
يصنّه من متالفه ؟ . . .

من كان فى شك من هذه الحقائق فليقرأ بعد ذلك آيتى الدين  
والرهان (٢٨٢ و ٢٨٣) فهما تدفعان عن نفوسنا هذا التوهم ، وتصوغان  
للمؤمنين دستوراً هو أدق الدساتير المدنية فى حفظ الحقوق وضبطها  
وتوثيقها بمختلف الوسائل ، تمهيدا لانفاقها فى أحسن الوجوه .

نعم . لقد رأينا الشعوب الامية فرأيناها تعول فى اثبات الحقوق  
بينها — على شهادة العيان وحدها ، ليس لها سبيل غير ذلك ، ورأينا  
الامم المتحضرة فرأيناها تعتمد فى معظم الامر على الوثائق الكتابية  
وحدها . ثم رأينا دستور القرآن فاذا هو يطالبنا بالكتابة والاشهاد  
جميعاً « فاكتبوه » « واستشهدوا شهيدين » هذه واحدة . . . . . ثم يأمرنا  
بأن نجعل التوثيق بالكتابة شاملاً ، لا للديون الكبيرة وحدها ، بل لصغير  
الحقوق وكبيرها على السواء « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً

---

(١) كما يشعر بذلك قوله سبحانه : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى  
جعل الله لكم قياماً » من آية ٥ من سورة النساء .  
(٢) كما جاء فى قوله عز وجل : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت  
أن تترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين » من آية ١٨٠ من سورة البقرة .

الى أجله ... » وهذه ثانية ... ثم ينيها الى عدم اهمال الكتابة والاشهاد ، حتى في المبيعات الفورية الناجزة الثمن ... « الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا اذا تبايعتم » وهو ارشاد واضح لارباب الاعمال المالية الى العناية بدقة حسابهم ، وضبط صادراتهم ووارداتهم يوما فيوما ، بل ساعة فساعة ، وهذه الثالثة ... ثم ينيها الى أنه - منعا لكل خلاف ونزاع - لا يكون الكاتب أحد الطرفين . بل شخصا ثالثا بينهما ، عدلا منصفا ، عالما بقواعد المعاملات وشروطها ، وأصول الكتابة ، وصيغها الصحيحة الواضحة « وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » . أليس هذا هو نظام التوثيق أمام كاتب العقود الخبير في هذه الشؤون ؟ وهذه رابعة ... ثم يأمرنا في حال السفر الذي لا يتيسر فيه العثور على هؤلاء الكتاب أن يلجأ المتدائنان الى الاستيثاق بالرهون « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فراهان مقبوضة » وكأنما يرشدنا بكلمة السفر الى أنه في حال الحضر لا ينبغي أن تخلو الجماعة من هذا الجهاز الحسابي الدقيق ... فمن لم يجد سبيلا الى التوثيق بوثيقة ما ، ولم يبق أمامه الا أن يكل عميله الى ذمته وأمانته « فليؤد الذي أؤتمن أمانته » .

وهكذا نجد في هاتين الآيتين الكريمتين من ضروب الارشاد واثتوجيه الحكيم ما لا يكاد يحصى .  
والآن وقد أشرفنا على الختام - أحب أن نقف هاهنا وقفة قصيرة ، نحصى فيها المراحل العظيمة التي قطعناها من هذه السورة ، والخطوات اليسيرة التي بقيت أمامنا منها ...

لقد تناول الشطر الاول في هذه السورة ( من أولها الى آية البر ١٧٧ ) أصول الايمان ، ومبادئ العقيدة ، ارساء لها ، وردا على مخالفيها ، وكان الشطر الثاني ( من آية البر الى حيث نحن الآن في الآية ٢٨٣ ) تفريعا على الشطر الاول بتفصيل آداب الاسلام وفضائله

العملية ... فهل بقى فى أمر الدين شىء وراء هذين الركنين : وراء الايمان والاسلام ؟ •

نعم ، لقد بقيت ذروته العليا ، وحليته الكبرى ••

بعد الايمان ... والاسلام ... بقى الاحسان ، وهو — كما فسرهُ صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه — أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، أن تراقب الله فى كل شأنك ، وأن تستشعر مشاهدته لك فى سرِّك وعلانك ، وأن تستعد لمحاسبته لك ، حتى على ذات صدرك ، ودخيلة نفسك ، مطلب عزيز لا يطيق الوفاء به كل مؤمن ، ولا كل مسلم ، وإنما يحوم حول حماه صفوة الصفوة من المتقين ، وهذا المطلب هو الذى توجت به السورة هامتها فى آية واحدة ، قبل أن تطوى صفحاتها : « لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير » ( الآية ٢٨٤ ) •

الخاتمة : فى آيتين اثنتين ( ٢٨٥ و ٢٨٦ ) •

والآن وقد تناولت السورة أركان الدين كلها ، وأملت بعناصره جميعها : الايمان ، والاسلام ، والاحسان — لم يبق بعد تمام الحديث الا طى صفحاته ، وعلان ختامه •

فكيف طويت صفحة هذه السورة ، وكيف أعلن ختامها ؟

لنعد الى مطلع السورة فى آياتها الخمس الاولى ، لنرى كيف تتجاوب تلك المقدمة مع هذه الخاتمة ، ثم كيف يتعانق الطرفان : البدء والختام ، هكذا فى تناسق وانسجام ، ليلتحم من قوسيهما سور محكم يحيط بهذه السورة ، فاذا هى سورة حقا ، أى بنية محكمة مسورة •

ألم يكن مطلع السورة وعدا كريما لمن سيؤمن بها ويطيع أمرها بأنهم أهل الهدى وأهل الفلاح ؟

ألسنا نترقب الآن صدى هذا الوعد ؟ بلى ، اننا ننتظر الآن أن  
تحدثنا السورة : هل آمن بها أحد ، وهل اتبع هداها أحد ؟ ثم ننتظر  
منها — ان كان ذلك قد وقع — أن تحدثنا عن جزاء من استمع واتبع ...  
وهكذا سيكون مقطع السورة ، ويكون ختامها :

(١) بلاغا عن نجاح دعوتها : « آمن الرسول بما أنزل اليه من  
ربه والمؤمنون » « وقالوا سمعنا وأطعنا » •

(٢) وفاء بوعدنا لكل نفس بذلت وسعها في اتباعها « لها ما كسبت  
وعليها ما اكتسبت » •

(٣) فتحة لباب الامل على مصراعيه أمام هؤلاء المهتدين المفحين ،  
فلييسطوا — اذن — أكف الضراعة الى ربهم ، داعين صارعين : « ربنا ••  
ربنا •• أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين » •

وهكذا تختم هذه السورة بتحقيق هذا الوعد لمن آمن بها ، وعمل  
بها فيها • جعلنا الله واياكم من أهل هذه الخواتيم الحسنى • آمين •  
**عنتر حشاد**

---

### دعوة المظلوم

عن معاذ بن جبل قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : انك تأتي قوما من أهل الكتاب ، فادعهم الى شهادة أن لا اله الا  
الله ، وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض  
عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم  
أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد فى فقرائهم ، فان  
هم أطاعوا لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه  
ليس بينها وبين الله حجاب •

---



## ٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ١٣ -

للأستاذ عنتر أحمد حشاد

الموجه العام بوزارة التعليم

والمعار بكليتي التربية للمعلمين

والمعلمات بالدوحة - قطر



د - التفسير :

### بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥) .

### كلمة عامة في الربع الاول من سورة البقرة :

عدد آيات هذا الربع من سورة البقرة ٢٥ خمس وعشرون آية .  
الاولى منها هي آية : ( الم ) ٠ والآيات التسع عشرة من ٢ - الى ٢٠ في بيان موقف الناس من القرآن الكريم والاهتداء به ، وتقسيمهم الى ثلاث فرق : الفريق الاول ، وهو فريق المتقين ، يحدثنا هذا الربع عن صفاتهم وجزائهم في آيات أربع ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، وفريق الكافرين المعاندين ، يذكر صفاتهم وجزاءهم في آيتين اثنتين ٦ ، و ٧ . وفريق المنافقين المذبذبين بين المؤمنين والكافرين ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، يطيل في شأنهم . وبيان حقيقتهم ، وجهلهم ، ومنشأ نفاقهم ، وغرورهم ، وتلونهم وجبنهم . وجزائهم في ثلاث عشرة آية من الآية الثامنة الى الآية العشرين ( ٨ - ٢٠ ) .

وأول ما توحى به هذه النظرة العامة في آيات الفرق الثلاث أن الله سبحانه أسهب (١) في شأن فريق المنافقين . وضرب لهم الامثال ، وصورهم أشنع تصوير ينفر منهم النفوس . لان النفاق شر ما تحارب به آية دعوة الى الحق . فالكافر الجاحد عدو مصارح بالعداء يأخذ المؤمنون حذرهم منه ، ويتقون شره بمحاربتة والوقوف في وجهه . وأقواله وأفعاله بشأن الايمان والمؤمنين لا يسمع لها ولا تحقق غرضها . لانه متهم فيها والناس يعرفون أنه عدو . أما المنافق فانه يظهر بلسانه ما ليس في قلبه ، يظهر الايمان ويلتقى بالمؤمنين ، ويبطن الكفر ويلتقى بالشياطين « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون (٢) » « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (٣) » « ويحلفون بالله أنهم لمنكم وما هم منكم (٤) » وبهذا النفاق يبلغ المنافق من الكيد للايمان والمؤمنين ما لا يبلغه الكافر المصارح بالكفر . فمن أجل هذا أسهب الله في المنافقين : في صفاتهم وجزائهم : « أولئك الذين استتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (٥) » . ثم زادهم توضيحا فضرب لحيرتهم مثلين : مثل من أضاعت حوله النار ثم انطفأت عليه ، وتركته في ظلمة لا يهتدى فيها الى حواب . ومثل من أخذته السماء بمطرها وظلمتها ورعدها وبرقها . فأخذ يتحين الخلاص مضطربا في شأنه . خائفا من الهلاك . ولو شاء الله لذهب بسمعه وبصره . ان الله على كل شئ قدير .

فصل كل ذلك في ثلاث عشرة آية . بعد أن أجمل شأن الكافرين في آيتين اثنتين .

وهذه الفرق الثلاث التي فصل الله أوصاف كل فريق منها وجزاءه في الربع الاول من سورة البقرة — هي الفرق الثلاث التي ذكرها الله اجمالا في سورة الفاتحة في قوله عز شأنه : « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٦) » .

(١) أطال الحديث عن المنافقين . (٢) الآية ١٤ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ١٦٧ من سورة آل عمران .

(٤) من الآية ٥٦ من سورة التوبة .

(٥) الآية ١٦ من سورة البقرة (٦) الآيتان ٦ و ٧ من سورة الفاتحة

فالذين أنعم الله عليهم (١) وهم الفريق الاول فريق المتقين (٢) الذين هداهم القرآن الى الصراط المستقيم . « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٣) » • والمغضوب عليهم هم الفريق الثانى فريق الكافرين الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، ولا أدل من هذا على غضب الله وسخطه • والضالون هم الفريق الثالث : فريق المنافقين الحائرين الذين لا هم مؤمنون ولا هم كافرون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين • وبهذا تكون سورة البقرة قد فصلت فى أولها صفات وجزاء الفرق الثلاث التى أجملتها سورة الفاتحة فى آخرها (٤) •

فاذا انتهى السياق من عرض هذه الفرق الثلاث دعا الناس • • الناس جميعا — « ياأيها الناس » — الى أن يكونوا من الفريق الاول : فريق المتقين المهتدين ، فيطالب منهم عبادة ربهم وتوحيده ، وعدم اتخاذ الانداد له ، الذين يحبون من جنس حبه ، ويذكرون معه فى مقامات ذكره ، ويشركون معه فى مخ العبادة — الدعاء — أو يدعون من دونه . وفى سبيل ذلك يلفت نظرهم الى نعمته عليهم بالتربية والخلق . وبتشخير الارض ومنافعها ، والسماء ومائها فى الحصول على الرزق والثمرات ( اقرأ الآيتين ٢١ و ٢٢ ) •

ثم يتبع دعوة التوحيد بدعوتهم الى الايمان بالوحى ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم . ويحتج على حقية هذه الدعوة بهذا القرآن المنزل على عبده محمد عليه الصلاة والسلام ، ويتحدى الناس كافة بالآيتين بسورة من مثله . ويحذرهم ان لم يفعلوا — ولن يفعلوا — النار التى وقودها الناس والحجارة •

وهنا يأتى الامر بتبشير المؤمنين بأن لهم جنات تجرى من تحتها

(١) كما وصفوا فى سورة الفاتحة (٢) كما وصفوا فى سورة البقرة .

(٣) الآية ٥ من سورة البقرة .

(٤) راجع فى ذلك ما جاء فى تفسير سورة الفاتحة ص ٢٠ من العدد ٩ المجلد ٢ من مجلة التوحيد فى الحديث عن الصلة والارتباط بين سورتي الفاتحة والبقرة .

الانهار . جمعت لذائد المادة والروح . وهم فيها خالدون ( اقرأ الآيات  
٢٣ و ٢٤ و ٢٥ ) .

تلك مجمل الخطوط الرئيسية في هذا الربع الاول من سورة البقرة ،  
فلنحاول أن نتناول هذا الاجمال بشيء من التفصيل .

تفصيل المعنى :

( الم ( ١ ) ) :

بدئت سورة البقرة بهذه الاحرف الهجائية الثلاثة المقطعة : « ألف .  
لام . ميم » كما بدئت عدة سور من سور القرآن الكريم كذلك ببعض  
الاحرف المقطعة من حروف الهجاء :

أ . ل . ر — أ . ل . م . ص — ح . م — ق — ن — ص — ط . س —  
ك . ه . ي . ع . ص .

فما المراد بهذه الحروف الهجائية المقطعة في أول بعض السور ؟  
اختلفت آراء المفسرين في هذه الحروف الى عدة آراء . وأشهر  
آرائهم فيها ثلاثة :

أحدهما : ان الحروف الهجائية المقطعة في أول كل سورة مبدوءة بها  
هي اسم لها . فسورة البقرة تسمى أيضا : سورة أ . ل . م . وسورة  
الاعراف اسمها : سورة أ . ل . م . ص . وسورة القصص اسمها : سورة  
ط . س . م . وهكذا . واختار هذا الرأي الاستاذ الامام محمد عبده ( ٢ ) .  
ولكنه رأى لا يرتضيه . اذ لاوجه لتسمية سورة البقرة باسم سورة  
أ . ل . م . ولا وجه لاشتراك سور أخرى معها في التسمية بهذا الاسم ،

---

( ١ ) تقرا هذه الحروف بأسمائها هكذا : « ألف ، لام ، ميم » ولا تقرا  
باصواتها ، اى لا تقرا محركة بأى حركة ، او ساكنة ، ولذا فان من ترجمها  
الى الانجليزية بقوله : « Alif lam mim » كان أقرب الى الصواب ،  
أما من ترجمتها بهذه الاحرف « A . L . M » فقد بعد عن الصواب ، ومنهم  
عبد الله يوسف على في كتابه « The Holy Quran »

( ٢ ) كما ذكره السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار ص ١٢٢ ، ج ١  
ط ٤ دار المنار ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .

مثل سور : آل عمران ، العنكبوت ، الروم . ولقمان ، فلم سميت كل هذه السور باسم واحد ؟

وثانيهما : أن الحروف الهجائية المقطعة في أول بعض السور سر من أسرار الله في القرآن . استأثر بعلمه ، ولا يعلم المراد منها الا الله ، نتلوها كما وردت ، ولا نبحث في المراد منها ، ولله سر في كل كتاب من كتبه .

واختار هذا الرأي أكثر المفسرين ، ولهذا اقتصرنا بعد ذكر هذه الحروف على قولهم في تفسيرها « الله أعلم بمراده » وممن اختار هذا الرأي الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ، اذ يقول في تفسيره بعد أن استدل على هذا الرأي : « وعلى هذا فنحن نؤمن بأن في القرآن سرا لا يدركه البشر هو معانى هذه الاحرف التى جاءت فى فواتح السور ، ولكن لا ينبغى أن تتوسع فنطرد هذا المبدأ فيما وضحت دلالاته العربية . وثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيانه ، فنزعم — كما زعم أناس من قبل — أن للقرآن ظاهرا يدل عليه ، ويفهمه العامة ، ويكلفون به ، وباطنا لا يفهمه الا الخواص من عباد الله وهم مكلفون به ، فتلك نزعة فرقت المسلمين ، وضرب بعضهم بها رقاب بعض (١) » .

وهذا الرأي والقول بأن في القرآن سرا لم يرتضه كثيرون ، لان القرآن أنزل القدير آياته ، وللاهداء به . وليست فيه آية أنزلت سرا لا يمكن تدبرها ، ولا فهم المراد منها .

وثالثهما : أن الحروف الهجائية المقطعة، في أول بعض السور للإشارة الى أن آيات القرآن الكريم وكلماته كوّنت من الحروف نفسها التى يؤلف منها العرب كلامهم وخطبهم وأشعارهم ، لا من حروف أعجمية ، فاذا ما عجزوا عن الاتيان بمثله أو بشيء من مثله ، والحال هذه ، وهم أرباب البلاغة ، وفرسان الفصاحة ، ومحمد أمى — كان عجزهم هذا دليلا على اعجاز القرآن الكريم ، وأنه كلام الله ، وليس من كلام البشر .

(١) ص ٦٥ من تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت .

واختار هذا الرأى بعض المحققين من علماء اللغة وفنونها كالفراء ،  
وقطرب ، والمبرد ، والزمخشري ، وبعض علماء الحديث كشيخ الاسلام  
أحمد تقى الدين بن تيمية ، والحافظ المزى .

ومما يرجح هذا الرأى ما يأتى :

١ — أن كل سورة من سور القرآن الكريم بدئت بحروف هجائية مقطعة  
ورد فيها بعد سرد هذه الحروف حديث عن القرآن ، وفى هذا  
اشارة الى علاقة سرد هذه الحروف بالقرآن ، والى أن سردها لامر  
يتعلق به وباعجازه ، وعلى سبيل المثال نذكر :

« الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه » ، « الم . الله لا اله الا هو  
الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه » ،  
« المص . كتاب أنزل اليك » ، « الر تلك آيات الكتاب الحكيم (١) » .

اقرأ ذلك — ان شئت — تجد هذه السور كلها تتحدث عن  
القرآن (٢) ، أو تنزيل القرآن أو انزاله ، وهو الكتاب الذى كان  
موضع الاخذ والرد فيما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ،  
وهو الكتاب الذى جاء ليحرفهم عما هم فيه من ضلال وبغى ، وهو  
الكتاب الذى وقفوا منه موقف المكابرة والعناد . وهو الكتاب الذى  
رموه بأنه أساطير الاولين ، وبأنه حديث مفترى ، وبأنهم لو شاءوا  
لقالوا مثله . الى غير ذلك مما كانوا يحاولون به صرف الناس  
عن القرآن والحمد عنه .

(١) السور التى بدئت بهذه الحروف الهجائية المقطعة تسع وعشرون  
سورة ، وهى : البقرة وآل عمران ( المدينيتان ) والأعراف ، ويونس ، وهود ،  
ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، ومريم ، وطه ، والشعراء ،  
والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، ولقمان ، والسجدة ، ويس ، وص ،  
وغافر ، وفصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والاحقاف ،  
ونون ( المكية ) وجملة الحروف التى بدئت بها هذه السور ١٤ — أربعة عشر  
حرفا ، يجمعها قولك : « نص حكيم قاطع له سر » .

(٢) ما عدا أربع سور ، وهى : مريم ، والعنكبوت ، والروم ، ونون ،  
ومع ذلك فقد جاء بعدها ما يشارك القرآن فى انه كان على غير السنن المألوفة  
للفاس ، كتبشير زكريا بيحى ، والخبار بغلبة الروم ... الخ .

وفي هذا ما يكشف عن السر في أن جميع هذه السور مكية ، ماعدا  
سورتي البقرة وآل عمران المدنييتين . حيث المعارضة والمجادلة  
في أوج شدتها وعنفها .

٢ — أنه على هذا الرأي يكون للحروف الهجائية معنى مراد منها . وهذا  
أحق وأولى من جعلها سرا لا يفهم المراد منها ، ومن جعلها اسما  
للسورة لا يفهم وجه التسمية بها . ولا وجه لاشتراك عدة سور  
منها في اسم واحد ، وقد عدت الحروف المقطعة في كثير من السور  
آية مستقلة من آياتها ، فالأقرب الى الصواب أن يكون لهذه الآية  
معنى مراد منها ، وغرض يقصد بها .

٣ — أنه على هذا الرأي تكون هذه الحروف اشارة الى أنه لا عذر ماديا  
للعرب في عجزهم عن معارضة القرآن . وذلك ان الاعجاز لا يتحقق  
الا بتوافر أمور ثلاثة : أولها أن تتعدى من تزيد اثبات عجزه ،  
أى تطالبه بأن يأتى بمثل ما جئت به . وثانيها أن تتوافر عند من  
تتحدا الدواعى التى تبعثه على أن يجيبك ويباريك . وثالثها :  
أن تنتفى الاعذار والموانع التى تمنعه ماديا من هذه المعارضة  
والمباراة .

والقرآن الكريم قد دل على تحدى الناس بأساليب شتى : « فليأتوا  
بحديث مثله (١) » « فأتوا بعشر سور مثله (٢) » « فأتوا بسورة  
من مثله (٣) » . ودل على توافر الدواعى عندهم لمعارضته بما قرره من  
شدة جحودهم وتمسكهم بما كان عليه آباؤهم وحرصهم على تكذيبه .  
ودل بهذه الحروف الهجائية المقطعة في أوائل السور على انتفاء معاذيرهم ،  
لأنه مكون من حروفهم نفسها . لا من حروف غيرها ، والله أعلم بمراده (٤) .

### عنتر حشاد

(١) من آية ٢٤ من سورة الطور .

(٢) من آية ١٣ من سورة هود .

(٣) من آية ٢٣ من سورة البقرة .

(٤) انما اطلت في الحديث عن هذه الحروف لحاجتنا الى فهم معناها  
في كثير من السور ، وهى السور التسع والعشرون التى بدئت بها ، وقد  
سبق الحديث عنها في المجلة للدكتور محمد جميل غازى ص ١١ من العدد ١  
من المجلد ٣ فليرجع اليه ، والله ولى التوفيق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ١٤ -

للأستاذ عنتر أحمد حشاد

الموجه العام بوزارة التعليم  
والمعار لكليتي التربية للمعلمين  
والمعلمات بالدوحة - قطر



د - التفسير :

ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون  
بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون  
بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون (٤) أولئك  
على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥) .

### القرآن الكريم

« ذلك الكتاب »

المراد بالكتاب القرآن الكريم (١) ، والمشار اليه بقوله : « ذلك »  
هو ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من الآيات والسور في مكة  
وفي المدينة قبل نزول أول هذه السورة ، وما ينزل عليه بعدها ، فالمراد :  
ذلك الذي أنزل عليك من قبل ، وينزل عليك من بعد هو القرآن ، فلعدم  
حضوره كله وقت نزول هذه الآيات أشير اليه باسم إشارة البعيد  
« ذلك » .

(١) بوصفه مكتوباً سمي « الكتاب » وبوصفه مقروءاً سمي « القرآن »  
وقد جاء الاسمان في أول سورة يوسف في الآيتين الأولى والثانية، وله كثير  
من الاسماء لمعان آخر ، مرت بك في الاعداد ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ المجلد ٣ من  
هذه المجلة للدكتور محمد جميل غازي .



## أحقيقته

« لا ريب فيه »

أى لا شك فيه (١) ، فالمعنى : ليس في القرآن ريب من أية ناحية : لا من ناحية أنه من عند الله ، ولا من ناحية أنه معجز ، ولا من ناحية صدق مبادئه ، وعدالة تشريعه ، وسلامة عقائده ، ولا من ناحية أنه هدى للمتقين ، ولا من غير هذا من مختلف نواحيه .

## هدايته للمتقين

« هدى للمتقين »

الهدى والهداية يطلق كل منهما على مطلق الدلالة على ما يوصل الى المطلوب خيرا كان أو شرا ، ومنه قوله تعالى : « وهدينا النجدين (٢) » ، وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى (٣) ، والهدى بهذا المعنى المطلق وصف القرآن لجميع الناس : المتقين منهم وغير المتقين ، كما جاء في قوله سبحانه : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس (٤) » وكما يكون الهدى بهذا المعنى من الله سبحانه — يكون من غيره : الانبياء والمرشدين ، كما يشير الى ذلك قوله سبحانه في خطابه للرسول صلى الله عليه وسلم : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم (٥) » . وفي حديثه عن الصابرين الموقنين بآياته : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون (٦) » .

(١) النكرة في سياق النفي تعم ، فالمعنى : ليس فيه أى ريب من أية ناحية من نواحيه ، والوقف على : « فيه » أرجح من الوقف على : « لا ريب » .  
بدليل ماجاء في فاتحة سورة السجدة : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين » إذ لا يجوز الوقف هنا على : « لا ريب » والمعنى لا يحتمله .  
خلافنا لما جاء في تفسير القرآن الكريم للاستاذ محمود حمزه وزميليه ، وفي كتاب *The Holy Quran* للاستاذ عبد الله يوسف على مما يفهم منه أن الوقف على : « لا ريب » .

(٢) الآية ١٠ من سورة البلد ، والمعنى : بينا للانسان طريقى الخير والشر .

(٣) من الآية ١٧ من سورة فصلت ، والمعنى : بينا لثمود قوم صالح طريق الهدى فاستحبوا العمى ، واختاروا الكفر على الهدى والايمان .

(٤) من الآية ١٨٥ من سورة البقرة .

(٥) من الآية ٥٢ من سورة الشورى .

(٦) الآية ٢٤ من سورة السجدة .

ويطلق كل من الهدى والهداية أيضا على الدلالة على الخير مع المعونة والتوفيق والاختزال باليد للوصول اليه • والهدى بهذا المعنى وصف القرآن للمتقين خاصة • والمعنى : هذا القرآن فيه هدى ودلالة على الخير مع معونة الله وتوفيقه للمتقين خاصة للوصول اليه ، فهم لما وصفوا به من الصفات التي دلت على سلامة فطرتهم ، وكمال استعدادهم للخير — هداهم الله بالقرآن ، أى دلهم به على الخير ولم يتركهم لأنفسهم يصلون أو لا يصلون ، بل دلهم وأعانهم وأخذ بيدهم للوصول ، فالذين اتقوا أعانهم الله ووصلهم الى الخير ، والذين زاغوا أزاع الله قلوبهم • والهدى والهداية بهذا المعنى الاخير لا يكونان الا من الله — عز وجل — وحده ، كما جاء فى قوله سبحانه مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (١) » (٢) •

### المتقون وأوصافهم وجزاؤهم

المتقون : وهم الفريق الاول من الفرق الثلاث التي افترق اليها الناس بازاء الاهتداء بالقرآن ، وهم الذين يقون أنفسهم عذاب الله وسخطه فى الدنيا والآخرة ، وذلك بالوقوف عند حدوده وامتنال أوامره واجتناب نواهيه ، وهذه الآيات الاربع تحدثنا عنهم ، وتصفهم بصفات خمس هى أمهات الفضائل ، ودلائل الفطرة السليمة ، وأسباب الاهتداء ، وهذه الصفات الخمس : هى ايمانهم بالغيب ، واقامتهم الصلاة ، وانفاقهم مما رزقهم الله ، وايمانهم بما أنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل من قبله ، وايقانهم بالآخرة ، وبهذه الصفات الخمس اهتدوا وأفلحوا •

### ١ — الايمان بالغيب

« الذين يؤمنون بالغيب » :

الصفة الاولى من صفات المتقين المهتدين المفلحين بينها سبحانه بقوله : « الذين يؤمنون بالغيب » ، والمراد بالايمان بالغيب : التصديق

(١) من الآية ٥٦ من سورة القصص .

(٢) راجع ما كتبه بالتفصيل فى معنى الهدى عند تفسير قوله سبحانه

« اهدنا الصراط المستقيم » الآية ٦ من سورة الفاتحة فى العدد ٦ المجلد ٢ من هذه المجلة .

والاذعان بما غاب عن الحواس الظاهرة ( اللمس والشم والذوق والسمع والبصر ) متى قام عليه الدليل الصحيح •  
فالغيب في اللغة : كل ما غاب عنك ، وفي الشرع : كل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يقع تحت الحس في عالم الشهادة ، كعذاب القبر ، والبعث ، والحساب ، والصراف ، والميزان ، وصفات الباري جل وعلا •

والناس فريقان : فريق مادي حسي لا يؤمن ولا يصدق الا بما أدركه حسه الظاهر ، وفريق غير مادي يؤمن بما أدركه حسه الظاهر ، وبما أدركه وجدانه وأرشده اليه عقله بالبرهان ، وليس المراد بالايمان بالغيب التسليم الاعمى بدون دليل أو نظر أو برهان ، مما يؤدي الى اعتقاد الخرافات والتصديق بالاوهام ، والايمان بما لا يتفق مع الحقائق العليا التي جاء بها الدين الحنيف •

وأساس الاسلام ، وأساس كل رسالة هو الايمان بالغيب ومن لا يؤمن بالغيب لا يؤمن بالله ، ولا بملائكته ، ولا باليوم الآخر ، لان هذا كله غيب لا تدركه الحواس الظاهرة ، ولكن يدركه العقل بما قام عليه من الدلائل الصحيحة ، ومن لا يؤمن بالغيب لا يمكن أن يهتدى بالقرآن ولا بأى رسول •

فالاساس الاول للاهتداء بالقرآن هداية مصحوبة بمعونة الله وتوفيقه — أن يؤمن الانسان ويذعن بما غاب عنه متى قام له الدليل عليه كما يذعن بما أدركه حسه ، وألا يجمد على ما يحس به بالاحساس الظاهر لان الجمود على هذا تعنت وعناد ، وتعطيل للعقول •

والايمان بهذا الغيب من صفات المتقين ، وهو دليل على حسن استعداد النفوس لتلقى حقائق الدين ، والتصديق بها ، والعمل لها ، ولهذا جاء في صدر هذه الصفات الخمس ، وهو أفضل أنواع الايمان وأعلاها •

## — ٢ — اقامة الصلاة

### « ويقىمون الصلاة »

والصفة الثانية من صفات المتقين اقامة الصلاة •

والصلاة شرعا : العبادة البدنية المعروفة من الاقوال والافعال  
المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم ، وقد فرضت على المسلمين قبل  
الهجرة بسنة على أرجح الاقوال ، كتبها الله على عباده خمس مرات في  
اليوم واللييلة ، وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأقواله وأفعاله  
أوقاتها ، وكيفية أدائها •

واقامتها : أداؤها بأركانها وسننها وهيأتها في أوقاتها • قال ابن  
عباس : ويقيمون الصلاة : أى يقيمون الصلاة بفروضها ، وحكى الضحاك  
عنه اقامة الصلاة : اتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال  
عليها فيها ، وقال ابن قتادة : اقامة الصلاة : المحافظة على مواقيتها  
ووضوئها وركوعها وسجودها • وقال مقاتل بن حيان : اقامتها : المحافظة  
على مواقيتها واسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة  
القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا  
اقامتها ، وقيل : اقامتها : دوامها ، يقال : قام الشيء : أى دام وثبت ،  
والى هذا المعنى أشار عمر رضى الله عنه بقوله : من حفظها وحافظ عليها  
حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع •

ولم يقل سبحانه : « ويصلون » ، بل قال : « ويقيمون الصلاة »  
للاشارة الى أن المتقى هو من يؤديها مقامة لا عوج فيها ، محكمة لا خلل  
فيها ، مقرونة بالخشوع لله ، والتوجه الكلى الى الله ، واستحضار عظمة  
الله وألوهيته • ولا ريب فى أن أداء الصلاة على هذا الوجه خمس مرات  
فى اليوم واللييلة يجعل القلب دائما عامرا بذكر الله ، واقفا عند حده ،  
مستأهلا للاهتداء بهديه ، ولهذا قال سبحانه : « وأقم الصلاة ، ان  
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (١) » وقيل للرسول صلى الله عليه  
وسلم : ان فلانا يرتكب كذا وكذا من الآثام ، ولكنه يصلى ، فقال الرسول  
صلى الله عليه وسلم : « ستتهاء يوما صلاته » وقال عليه الصلاة والسلام :  
« لو أن نهرا يباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من  
درنه شيء ؟ قالوا : لا ، قال : فكذلك الصلاة » •

(١) من الآية ٤٥ من سورة العنكبوت .

## ٣ - الانفاق في سبيل الله

« ومما رزقناهم ينفقون »

والصفة الثالثة من صفات هؤلاء المتقين الانفاق مما رزقهم الله في سبيل الله .

والمراد أنهم ينفقون أموالهم في سبيل الله ، وفي معونة عباده الفقراء ، وعلى أهلهم وعيالهم ، ولا يبخلون بما آتاهم الله من فضله . وهذا الانفاق يشمل أداء الزكاة المفروضة ، ويشمل كل أنواع الصدقات المطلوبة ، والمعونة لكل من يحتاج الى المعونة .

وقد فرضت الزكاة على المسلمين في السنة الثانية للهجرة ، ولم يقل سبحانه : « ومن أموالهم ينفقون » ، بل قال : « ومما رزقناهم ينفقون » للإشارة الى أنهم انما يعطون مما أعطاهم الله ، والى أن انفاقهم انما هو شكر لله على ما رزقهم ، وقد صرح سبحانه بهذا في قوله : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه (١) » .

ولا ريب في أن انفاق ذى المال ماله في سبيل الله يطهر نفسه من الشح والبخل والانانية والقسوة ، ويوجهها الى الخير والبر ، ويجعلها مستأهلة للاهتمام بهدي الله . ولا شيء يحول بين المرء وكثير من الخير والبر والهدى الا الشح والحرص على المال ، ولهذا قال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (٢) » وقال سبحانه : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٣) » .

### عنتر حشاد

(١) من الآية ٧ من سورة الحديد ، والمعنى : أنفقوا في وجوه الخير بعض المال الذي جعلكم سبحانه خلفاء في التصرف فيه ، كأنه يقول سبحانه : الاموال التي في أيديكم ما هي الا ودائع مملوكة له سبحانه .

(٢) من الآية ١٠٣ من سورة التوبة .

(٣) من الآية ٩ من سورة الحشر ، ومن الآية ١٦ من سورة التغابن .



## كلمة التحرير :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله « وبعد » :  
ان هذا العدد من مجلة التوحيد يصدر بعد حوالى شهر من أحداث  
الشغب والمظاهرات التى وقعت بالقاهرة وبعض مدن الجمهورية يومى  
٢٨ و ٢٩ من المحرم ١٣٩٧ هـ ( ١٨ ، ١٩ من يناير ١٩٧٧ ) والتى حطم  
المتظاهرون فيها بعض الممتلكات العامة والخاصة ، وأحرقوا خلالها الكثير  
من وسائل النقل العام وبعض أقسام الشرطة والمستشفيات وغير ذلك ،  
وراح ضحيتها العشرات من القتلى والمئات من المصابين .

وان الذى ينظر الى هذه الاحداث التى تدمى القلوب ، يرى أنها  
لا يمكن أن تحدث بسبب زيادة الاسعار ، بل لا بد أن يكون وراءها  
تخطيط مدبر منظم ، كان يهدف منه المتآمرون الخونة الى تحطيم معنويات  
هذا الشعب ، والى زيادة متاعبه ومعاناته ، والى نشر الخراب والدمار  
فى ربوع هذه البلاد ، حتى تسنح لهم الفرصة لتحقيق مآربهم الآثمة .  
ونحمد الله أن أنقذ البلاد من كارثة محققة ، وان كان لا بد من  
الضرب على أيدي هؤلاء المأجورين العملاء بكل قوة ، فهؤلاء من الذين  
يقول فيهم الله عز وجل : ( انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ،  
ويسعون فى الارض فسادا ، أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم  
وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الارض . ذلك لهم خزي فى الدنيا ،  
ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ) .

يا حكام مصر :

إذا أردنا أن نضع الحلول البقاء لمشاكل مجتمعنا ، فليس هناك  
الاحلا واحدا يجب أن نتمسك به ، ألا وهو اقامة المجتمع المسلم ، فاذا  
كان دستورنا ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام ، وينص  
على أن الشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للتشريع ، واذا كنتم تدافعون  
عن الاسلام فى كلماتكم ، الا أن أقوالكم تغاير أفعالكم ، فرغم التصريحات  
العديدة بالعودة الى الاسلام ، لم نجد بادرة عمل واحدة تدل على ذلك ،  
والله عز وجل يقول : ( يا أيها الذين آمنوا : لم تقولون ما لا تفعلون ؟  
كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ) وحتى إذا كان القول صادقا

فلا قيمة له بلا عمل ، فالله عز وجل عندما يقول : ( ان الذين قالوا ربنا الله ) يقول بعدها ( ثم استقاموا ) فهي قول وعمل ، وكذلك عندما يقول : ( الذين يستمعون القول ) يقول بعدها ( فيتبعون أحسنه ) فهي أيضا قول وعمل ، أما الذين يقولون ولا يعملون فهم الخائفون •  
يا حكام مصر :

هل الاسلام يبيح تناول الخمر أو صناعتها أو تداولها ؟ هل الاسلام يبيح اقامة المراهى والمراقص ؟ هل الاسلام يبيح هذه السموم التي تقدمها السينما وغيرها من وسائل الاعلام ؟ هل الاسلام يبيح هذا الاختلاط بين الرجل والمرأة في كل نواحي الحياة ؟ هل الاسلام يبيح تهيئة الفرص للشيوعيين لتجميع المواطنين تحت لوائهم وشعاراتهم ؟

يا حكام مصر :

لقد جربنا الحكم بالقوانين الفرنسية ، وبالقوانين الرومانية ، وجربنا ما نسميه بالاشتراكية ، فلماذا نخاف الاسلام ؟ فلنحكم بكتاب الله ، ولنغير تلك العبارة التي يتشدق بها الجميع ، وهي « حتمية الحل الاشتراكي » غيرها لتكون « حتمية الحل الاسلامي » فلنقدم على هذه التجربة ، وننتظر النتيجة ، فستختفى الخفافيش أمام هذا النور ، لانها لا تظهر الا في الظلام •

يا حكام مصر :

ان ما أصابنا لم يكن الا لبعدنا عن دين الله ( واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا ) والله لا يأمر الا بالصلاح والرشاد والخير ، وهو سبحانه القائل : ( وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ) •

فاذا أردتم الاصلاح أيها الحكام فعليكم بدين الله ، اعتصموا به ، وتمسكوا بتعاليمه ، واعملوا على نصرته ، بأن تحلوا حلاله ، وتحرموا حرامه ، كى يكون ذلك تأسيسا لبناء هذا المجتمع على قاعدة صلبة ( أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين ) •

صدق الله العظيم

رئيس التحرير

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفسير

## عرض - وتفسير

عتر احمد حstad

المرجه العام بوزارة التعليم والمعار للكتبي التربيه للمعلمين والمعلمات  
الدوحة قطر

٢ - سورة البقرة

- ١٥ -

( د ) التفسير :

ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب  
ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) وللذين يؤمنون بما أنزل  
اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى  
من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥) •

رأينا - في العدد السابق - من صفات المتقين ثلاث صفات ، وهي:  
ايمانهم بالغيب ، واقامتهم الصلاة ، وانفاقهم مما رزقهم الله ، وبقيت  
صفتان ، هما : ايمانهم بالقرآن الكريم والكتب السماوية ، وايقانهم  
بالآخرة •

### ٤ - الايمان بالكتب

« والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك » •  
الصفة الرابعة من صفات المتقين : ايمانهم بما أنزل على محمد  
صلى الله عليه وسلم وما أنزل من قبله على أنبياء الله ورسله صلوات  
الله وسلامه عليهم أجمعين ، فهم مؤمنون برسول الله وكتبه ، لا يفرقون  
بين أحد من رسله ، ولا بين شيء من كتبه •



والذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم ،  
ومن أسمائه : الفرقان ، والذكر ، والنور ، والشفاء ، والذى أنزل على  
الذين من قبله كتب كثيرة ، وصحف متعددة ، ذكر القرآن منها : صحف  
ابراهيم ، وتوراة موسى ، وانجيل عيسى ، وزبور داود . والمعروف  
فى العالم اليوم من الكتب السماوية : القرآن الكريم ، وهذه الثلاثة  
الاخيرة : التوراة والانجيل والزبور بأيدى أهل الكتاب من اليهود  
والنصارى ، ويجمعها عندهم ( الكتاب المقدس ) الذى يتألف من العهدين :  
القديم والجديد .

ذكر القرآن الكريم صحف ابراهيم فى آية واحدة من سورة  
الاعلى مقرونة بصحف موسى فى قوله سبحانه : « ان هذا لفى الصحف  
الاولى ، صحف ابراهيم وموسى (١) » وذكر زبور داود فى آية من سورة  
النساء : « أنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبين من بعده وأوحينا  
الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب  
ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً (٢) » وذكر التوراة وحدها  
مثنياً عليها بالصدق والخير والهداية والنور فى كثير من الآيات ، منها  
قوله تعالى : « انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون  
الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار (٣) بما استحفظوا من  
كتاب الله وكانوا عليه شهداء (٤) » وذكر الانجيل فى القرآن وحده أحياناً ،  
ومقرونا بالتوراة على أنه مصدق لها أحياناً أخرى ، ومن الاول قول  
الله تعالى : « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم  
بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (٥) » ومن الثانى قوله سبحانه :  
« وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة  
وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى

(١) الآيتان الاخيرتان ١٨ و ١٩

(٢) الآية ١٦٣

(٣) الربانيون : العباد من اليهود ، والاحبار : هم العلماء منهم ، جمع  
حبر ( بفتح الحاء وكسرها ) من التحبير ، وهو التحسين . وقيل : الربانيون :  
علماء النصارى ، والاحبار : علماء اليهود ، والربانيون والاحبار معطوفان  
على ( النبيون ) . (٤) من الآية ٤٤ من سورة المائدة .

(٥) الآية ٤٧ من سورة المائدة .

وموعظة للمتقين (١) » • كما ذكرت الكتب الثلاثة مقترنة في آية واحدة في مواضع عدة على أنه يصدق بعضها بعضاً في الهداية ، منها أول سورة آل عمران : « الله لا اله الا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل ، من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (٢) » ومنها قوله تعالى في سورة التوبة : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن (٣) » • وقد افترض الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته المسلمة الايمان بكل هذه الكتب السابقة ، والانبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، كما قال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (٤) » « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (٥) » « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله (٦) » •

والمراد بايمان المتقين بما أنزل الى الرسل : تصديقهم واعتقادهم بأنه منزل من عند الله ، وتصديقهم واعتقادهم بأنه منزل هدى للناس ورحمة ، فهم مؤمنون بمصدره ، ومؤمنون بالغاية المقصودة منه •

## • - الايقان بالآخرة

« وبالآخرة هم يوقنون » •

الصفة الخامسة من صفات المتقين : ايقانهم بالآخرة ، والمراد أنهم

- 
- (١) الآية ٤٦ من سورة المائدة .
  - (٢) الأيتان ٢ و ٣ وبعض الآية الرابعة .
  - (٣) من الآية ١١١ (٤) الآية ١٣٦ من سورة البقرة .
  - (٥) الآية ٨٤ من سورة آل عمران .
  - (٦) من الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

موقنون ومصدقون بالحياة الآخرة التي يحيهاها الناس بعد حياتهم الدنيا، أى أنهم يوقنون بأن لهم معادا ورجوعا الى ربهم فى حياة أخرى يحاسبون فيها على ما عملوا فى حياتهم الاولى ، ويجزى فيها كل عامل بعمله ، فهم موقنون بحياة أخرى وبكل ما ورد فى التنزيل فى تلك الحياة الأخرى من بعث وحساب وجزاء وغيرها •

وانما ذكر صراحة ايمانهم بالحياة الآخرة مع أنه داخل ضمنا فى ايمانهم بالغيب ، وفى ايمانهم بما أنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزل من قبله ، للرد صراحة على من جحدوا بالحياة الآخرة ، وقالوا « ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » •

هذه هى صفات المتقين الخمس التى صاروا بها أهلا للاهتداء بالقرآن الكريم ، وهى صفات تؤهل للهدى والخير ، لان ايمانهم بالغيب وعدم جمودهم على المحس الظاهر — دليل على سلامة فطرتهم واذعانهم للحق الذى قام عليه البرهان ، محسا كان أو من الغيب ، واقامتهم الصلاة دليل على توجههم لله وقصده وحده بالعبادة والخضوع ، وانفاقهم مما رزقهم الله دليل على طهارة أنفسهم من الشح والانانية ، وعمران قلوبهم بالعطف والرحمة ، وايمانهم بما أنزل الى الرسول وما أنزل الى الرسل من قبله دليل على أنهم آمنوا برسول الله وصدقوه ، واتخذوا ما جاءوا به اماما لهم ، وايمانهم بالآخرة آية هذا التصديق وأمارته ، ودليل على شعورهم بأنهم مسئولون عن عملهم فى هذه الدنيا • وكل هذه الصفات دعائم وأسس للاهتداء ، ولذا قال سبحانه :

« أولئك على هدى من ربهم » •

أولئك المتقون الذين توافرت فيهم هذه الصفات أضاء الله لهم طريق الحق والخير ، وفتح عقولهم ، وأنار أبصارهم فاهتدوا بالقرآن واتخذوه اماما لهم ، ووجدوا فيه هدى لهم ، وهم بأوصافهم ومعونة الله وتوفيقه انتفعوا بما فيه واهتدوا بهداه فأصبحوا على هدى من ربهم •

والتعبير بهذه الصيغة « أولئك على هدى » بدلا من « أولئك هم المهتدون » يدل على ثباتهم على الهدى ، وتمكنهم منه ، كما تقول لمن

تذعن له بالحق والاستقامة : « أنت على الحق ، وأنت على الجادة » ،  
فهؤلاء المنتقون لتمكن الهداية في قلوبهم وثباتهم عليها ، ولأنها لا ريب  
فيها — أخبر سبحانه أنهم على هدى •

وأخبر سبحانه أن هداهم « من ربهم » للإشارة الى أن اهتداءهم  
مصدره ربهم ، لأنه هو الذى وفقهم للاهتداء ، وأخذ بيدهم للوصول  
الى الخير ، ولولا توفيقه ومعونته لضلوا كما ضل غيرهم ممن لهم قلوب  
ولكن لا يعقلون بها ، وأعين ولكن لا يبصرون بها ، وآذان ولكن لا يسمعون  
بها ، فوجود العقل ، واستكمال الحواس ، وظهور الدلائل وسائل للهدى  
إذا صاحبها توفيق الله ومعونته : « قل ان الهدى هدى الله » •

« وأولئك هم المفلحون » •

أولئك المنتقون هم الفائزون ، وأطلق سبحانه أفلاحهم دون أن يقيده  
بالحياة الاخرى للإشارة الى أن فوزهم فى الدنيا وفى الاخرى ، لان  
القرآن فيه هدى لسعادة الدارين ، وللفوز فى الحياتين •

والأفلاح : الفوز وبلوغ المقصود ، يقال : أفلح المؤمنون : أى  
فازوا برضا الله ، وأفلاح الزارع : أى بلغ مقصوده من زرعه •

ولا يقال : أفلح ، الا لمن فاز ووصل الى مقصوده بسعى وعمل  
وأخذ فى الاسباب ، فيقال : أفلح الزارع ، أو الصانع ، أو العامل ،  
أو التاجر ، اذا بلغ كل بعمله وسعيه مقصوده ، ولا يقال : أفلح الوارث  
فى ارثه •

فهؤلاء المنتقون بايمانهم بالغيب ، واقامتهم الصلاة ، وانفاقهم مما  
رزقهم الله ، وايمانهم بما أنزل الى رسل الله وباليوم الآخر — عملوا  
للفوز ، وأخذوا فى أسبابه ، فهم المفلحون •

والجملتان اللتان بين الله بهما جزاء أولئك المتقين — جملتان تفيديان  
الحصر ، أى قصر الهداية من الله عليهم ، وقصر الفوز والفلاح  
عليهم ، فالهداية الى الصراط المستقيم هداية مصحوبة بمعونة الله  
وتوفيقه ، موصلة الى الخير — لا تكون الا لهؤلاء المتقين •

نسأل الله أن يجعلنا ممن اتقى ، فكان على هدى من ربه ، وكان

عنتر حشاد

من المفلحين ••

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# التفسير

## عرض وتفسير

عبد الرحمن بن محمد حساد

الرمحه العام بوزارة التعليم والمعارف للكتبة الترتيب للعالمين والمعلمات  
الدوحة قطر

٢ - سورة البقرة

- ١٦ -

( د ) التفسير :

ان الذين كفروا سوا عليهم انذرتهم (١) ام لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) حتم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى ابصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم (٧) .

هاتان الآيتان في شأن الفريق الثاني من الفرق الثلاث التي انقسم اليها الناس بلزاء الاهتداء بالقرآن . وهذا الفريق الثاني - فريق الكافرين - مقابل للفريق الاول - فريق المتقين - الذي بين الله أوصافه وجزاءه في الآيات الاربع السابقة (٢) .

فالفريق الاول هداهم ربهم بالقرآن ، فاتخذوه نورا لهم واماما ، بسبب ما توافر فيهم من وسائل الاهتداء ، اذ أنهم آمنوا بالغيب ، واتجهوا الى الله بعبادته - أقاموا للصلاة ، وأنفقوا مما رزقهم الله - وآمنوا بما أنزل الى محمد ، وبما أنزل الى الرسل من قبله ، وأيقنوا بالآخرة ، فكانوا هم الفلاحين .

(١) الرسم العثماني بألف واحدة (ءأذرتهم) ، وكذا جميع ما جاء من كل استفهام فيه الفان أو ثلاثة رسم بألف واحدة ، كراهة اجتماع صورتين متفتتين نحو : «أأنت قلت للناس» «ءأهتنا خير أم هو» «ءأمنتتم» .  
(٢) من الآية الثانية - الى الآية الخامسة .

وأما هذا الفريق الثاني فقد كفروا: وأضروا على كفرهم ، فاستوى  
عندهم انذارهم بسوء عاقبتهم وعدم انذارهم ، ولهذا سددت في وجوههم  
سبل الاهتداء فلم يؤمنوا بما آمن به المتقون ، ولم يهتدوا بالقرآن  
كما اهتدى المتقون .

وأصل معنى الكفر (١) في لغة العرب : الاخفاء والتغطية والستر .  
يقول العرب : « الليل كافر » أى سائر لكل شيء بظلمته ، ويصف شاعرهم  
ليله بقوله : « في ليلة كفر النجوم غمامها (٢) » . ويطلق على عدم شكر  
النعمة ، لان من لم يشكر النعمة فقد أخفاها وسترها . وتقصير المرأة في  
حق زوجها كفر العشير (٣) .

ويطلق على عدم الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم  
الآخر والقضاء والقدر ، لان من لم يصدق بهذا كله أو ببعضه فقد أخفى  
الحق وستره . وهذا المعنى الاخير هو المراد - شرعا (٤) - من لفظ  
الكفر في القرآن والسنة ، وفي كل استعمال شرعى .

**والانذار :** الاعلام بالشيء مقترنا بالتحذير من سوء عاقبه مخالفته  
مع اتساع الزمن للمخبر (٥) أن يحتترز ، فإن أخبر بحيث لا سعة من  
الزمن للاحتراز - سمي الاخبار اشعارا لا انذارا .

والمراد - في هذه الآية - بالذين كفروا : الذين أضروا على كفرهم ،

(١) بضم الكاف وفتحها .

(٢) بفتح ميم ( النجوم ) وضم ميم ( غمام ) .

(٣) كما جاء في حديث ابن عباس : ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي  
صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتب  
عليه في خلق ولا دين ، ولكنى أكره الكفر في الاسلام . . . الحديث من ص ٧٤  
من صفة صحيح البخارى شرح الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر ،  
الطبعة الرابعة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ، مطبعة مصر ، القاهرة .

(٤) أما قوله تعالى : « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » من آية  
٢٠ من سورة الحديد ، فمعنى الكفار فيها : الزراع وقد سمي الزراع كافرا ،  
لأنه يغطي البذر بالتراب ، وجمع الكافر : كفار ، وكفرة ، أما « الكوافر »  
فإنها جمع « كافرة » للمؤنث ، ومثله قوله تعالى : « ولا تمتسكوا بعصم  
الكوافر » ، إذ ان المذكر العاقل لا يجمع على ( فواعل ) إلا ما شذ ونذر .  
(٥) بفتح الباء .

ورسخ الكفر في قلوبهم ، ممن علم الله أنهم يموتون على الكفر ، كأبى جهل ، وأبى لهب ، والوليد بن المغيرة ، وغيرهم الى أن تقوم الساعة ، بدليل اخبار الله عنهم بأنهم سواء عليهم انذارهم وعدم انذارهم في أنهم لا يؤمنون ، ولا يعدلون عن اصرارهم على كفرهم (١) .

وفي هاتين الآيتين تثبيت للرسول — صلى الله عليه وسلم — ولكل داع الى الحق ، فالقرآن الكريم — في ذاته — هدى ونور ، ولا يقدر فيه ألا يهتدى به مصر على كفره ، كما لا يقدر في نور الشمس ألا يهتدى به العمى أو المتعمون ، وهل يغض من مهارة الطبيب أن يعرض المريض عن تناول الدواء فيموت بجهله ؟ وهل يقدر في البذر الطيب ألا ينبت في أرض سبخة ، فالله سبحانه بين لرسوله — صلى الله عليه وسلم — ولا منته أن القرآن هدى ، ولكن للمستأهلين للاهتداء ، وهم المتقون الذين ذكرت أوصافهم . أما الجاحدون المصرون على كفرهم وجحودهم فهم غير مستعدين للاهتداء ، ولا يجدون في القرآن هدى لهم ، لم يرفعوا للقرآن رأسا ، بل نكسوا على رؤوسهم ، ولم يفتحوا له أذنا ولا عينا ، بل جروا عليه صما وعميانا « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء . والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد (٢) » .

هؤلاء المصرون على كفرهم لا سبيل الى اهتدائهم ، لانهم اما أن يكونوا عرفوا الحق واقتنعوا بما أقيم عليه من براهين ، ومع هذا أصروا على كفرهم عنادا ومكابرة ، فهؤلاء ضلوا على علم ، وأصروا على الباطل وهم يعلمون أنه الباطل ، فلا تنفع فيهم أية وسيلة ، ولا يلتمس هداهم من أى طريق ، وفيهم قال الله عز شأنه : « أفرأيت من اتخذ الهه هواه

(١) ونظير ذلك ما جاء في قوم نوح من قوله تعالى : « واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون » الآية ٣٦ من سورة هود .

(٢) من الآية ٤٤ من سورة فصلت .

وأضله الله على علم (١) وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة  
فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢) » •

وأما أن يكونوا صموا آذانهم عن دعوة الحق وعن سماع آياته ،  
وحجبوا عقولهم عن النظر في براهينه فهؤلاء أقاموا بينهم وبين الهدى  
حجابا ، وجعلوا بينهم وبين الايمان سدا ، فلا تنفع فيهم وسيلة  
ولا يرجى منهم اهتداء ، وفيهم قال الله تعالى : « وقالوا قلوبنا في أكنة  
مما تدعوننا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا  
عاملون (٣) » (٤) •

وأما أن يكونوا استمعوا الى دعوة الحق ونظروا في براهينها ،  
ولكن في عقولهم مرض من الشكوك والريب ، وكلما قاربوا الهدى ثارت  
شكوكهم وريبهم وشبهاتهم فصدتهم عن الايمان فهم لا يهتدون •  
فكل مصر على باطل لا بد أن يكون السبب في اصراره واحد من  
ثلاثة : اما عناد وابعاء ومكابرة ، واما استخفاف واعراض ، واما مرض  
من الشكوك والريب والشبهات ، ولهذا يستوى انذار الداعى له ،  
وتحذيره من سوء العاقبة ، وعدم انذاره وتحذيره ، إذ أنه لن يعدل  
عن باطله ، ولن يؤمن بالحق الذى يدعى اليه •

ومثل هؤلاء مثل ذى عينين سليمانين ينكر ضوء الشمس  
في رائعة النهار مكابرة وعنادا ، ومثل من يغمض عينيه وينكر ضوء  
الشمس في رائعة النهار ، ومثل من ينكر ضوء الشمس لمرض في عينيه •  
وقد يقال : اذا كان الله قد علم أزلا كفرهم باختيارهم السبىء ،  
وأخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون ، فما فائدة توجيه الدعوة اليهم وانذارهم ؟

- (١) على علم من الكافر بأنه على الباطل ، غير جاهل بالحق والايمان .
- (٢) آية ٢٣ من سورة الجاثية .
- (٣) الآية ٥ من سورة فصلت .
- (٤) ونظير ذلك ما حدث من قوم نوح : « قال رب انى دعوت قومى  
ايلا ونهارا . فلم يزدتهم دعائى الا فرارا . وانى كلما دعوتهم لتغفر  
لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا  
استكبارا » الآيات من ٥ - الى ٧ من سورة نوح •



والجواب : أن الإنذار لاقامة الحجّة عليهم . حتى لا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، ولتحقيق عموم الرسالة ، وليثاب الرسول على دعوتهم للإيمان وأن لم يستجيبوا .

هذا ، والكفر نوعان : كفر انكار الله قلباً ولساناً ، ككفر فرعون ، وكفر إباء وامتناع ، وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ، أو يقر بلسانه ويكفر بحقوقه ويأبأها ، ككفر إبليس ومن على شاكلته من البشر ، وكلا النوعين يؤدي إلى الخلود في النار .

ومن سنة الله في خلقه أن من أصر على الباطل غناداً للحق ، أو اعراضاً عنه ومعاداة له سد الله في وجهه سبل الإهداء ، وطبع على عقله فلا يفقه ، وعلى أذنه فلا يسمع ، وعلى عينه فلا يبصر ، وله عذاب عظيم في الدنيا والآخرة .

وقد نطقت بهذه السنة الإلهية عدة آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية . قال تعالى : « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١) » والمعنى في الآيتين من سورة البقرة ، وسورة آل عمران : ذلك الكفر بآيات الله ، وقتل النبيين بغير الحق بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر على حدود الله حتى قسمت قلوبهم ، فان الاستمرار على صغار المعاصي يؤدي إلى الاجترار على كبارها ، كما أن الاستمرار على الطاعات يستتبع كبارها . كما يشير إلى هذه السنة قوله تعالى : « كلا بل (٢) ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (٣) » وقوله : « بل طبع الله عليها بكفرهم (٤) » وقوله : « كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين (٥) » وقوله : « ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم (٦) » وقوله : « فلما زاغوا أزاغ

(١) تذييل آية ٦١ من سورة البقرة ، وآية ١١٢ من سورة آل عمران .

(٢) سكتة لطيفة على اللام .

(٣) آية ١٤ من سورة المطففين ، والختم والرین والطبع على القلوب

بمعنى واحد ، وهو احكام اغلاتها بخاتم أو بطابع حتى لا تجد منفذا للتدبير والتفكر .

(٤) من آية ١٥٥ من سورة النساء .

(٥) من آية ١٠١ من سورة الاعراف .

(٦) من آية ٣ من سورة « المنافقون » .

اللهم قلوبهم (١) « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدداً (٢) » .  
 والمراد بالقلوب هنا وفي مثل هذا المقام : العقول ، لأنها هي  
 وسيلة التفقه والتدبر والتفكر ، كما في قوله سبحانه : « لهم قلوب  
 لا يفقهون بها (٣) » وقوله : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب  
 أقفالاها (٤) » . والمراد بالسمع : الأذن التي تسمع ، وبالابصار :  
 العيون التي تبصر (٥) .

والختم على القلوب والسمع ، والغشاوة ( وهي الغطاء ) على  
 الابصار ، ولهذا يجوز الوقف على « سمعهم » وتستأنف القراءة بقوله  
 سبحانه : « وعلى أبصارهم غشاوة » بدليل آية ٢٣ من سورة الجاثية  
 التي سبق ذكرها ، وخير ما يفسر القرآن القرآن (٦) .  
 والختم والطبع والرین والتغطية كلها كناية عن أن الله سبحانه  
 بسبب أصرارهم على كفرهم لم يفتح لهم منفذاً من منافذ الاهتداء ،  
 لان وسيلة الانسان للوصول الى الحق والهدى عقل يفكر به فيما يدعى  
 اليه ، وأذن يسمع بها ما يقوله الداعي ، وعين يبصر بها آيات الحق  
 ودلائله ، فمن استأهل للاهتداء سهل الله له وسائله ، ومن لم يستأهل  
 له سد عليه منافذه . وكنتى عن هذا بأنه ختم على عقله وأذنه ، وجعل  
 على بصره غطاء ، وبذلك اجتمع على الكفار عمى البصيرة التي هي نور  
 القلب ، وعمى البصر الذي هو نور العيون ، وانسداد السمع .

- (١) من آية ٥ من سورة الصف .  
 (٢) من آية ٧٥ من سورة مريم .  
 (٣) من آية ١٧٩ من سورة الاعراف .  
 (٤) آية ٢٤ من سورة محمد .  
 (٥) أفرد السمع لانه لا يدرك الا الاصوات ، وجميع القلوب والابصار  
 لان ما يدرك بكل منها متعدد فالبصر يدرك الاشكال والالوان والمقادير .  
 (٦) وما جاء في التفسير الوسيط ص ٣٤ من الحزب الاول - الطبعة  
 الثانية من أن الغشاوة على الاستماع فقد وقع سهواً بدليل ما جاء قبله في  
 تفسير المفردات ص ٣٣ ، وما جاء بعده في ص ٣٥ .

وفى تفسير هذه الآية السابعة يقول ابن جرير الطبرى : « والحق عندى فى ذلك ما صح فى نظيره الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال : « ان المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة (٢) سوداء فى قلبه ، فان تاب ونزع واستعتب (٣) صقل قلبه (٤) » . وان زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذى قال الله تعالى : « كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

« ولهم عذاب عظيم » والعذاب يكون عظيما لشدة آلامه ، أو لطول زمانه . وتدل الآيات الاخرى مثل قوله تعالى : « لهم فى الدنيا خزي ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » على أن عذابهم دنيوى وأخروى ، مما يصيبهم فى الدنيا على أيدي المؤمنين من الأسر والقتل ، ومن عذاب الآخرة الأليم الدائم .

### عنتر حشاد

## البقاء لله

توفى الى رحمة الله فضيلة الشيخ محمود ابراهيم الموجى بعد جهاد دام أكثر من ثلاثين عاما تنقل خلالها من بلد الى بلد داعيا الى الله ، حتى وفقه الله لنشر الدعوة فى شربين والعيادية وكفر الحاج شريينى وكفر أبو سيد أحمد وكفر أبو فودة ودرنجواى وغيرها .  
ونلجأ الى الله عز وجل أن يتعمده برحمته وأن يسكنه فسيح جناته .  
وأن يجزيه عن الاسلام خير الجزاء .

(١) ساق ابن جرير هذا الخبر بسنده عن ابي هريرة .  
(٢) برمع « نكتة » فاعل كان التامة ، بمعنى : وجدت نكتة سوداء فى

قلبه .

(٣) تاب من ذنبه ، وطلب رضا ربه .  
(٤) جلى قلبه وصار نظيفا من اثر الذنب .

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# التفسير

## عرض - وتفسير

عبد الرحمن حماد  
المرحوم العام بوزارة التعليم والاعمال للكتبى التريه للمعلمين والمعلمات  
الدوحة قطر

### ٢ - سورة البقرة

- ١٧ -

(د) التفسير :

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين  
(٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون  
(٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا  
يكذبون (١٠) واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن  
مصلحون (١١) الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) واذا  
قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء ؟  
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) واذا لقوا الذين آمنوا  
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن  
مستهزئون (١٤) الله يستهزىء (١) بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون  
(١٥) اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم  
وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت  
ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم  
بكم عمى فهم لا يرجعون (١٨) او كصيب من السماء فيه ظلمات  
ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت ،  
والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء  
لهم مشوافيه واذا اظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب  
بسمعهم وابصارهم ، ان الله على كل شىء قدير (٢٠) .

(١) الهزة فوق الياء وتعذر المطبعة لان ماكينات الجمع الحديثة  
لاستطيع كتابتها الا بعد الياء .

## النفاق والمنافقون

بعد أن رأينا صفات المتقين وجزأهم في آيات أربع ( ٢ - ٥ ) وصفات الكافرين في آيتين اثنتين ( ٦ و ٧ ) شرعت هذه الآيات تحدثنا عن الفريق الثالث : فريق المنافقين : صفاتهم وجزأهم في ثلاث عشرة آية : من الآية الثامنة الى الآية العشرين •

وقبل تفسير هذه الآيات الكريمة يجمل بنا أن نقدم بين يدي هذا التفسير كلمة عن النفاق والمنافقين ، مما يلقي ضوءاً يساعد في فهم هذه الآيات وتدبرها •

فما معنى النفاق ، وما أنواعه ، وخطره على الاسلام والمسلمين ؟ ومتى وجد النفاق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وما سمات المنافقين وصفاتهم ؟ وكيف كان خداعهم ومكرهم ؟

**النفاق :** أن يظهر الانسان غير ما يبطن ، و**المنافق :** من يظهر الايمان ويخفى الكفر ، من يظهر الصداقة ويضمر العداوة ، من يقول بلسانه ما ليس في قلبه (١) •

**وهو نوعان :**

(١) **اعتقادي** يخرج صاحبه من الايمان ، ويجعله شراً من الكافر ، ويخلده في النار ، اذ يقول : آمنت بالله واليوم الآخر ، وما هو بمؤمن ، يخالف قوله فعله ، وظاهره باطنه ، وعلايته سريرته ، ومدخله مخرجه ، ومشهده مغيبه •

والنفاق - بهذا المعنى - شر الاخلاق ، وجرثومة الفساد ، لا يعرفه الا ارباب النوايا الخبيثة ، والاعراض الفاسدة ، وما ابتلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في حياته بمثل ما ابتلى بهذا الصنف من الخلق الذي ابتلى الله به الخير والصلاح في كل زمان ومكان : كان

(١) كلمة النفاق مأخوذة من النافقاء ، وهي حجر من جرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها ليخدع الصائد ( من المعجم الوسيط بتصرف ) •

الكافر واضحا في شأنه كله ، واضحا في تكذيبه ، واضحا في عتوه ، واضحا في حربه ، فكان اتقاؤه سهلا ميسورا • أما المنافق فهو سلم في ظاهره ، حرب في باطنه ، حلو في لسانه ، مر في نواياه ، مشرق في وجهه ، مظلم في طويته ، له مع المؤمنين وجه ، وله مع الكافرين وجه « **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون** » لا تعرف مسالكة حتى ينقئ شره ، وليس له خير حتى يرتجى ، ولولا أن الله العليم بخفايا النفوس تكفل لنبيه باكمال الدين ، واتمام النعمة ، وكان يكشف له في سبيل ذلك عن النفاق وغشه ، ومسالكه وأهدافه ، لما استقامت دعوته ، ولما تمت رسالته • وها هو ذا القرآن الكريم ، لا تكاد تجد سورة من سورهِ المدنية (١) لم تضع العلامة الحمراء على بيوتهم ، حتى لقد نزلت فيهم سورة كاملة ، عرفت بسورة ( المنافقون ) بين الله فيها خلالهم وسوء نياتهم •

(٢) **نفاق عملي** : وهو من أكبر الذنوب ، وله كثير من العلامات بينتها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآيات الكتاب الكريم ، منها :

( أ ) **خيانة الامانة** : والامانة كل ما وكل الى الانسان حفظه ورعايته من نفس ، أو مال ، أو عرض ، أو علم ، أو قضاء ، أو شهادة ، أو مصلحة ، فاهماله ، أو التهاون فيه ، أو العبث به ، أو صرفه الى غير وجهه خيانة في الامانة •

(ب) **الكذب في الحديث** : فقد أقدر الله الانسان على التحدث ، وعلمه البيان ، ليصور الواقع بحقيقته للناس ، فان كان صالحا أقره وضاعفوه • وان كان فاسدا أصلحوه أو أزالوه • فتصوير الواقع بغير حقيقته مسخ لوجه الوجود الحق ، ونشر لسموم الاباطيل ، وتضليل للناس ، وتحريض على الفساد ، وزعزعة للثقة بين الناس ، وتشويش على العاملين الصادقين •

(١) التي نزلت بعد الهجرة بعد ظهور النفاق •

( ج ) **الغدر في العهد** : والعهد هي الارتباطات التي تحصل بين الناس على معوج يقومونه ، أو فاسد يصلحونه ، أو حق يركزونه ، أو مصلحة يحققونها ، ومنها ما يأخذه الانسان على نفسه من فعل الخير والصالح إذا آتاه الله من فضله علما أو مالا أو جاها أو ولاية ، والنكوص عن هذه الوعود ايثارا لمنفعة شخصية أو ركونا للذعة غدر للعهد .

( د ) **الفجور في المخاصمة** : والمخاصمة شأن لا بد للناس منه . اذ كانوا مطبوعين على اختلاف الآراء ، ولكن يجب أن يكون لها حد تقف عنده ، فيجل الوثام محل الخصام ، ويتجه الجميع الى الصالح العام . والاسترسال مع الشهوة والغضب بالكيد وخلق التهم وايجاد المشكلات حتى تذهب الاموال ، وتزهق الارواح ، وتضيع المصالح - فجور في الخصومة .

ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا اؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر (١) » .

والله تعالى يقول : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (٢) » « انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (٣) » « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا (٤) » « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاتم فحسبه جهنم ولبئس المهاد (٥) » .

- (١) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى .
- (٢) من آية ٢٧ من سورة الانفال .
- (٣) من آية ١٠٥ من سورة النحل .
- (٤) من آية ٣٤ من سورة الاسراء .
- (٥) آيات ( ٢٠٤ - ٢٠٦ ) من سورة البقرة .

**متى وجد النفاق الاعتقادي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟**

لم يكن في مكة قبل الهجرة نفاق ، اذ لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف ، فقد كانوا أول الامر قلة ، وكان أكثرهم من الاتباع والضعفاء والفقراء والعبيد ، فلم يكن المشركون بحاجة الى أن ينافقوهم ، بل كان الأمر على العكس : اشتد الاذى بالمسلمين فمنهم من كان يظهر الكفر مستكراها وهو في الباطن مؤمن ، وهم الذين استثناهم الله عز وجل في سورة النحل المكية بقوله سبحانه : « **الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان (١)** » .

وقد ظهر النفاق بالمدينة بعد غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة ، وسببه — كما قال ابن كثير — أن عبد الله بن أبي ابن سلول (٢) كان سيدا للخزرج ، وكان رئيسا لهم وللأوس قبل الاسلام ، ثم رأوا أن يجعلوه ملكا عليهم ، فلما جاء الخير أسلموا واشتغلوا عنه ، فبقى في نفسه من الاسلام وأهله شيء ، فلما كانت وقعة بدر وظهرت شوكة المسلمين قال : « هذا أمر قد توجه » يريد أن الملك الذي كان ينتظره قد توجه وزال عنه ، وقد دفعه يأسه من تحقيق أمنيته أن يدخل في الاسلام كما دخل قومه ، ولكنه دخله مراثيا غير مخلص ، ودخل معه آخرون من قومه وغيرهم على شاكلته ، كما حدث مثل ذلك من طائفة من أهل الكتاب ، كما قال سبحانه في اليهود : « **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم (٣)** » ، فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة

(١) من الآية ١٠٦ .

(٢) سلول أم أبي ، وليست أباه ، كما يتوهم كثير من الناس ، ولذا تكتب كلمة ( ابن ) بين أبي وسلول بالالف ، كما قال ابن هشام في السيرة النبوية : « سلول : امرأة من خزاعة ، وهى أم أبى بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج » . ص ٨٩ ج ٢ من السيرة النبوية لابن هشام ، الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان .

(٣) من الآية ٧٦ من سورة البقرة .



ومن حولهم من الاعراب •

والنفاق مرض اجتماعي ينشأ عن الحقد والضعف النفسى والطمع •  
ولقد ظهر كيد المنافقين ودسهم ضد المسلمين فى كثير من المواقف  
والظروف والازمات الحادة : فى غزوة أحد ، وغزوة بنى النضير ،  
وغزوة الاحزاب ، وغزوة بنى المصطلق ، وما كان ذلها من اثار الفتنة  
بين المهاجرين والانصار ، ومن خبر الافك ، ومن تخلفهم فى غزوة تبوك ،  
وبنائهم مسجد الضرار « كفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا (١) لمن  
حارب الله ورسوله من قبل» وغير ذلك مما جاءت به كتب السيرة النبوية •

وقد كانت الآيات القرآنية فى السور المدنية توجه اليهم الفضائح  
المرّة بعد المرّة ، وتدلل عليهم بما يفعلون أو يمكرون ، وتدمغهم بشروهم  
وخبثهم ومكايدهم ، وتحذر النبى - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين  
منهم فى كل ظرف ومناسبة •

ومع اندساس المنافقين فى الصف المسلم ، ومعيشتهم فيه - فى  
حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قرابة عشر سنوات - لم  
يخرجهم - صلى الله عليه وسلم - من الصف ، ولم يعرفهم الله له  
بأسمائهم وأعيانهم الا قبيل وفاته ، وان كان قد عرفهم فى لحن القول  
بالالتواء والداورة ، وعرفهم بسيماهم وما كان يبدو فيها من آثار  
الانفعالات والانطباعات • ذلك كى لا يكل الله قلوب الناس للناس ،  
فالقلوب له وحده ، وهو الذى يتولى السرائر ، يعلمها ويحاسب عليها ،  
فأما الناس فلهم ظاهر الأمر ، كى لا يأخذوا أحدا بالظنة ، وكى لا يقضوا  
فى أمورهم بالفراسة ! وحتى حينما عرف الله نبيه - صلى الله عليه  
وسلم - بالنفر الذين ظلوا على نفاقهم - عرفه بهم بأسمائهم  
وأعيانهم - لم يطردهم من الجماعة وهم يظهرون الاسلام ويؤدون  
فرائضه • انما عرفهم وعرف بهم واحدا فقط من رجاله ، هو حذيفة بن  
اليمان - رضى الله عنه - ولم يشع ذلك بين المسلمين • حتى ان عمر

(١) ارصادا : ترقبا وانتظارا ، اقرأ الآية ١٠٧ من سورة التوبة ، بل  
اقرأ السورة كلها ، ففيها كثير من موافقهم السيئة وكيدهم للاسلام والمسلمين •

رضى الله عنه — كان يأتي حذيفة ليطمئن منه على نفسه أن الرسول  
 — صلى الله عليه وسلم — لم يسمه له من المنافقين ! وكان حذيفة يقول  
 له : « يا عمر لست منهم » • ولا يزيد ! وكان رسول الله — صلى الله  
 عليه وسلم — قد أمر ألا يصل على أحد منهم مات أبدا « ولا تصل  
 على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله  
 وماتوا وهم فاسقون (١) » فكان أصحابه يعرفون عندما يرون الرسول  
 — صلى الله عليه وسلم — لا يصل على ميت ، فلما قبض — صلى  
 الله عليه وسلم — كان حذيفة لا يصل على من عرف أنه منهم • وكان  
 عمر لا ينهض للصلاة على ميت حتى ينظر ، فان رأى حذيفة هناك علم  
 أنه ليس من المجموعة ، والا لم يصل هو الآخر ولم يقل شيئا •  
 والى حديث آخر ان شاء الله ، لنرى شيئا من سمات المنافقين  
 وصفاتهم ، وأمثلة من خداعهم ومكرهم •  
 نسأله سبحانه أن يجنبنا الرياء والنفاق ، وأن يرزقنا الاخلاص ،  
 انه ولى التوفيق •

### عنتر حشاد

#### استدراك

جاء في مقال التفسير ص ٢ بالعدد الرابع — المجلد الخامس  
 من المجلة ( عدد ربيع الآخر ١٣٩٧ ) أن صحف ابراهيم ذكرت  
 مقرونة بصحف موسى في الآية الاخيرة ١٩ من سورة الأعلى •  
 وأضيف : أنها ذكرت أيضا مقرونة بصحف موسى في آيتي  
 سورة النجم ٣٦ و ٣٧ « أم لم ينبأ بما في صحف موسى ،  
 و ابراهيم الذى وفى » والله الأعلى والأعلم •

### عنتر حشاد

(١) آية ٨٤ من سورة التوبة .

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## عرض . . . وتفسير

عتر احمد حstad  
المرجه العام بوزارة التعليم والمعاري للكتبي التريم للعلمين والعلامات  
الدوحة قطر

### ٢ - سورة البقرة

- ١٨ -

( د ) التفسير :

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين  
(٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون  
(٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا  
يكذبون (١٠) واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن  
مصلحون (١١) الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) واذا  
قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء ؟  
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) واذا لقوا الذين آمنوا  
قالوا آمنا واذنا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن  
مستهزئون (١٤) الله يستهزىء (١) بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون  
(١٥) اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم  
وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت  
ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم  
بكم عمى فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات  
ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ،  
والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء  
لهم مشوافيه واذا اظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم  
وابصارهم ، ان الله على كل شيء قدير (٢٠) .

(١) الهمة فوق البياء وتعذر الطبعة لان ماكينات الجمع الحديثة

لا تستطيع كتابتها الا بعد البياء .

هذه ثلاث عشرة آية في شأن الفريق الثالث من الفرق الثلاث التي انقسم اليها الناس بازاء الاهتداء بالقرآن الكريم ، وهذا الفريق الثالث فريق المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم الايمان ، ولكنهم يبيطون في قلوبهم الكفر ، فلا هم من الفريق الاول : فريق المتقين المهتدين بالقرآن ، ولا هم من الفريق الثاني : فريق الكافرين الجاحدين المعرضين عنه ، الذين صارحوا بكفرهم ، وعدائهم للمؤمنين ، ولان المنافق يبلغ بنفاقه من الكيد للايمان والمؤمنين ما لا يبلغه الكافر المصارع بالكفر — أسهب الله في الحديث عن المنافقين : صفاتهم وجزائهم ، ففصلها في ثلاث عشرة آية ، بعد أن أجمل شأن الكافرين في آيتين اثنتين .

وقد عرفنا في العدد السابق معنى النفاق ، ونوعيه ، ومتى ظهر النفاق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخطره في المجتمع الاسلامى ... الخ .

والآن نحب أن نعرف شيئاً من سمات المنافقين وصفاتهم ، وأمثلة من خداعهم ومكرهم ، كما وعدت .

### سمات المنافقين وصفاتهم :

للفنق — سواء أكان في العقيدة ، أم في العمل (١) — سمات وأمارات يعرف بها ، وقد جاءت في كثير من آيات الكتاب الكريم ، وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم .

### فمن هذه السمات والصفات :

١ — التباطؤ عن الجهاد ، والتمائل عن الخروج اليه ، فان نزلت بالمسلمين هزيمة ، ولحقت بهم نائبة قال المنافق فرحاً مسروراً : قد أنعم الله على ، إذ لم أحضر القتال ، وأن تفضل الله على المسلمين بالنصر ، وأنعم عليهم بالغنيمة عض أصابع الندم ، واستولت عليه الحسرة قائلاً —

(١) وقد بينت نوعيه — النفاق في العقيدة ، والنفاق في العمل — في العدد السابق .

كأن لم يكن بينكم وبينه سابق معرفة — : يا ليتنى كنت معهم فى ساحة القتال ، فأغنم مغانم كثيرة ، وأخذ أموالا وفيرة •  
ولا شك أن هذا الفريق أخطر على الأمة من عدوها الخارجى ،  
المعلن لعداوته •

وقد ذكر الله تعالى المنافقين بهذه الصفة فى كثير من الآيات ، منها :  
« وان منكم لمن ليبطئن (١) فان أصابنكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن — كأن لم تكن بينكم وبينه مودة — يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (٢) » •  
« الذين يتربصون بكم (٣) فان كان لكم فتح من الله (٤) قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم (٥) ومنعكم من المؤمنين (٦) » •

٢ — فعلهم مع الله فعل المخادع ، اذ يظهرن الايمان للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، ولكنهم يضمرون الكفر ، والى جانب هذه الصفة فى هذه الآيات من سورة البقرة نجدها مذكورة أيضا فى كثير من الآيات :

- « يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم (٧) »
- « يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم (٨) »
- « ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم (٩) »
- ٣ — تباطؤهم وتناقلهم عن الصلاة اذا قاموا اليها ، لا نشاط عندهم ، ولا رغبة لهم فى أدائها ، لانهم لا يعتقدون ثوابا على فعلها ، ولا عقابا

(١) يبطن : يتباطأ ويتناقل .

(٢) الآيتان ٧٢ و ٧٣ من سورة النساء .

(٣) ينتظرون وقوع أمر بكم .

(٤) نصر من الله .

(٥) ألم نحطكم بعوننا ومساعدتنا .

(٦) من الآية ١٤١ من سورة النساء .

(٧) من الآية ١٦٧ من سورة آل عمران .

(٨) من الآية ١١ من سورة الفتح .

(٩) من آية ٥٦ من سورة التوبة .

على تركها • وما قيامهم للصلاة مع المصلين الا مظهر من مظاهر خداعهم ،  
ومراءاتهم الناس بقيامهم مع المسلمين في الصلاة ، ليحسبهم المؤمنون  
من فريقهم وأنصارهم ، قال تعالى :

« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، واذا قاموا الى الصلاة  
قاموا كسالى يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا (١) » •

**وقال صلى الله عليه وسلم :**

« ان أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ،  
ولو يعلمون ما فيها لاتوهما ولوحيوا ، ولقد هممت أن أمر بالصلاة  
فتقام ، ثم أمر رجلا فيصلى بالناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم  
من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار (٢) » •

**وقال عبد الله :**

« لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة الا منافق قد علم نفاقه ،  
أو مريض ، ان كان المريض ليمشى بين رجلين حتى يأتي الصلاة ، وقال :  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى ، وان من سنن  
الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه (٣) » •

٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ — ومن آيات النفاق في العمل ، ومن خلال  
المنافقين وصفاتهم هذه الصفات الخمس :

الكذب في الحديث ، والغدر في العهد ، وخلف الوعد ، والفجور في  
الخصومة ، والخيانة في الامانة •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه كان منافقا  
خالصا ، ومن كانت فيه خلة (٣) منهم كانت في خلة من نفاق حتى يدعها :

(١) آية ١٤٢ من سورة النساء .

(٢) الحديثان من باب فضل صلاة الجماعة ، وبيان التشديد في التخلف  
عنها من ج ٥ من صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية ومكبتها ،  
القاهرة .

(٣) خلة — بفتح الخاء — خصلة .

إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر(١)»  
وقال صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث وإن صام وصلى  
وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان(١)» •

\* \* \*

### أمثلة من خداع المنافقين ومكرهم :

١ - حدث أن عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين - التقى  
بجماعة من المسلمين ، فأسر الى من معه : أن انظروا كيف أرد هؤلاء  
السفهاء عنكم ، فأخذ بيد أبي بكر ، وقال : مرحبا بالصديق سيدبنى تيم ،  
وشيخ الاسلام ، وثانى رسول الله فى الغار ، ثم أخذ بيد عمر ، وقال :  
مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق ، القوى فى دينه ، الباذل نفسه وما له  
لرسول الله ، ثم أخذ بيد على ، وقال : مرحبا بابن عم رسول الله وصهره ،  
وسيد بنى هاشم ، خلا رسول الله (٢) صلى الله عليه وسلم ، فقال  
له على : يا عبد الله اتق الله ولا تنافق ، فان المنافقين شر خلق الله ، فقال  
ابن أبى : والله ان ايماننا كمايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ، ثم افترقوا ،  
فقال عبد الله بن أبى لاصحابه : كيف رأيتمونى فعلت ؟ فاذا رأيتموهم  
فافعلوا كما فعلت ، فأثنوا عليه خيرا ، وقالوا له : ما نزال بخير ما عشت ،  
فرجع المسلمون الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبروه  
بما حصل ، فنزل قوله تعالى : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا  
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون (٣) » •

٢ - قدم الاخنس بن شريق الثقفى على النبى صلى الله عليه  
وسلم فى المدينة ، فأظهر له الاسلام ، وقال : انما جئت أريد الاسلام ،  
والله يعلم انى لصادق فيما أقول ، وكان حلو الحديث ، فأعجب النبى -

(١) الحديثان من باب بيان خصال المنافق من ج ٢ من صحيح مسلم ،  
المرجع السابق .

(٢) خلا رسول الله : الارسلو الله .

(٣) الآية ١٤ من سورة البقرة . ارجع الى أسباب النزول لجلال الدين

السبيوطى .

صلى الله عليه وسلم — منه ذلك ، فلما خرج من عنده مر بزرع وحمير لبعض المسلمين ، فأحرق الزرع ، وعقر الحمير ، فنزل قوله تعالى :  
 « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام (١) ، وإذا تولى (٢) سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث (٣) والنسل (٤) والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم (٥) فحسبه جهنم ولبئس المهاد (٦) » .  
 فالخداع والمكر ، وشدة الخصومة من صفات المنافقين ، وأخلاق المفسدين ، يلجأ إليها ضعاف الإيمان ، ومن في قلوبهم مرض ، للايقاع بالمسلمين المسالمين ، وايداء المؤمنين الآمنين .

روى الطبراني عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المكر والخداع في النار » وروى البخارى ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أبغض الرجال الى الله تعالى الالذ الخصم » وأخرج أحمد عن أبى الدرداء : « كفى بك أثما ألا تزال مماريا (٧) ، وكفى بك ظلما ألا تزال مخاصما ، وكفى بك كذبا ألا تزال محدثا الا حديثا في ذات الله عز وجل » .

فشدة الخصومة من صفات المنافقين ، لانهم يحبون الدنيا فيكثرون الخصام عليها ، والتفنن في الظفر بمتاعها ، يتلونون للناس ألوانا . أعدوا لكل حق باطلا ، ولكل باب مفتاحا ، ولكل ليل مصباحا ، « أولئك حزب الشيطان ، الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون (٨) » وقد سبق أن

- 
- (١) أشد مخاصمة في الباطل .
  - (٢) انصرف .
  - (٣) الزرع .
  - (٤) الخرية .
  - (٥) حملته الاتفة والحبية على الإثم .
  - (٦) الآيات من ٢٠٤ — الى ٢٠٦ من سورة البقرة — ارجع الى اسبابه النزول للسيوطى ( المرجع السابق ) .
  - (٧) مجادلا .
  - (٨) من آية ١٩ من سورة المجادلة .



عرفت أن من آيات النفاق الفجور في الخصومة « واذا خاصم فجر » •  
وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم بعد أن كثف  
الله له حالهم ، وفضح أسرارهم ، ومزق أستارهم ، فقال صلوات الله  
وسلامه عليه : « انى لا أخاف على أمتى مؤمنا ولا مشركا ، أما المؤمن  
فيمنعه الله بإيمانه ، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه ، ولكنى أخاف عليكم  
كل منافق الجنان (١) ، عالم اللسان ، يقول ما تعرفون ، ويفعل  
ما تتكرون » •

وانا لنرى في مجتمعنا الحاضر صوراً كثيرة من النفاق : يقابلك بوجه  
باش ، ولسان رطب معسول ، يحييك ويطريك (٢) ، فاذا ما فارقت بسط  
لسانه فيك ، ونال من كرامتك ، ودبر ما يدبر من ايدائك والايقاع بك •  
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب  
وفي الحديث : « تجد من شرار الناس عند الله ذا الوجهين الذي  
يأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » •

والماكر المخادع لا يلبث أن ينكتشف أمره ، وتظهر حقيقته ، وينفضح  
مستوره ، فينبذه الناس ، ويأخذون منه الحذر ، والمؤمن لا يلدغ من  
جحر مرتين •

واذا كان القرآن الكريم قد دعانا الى اجتناب كثير من الظن ،  
لان بعض الظن اثم ، فانه دعانا الى أخذ الحذر من الاعداء ، ومن نتوسم  
فيهم العداوة والبغضاء •

وقد وعد الله المؤمنين بالحفظ من شر المنافقين الماكرين ، كما توعدهم  
هؤلاء المنافقين المخادعين بسوء المصير ، يقول الله تعالى : « والذين  
يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، ومكر أولئك هويبور » ويقول جل  
شأنه : « ولا يحق المكر السيئ الا بأهله » •

(١) الجنان : بفتح الجيم القلب .

(٢) يمدحك .

وأخبرنا سبحانه بأن قوم نوح حين مكروا مكرا كبيرا — عاقبهم الله أشد العقاب ، قال جل شأنه : « مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً » .

وهؤلاء كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجمعوا أمرهم على أن يفتكوا به ليلة الهجرة ، فأحبط الله مكروهم ، وأفسد تدبيرهم ، وأذلهم وعصم رسوله منهم ، فخرج صلى الله عليه وسلم من بيته في رعاية الله وحفظه ، يحثوا التراب على رؤوسهم ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك (١) أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٢) » .

وهكذا شأن الماكرين في كل زمان ومكان ، يحبط الله أعمالهم ، ويضل سعيهم ، ويفسد خططهم ، ويرد سهامهم الى نحورهم ، قال تعالى : « وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ، وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون (٣) » .

### أيها القارئ الكريم :

المكر والخداع غش وكذب وخيانة ، وايذاء للناس . وجدير بالمؤمن أن يتجنب ذلك ، فالسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم .

### عنتر حشاد

(١) ليحبسوك ، أو ليقيدوك بالوثاق .

(٢) الآية ٣٠ من سورة الانفال .

(٣) الآية ١٢٣ من سورة الانعام .

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفسير

## عرض .. وتفسير

عبد الرحمن أحمد حساد  
الموجه العام بوزارة التعليم والمعارف للكتبة الترميم للمعاصرين والمعلمات  
الدوحة قطر

### ٢ - سورة البقرة

- ١٩ -

(د) التفسير :

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين  
(٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون  
(٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا  
يكذبون (١٠) واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن  
مصلحون (١١) الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) واذا  
قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء ؟  
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) واذا لقوا الذين آمنوا  
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن  
مستهزئون (١٤) الله يسهزىء (١) بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون  
(١٥) اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم  
وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت  
ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم  
بكم عمى فهم لا يرجعون (١٨) او كصيب من السماء فيه ظلمات  
ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت ،  
والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء  
لهم مشوافيه واذا اظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم  
وابصارهم ، ان الله على كل شيء قدير (٢٠) .

(١) الهمزة فوق الياء وتعتذر المطبعة لان ماكينات الجمع الحديثة  
لا تستطيع كتابتها الا بعد الياء .

هذه الآيات — كما رأينا — في شأن المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم الايمان ، ويبطنون في قلوبهم الكفر ، الذين قالوا : آمننا بأفواههم ، ولم تؤمن قلوبهم ، فلا هم من الفريق الاول : فريق المؤمنين المتقين المهتدين الفلحين ، ولا هم من الفريق الثاني : فريق الكافرين الصرحاء الجاحدين المعرضين عن القرآن ، أو المكابرين الذين لا يؤمنون به عداً له .

وهذا الفريق — فريق المنافقين — شر على الاسلام والمسلمين من فريق الكافرين ، لان الكافرين صارحوا بالكفر والعداوة ، فأنصار الحق منهم على حذر ، وكل ما يصدر منهم ينظر اليه بعين الحذر ، وأما المنافقون فلاظهارهم الاسلام اتصلوا بالمسلمين ، وأجريت عليهم أحكام الاسلام ، فمكنتهم هذا من أنواع من الكيد والفتنة والتضليل والافتراء لم يتمكن منها الكافرون ، وكانوا بذلك أبغض الكفار الى الله ، فأنزلهم في النار شر منزل : « ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار (١) » ، ولهذا أسهب القرآن في شأنهم ، وذكرهم في ثلاث عشرة آية من آياته ، فبين حقيقتهم ونفاقهم ، وكذبهم ورياءهم بقوله : « ومن الناس من يقول آمننا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين » وبين خداعهم وجهلهم بقوله : « يخادعون الله والذين آمنوا » وبين منشأ نفاقهم بقوله : « في قلوبهم مرض » وبين غرورهم بقوله : « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون » ، « واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ » وبين تلونهم وجبنهم ، ومقابلتهم للمؤمنين بوجه ، وللكافرين بوجه — بقوله : « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنوا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون » وبين جزاءهم بقوله : « الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . » وزاد حالهم جلاء ووضوحاً بأن ضرب لهم مثلين حسين يصوران حيرتهم وخيبتهم بصورة مرئية محسوسة ، وبهذا دل القرآن على خطر النفاق وسوء عقبى المنافقين .

\* \* \*

(١) من الآية ١٤٥ من سورة النساء .

بين الله حقيقة حالهم بقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين » أى يقولون بالسنتهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين فى الحقيقة ، اذ أن قولهم لا يطابق ما فى قلوبهم ، فهم كاذبون فى ادعائهم الايمان ، كما قال سبحانه : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون (١) » .

وهم لما أظهروا الايمان أظهروا الايمان بكل ما يؤمن به المؤمنون ، أظهروا الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، ولكنهم اقتصر على قولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، لان الايمان بالله وباليوم الآخر يتضمن الايمان بملائكة الله ورسله وكتبه ، اذ لا سبيل الى الايمان بالله وباليوم الآخر الا بالايمان بهم ، ولهذا نفى الله عنهم الايمان على الاطلاق بقوله : « وما هم بمؤمنين » ولم يقصر نفى الايمان عنهم على الايمان بالله وباليوم الآخر ، فلم يقل : وما هم بمؤمنين بالله ولا باليوم الآخر .

\* \* \*

وبين الله جهلهم بقوله : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون » .

والخدع (٢) ، والخذاع والمخادعة (٣) : أن توهم غيرك خلاف الحقيقة ، فالجاهل الذى يوهم الناس أنه عالم : خادع ، أو مخادع .  
والوضيع الذى يوهم الناس أنه شريف : خادع ، أو مخادع .  
وهؤلاء المنافقون الذى يبطنون الكفر لما أظهروا الايمان ، وقالوا بالسنتهم : آمنا — ظنوا أنهم خدعوا الله ورسوله والمؤمنين ، وهذا جهل منهم بالله ، اذ لو عرفوه لعلموا أنه لا يخدع (٤) ، وأنه يعلم سرهم

(١) الآية الاولى من سورة « المنافقون » .

(٢) الخدع بفتح الخاء وسكون الدال ، وفعله : خدع ، يخدع وقد قرئ : « يخدعون الله والذين آمنوا » .

(٣) فعل الخداع والمخادعة : خادع ، يخادع .

(٤) يخدع : بضم الياء وفتح الدال .

وباطنهم ، وقد أعلم رسوله والمؤمنين بسرهم وباطنهم ، وأظهر نفاقهم ، وإذا كان هذا هو حقيقة الامر فهم انما خدعوا أنفسهم ، وأوهموها غير الحقيقة ، وما يشعرون أنهم خدعوا أنفسهم ، فهم جاهلون ، ويجهلون أنهم جاهلون ، وفي الحكم السائرة : « من خدع من لا يخدع (١) فقد خدع نفسه (٢) » .

وبين الله منشأ نفاقهم ، وأنه الشك والارتياب في عقولهم بقوله : « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون » .

والمراد بقلوبهم هنا وفي مثل هذا المقام : العقول ، لأنها هي وسيلة التفقه والتدبير والتفكير (٣) . والمرضى الذى تمكن في عقولهم هو التأثير بالاهوام الموروثة ، ومتابعة الاهواء ، والجمود على ما كان عليه آباؤهم من ضلال ووثنية . وعلى سنة الله في خلقه (٤) : لما استحوذت على عقولهم هذه الاهوام والاهواء ، واستكانوا لاعراضها ، ولم يأخذوا في علاجها - زادهم الله مرضا على مرضهم (٥) ، وهذا كناية عن أنه سبحانه مد لهم في ضلالهم لعدم استعدادهم للهدى والايمان . ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون في قولهم : آمنا ، وما هم بمؤمنين .

\* \* \*

وبين سبحانه غرورهم بقوله : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » .

(١) يخدع : بضم الياء وفتح الدال .

(٢) ارجع الى ص ٥ من العدد السابع السابق ، لترى أمثلة من خداع المنافقين ومكرهم .

(٣) ارجع الى تفسير : « ختم الله على قلوبهم » في صفحة ٧ - من العدد الخامس للمجلد الخامس من المجلة .

(٤) ارجع الى ص ٦ من المرجع السابق لترى سنة الله فيمن أصر على الباطل .

(٥) كما في قوله تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون » الآيتان ١٢٤ و ١٢٥ من سورة التوبة .

رأينا جهل المنافقين في خداعهم لله وللمؤمنين ، ومن أظهر آثار الجهل الغرور ، ومن شر آثار الغرور أثران : أحدهما الأعمى عن ادراك الأمور على حقيقتها ، لان المغرور يرى خطأه صوابا ، ويعتقد افساده صلاحا ، ويرى سوء عمله حسنا ، وثانيهما : الاستهزاء بالمخالف والخط من شأنه . وقد ظهر هذان الاثران في المنافقين ، فهم بسبب جهلهم وغرورهم زين لهم سوء عملهم ، فاذا نصح ناصح (١) واحدا منهم أو جماعة ، وقال لهم . لا تفسدوا في الارض بهذا النفاق والتلون ، وبفتنة المؤمنين عن ايمانهم ، وبإيهام غير المؤمنين أنكم معهم — قالوا : « انما نحن مصلحون » ولم يقولوا : نحن مصلحون ، بل قصرُوا أنفسهم على الاصلاح دون الافساد ، أى أن غرورهم أوهمهم أنهم بهذه الاعمال النفاقية مصلحون ، وأنه لا يصدر منهم أى فساد ، والفساد انما يصدر من غيرهم ، ولهذا رد الله عليهم بقوله : « الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » بهذه الجملة التى تؤكد المعنى ، وتحصر الفساد فيهم دون غيرهم ، لما جاء فيها من : ( ألا ) المنبهة و ( ان ) المؤكدة ، وتعريف الخبر ( المفسدون ) وتوسيط ضمير الفصل ( هم ) ونفى الشعور والحس والادراك عنهم لفساد عقولهم ، فصاروا لا يميزون بين الخبيث والطيب ، ولا يشعرون بالفروق بين الفاسد والصالح .

وإذا قيل لهم : آمنوا كما آمن الناس الذين صدقوا في ايمانهم ، واتبعوا القرآن والرسول — صلى الله عليه وسلم — عن عقيدة — قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ استفهام انكارى ، أى : لا نكون مثل هؤلاء السفهاء ، ولا نؤمن كما آمنوا .

وأصل السفه (٢) : الطيش ، وخفة العقل ، وضعف الرأى ، فهم لجهلهم وغرورهم ظنوا أن الاذعان للحق وترك الباطل وما كان عليه الآباء من الاوهام — سفه ، وضعف فى الرأى ، ونقص فى العقل ، وأن

(١) أى ناصح ، ولهذا بنى القول للمجهول ، فقيل : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض » « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس » .  
(٢) ستجىء مادة السفه فى هذه السورة : « الا من سفه نفسه » من آية ١٣٠ « سيقول السفهاء من الناس » من آية ١٤٢ .

هؤلاء المؤمنين سفهاء ، وهم يستتكرون أن يكونوا سفهاء — بايمانهم —  
مثل من آمنوا .

وهذا الرد « أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ » قالوه فيما بينهم ، لانه  
كفر صريح ، وهم يتظاهرون بالايمان ، وقد فضح الله سرهم هذا  
وأظهره ، ثم رد عليهم السفه الذي اتهموا به المسلمين أبلغ رد ، وأكد  
اتصافهم به ، وأنه مقصور عليهم بقوله سبحانه : « ألا انهم هم السفهاء  
ولكن لا يعلمون » وفي هذا الرد من المؤكّدات والحصر ما بينته في الرد  
السابق : « ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » من ( ألا ) أداة  
الاستفتاح المنبهة ، و ( ان ) المؤكدة ، وتعريف الخبر ( السفهاء )  
وتوسيط ضمير الفصل ( هم ) ونفى العلم عنهم ( ولكن لا يعلمون )  
أنهم هم السفهاء وحدهم ، أما المؤمنون فهم العقلاء والعلماء (١) .

والاسلوب في الجملتين : « ألا انهم هم المفسدون » و « ألا انهم  
هم السفهاء » — أسلوب خبري لتقرير وتأكيّد وصف المنافقين بالافساد  
في الجملة الاولى ، وبالسفه في الجملة الثانية ، و ( ألا ) في الجملتين  
كلمة واحدة ، أداة استفتاح للتنبية والتأكيّد ، كما سبق أن وضحته .

وقد أخطأ من فهم أن الاسلوب في الجملتين للاستفهام ، وأن ( ألا )  
مركبة من كلمتين : ( أ ) همزة الاستفهام ، ( لا ) حرف النفي ، كما  
في قوله تعالى : « ألا يظن أولئك أنهم مبعوثين (٢) » ، « ألا تحبون أن  
يغفر الله لكم (٣) » ، « أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى (٤) » (٥) .

(١) لما كان الفساد في الارض امرا يحس ويشعر به نفى عنهم الشعور  
بقوله سبحانه : ( ولكن لا يشعرون ) ولان الايمان الصادق يحتاج الى نظر  
واستدلال ليكتسب الناظر المعرفة والعلم نفى عنهم العلم بقوله سبحانه :  
( ولكن لا يعلمون ) .

(٢) الآية ٤ من سورة المطففين .

(٣) من الآية ٢٢ من سورة النور .

(٤) الآية الاخيرة من سورة القيامة .

(٥) ارجع الى هامش صفحة ٥٢ من كتاب « اساليب الاستفهام  
في القرآن » رسالة الماجستير ، للاستاذ عبد العليم السيد فودة مستشار  
اللغة العربية بوزارة التعليم ، فقد جاء فيها ما نصه : « لا تنقيد ( ألا ) !



ومن هؤلاء : محمد مرمدوك بكتال «Mohamméd Marmaduke Picthal»

في كتابه : معنى القرآن الكريم « The meaning of the glorious

• (١) Koran »

والله نسأل أن يرزقنا العلم بكتابه ، وأن يجنبنا الزلل ، انه ولى  
التوفيق •

### عتر حشاد

عن محمد بن زيد أن أناسا قالوا لجدّه عبد الله بن عمر رضى الله  
عنهما : انا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم اذا خرجنا  
من عندهم • قال : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم •

### رواه البخارى

الاستفهام الا اذا تلاها فعل متصرف ، وذلك في ١٥ موضعا من القرآن ، وفي  
غير ذلك كانت للتحقيق والتأكيد ، كما في ( الا انهم هم السفهاء ولكن  
لا يعلمون ) ١٣ البقرة ، ( الاساء ما يزرون ) ٢٥ النحل •

وارجع كذلك الى كتاب « اساليب النفى في القرآن » رسالة الماجستير  
للاستاذ أحمد ماهر محمود البقرى ، مطبعة دار نشر الثقافة بالاسكندرية ،  
١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م •

(١) فقد جاء في ترجمة قوله سبحانه : « الا انهم هم المفسدون » قول  
المترجم ما نصه :

« Are not they indeed the mischief - makers? »

كما ذكر في ترجمة قوله تعالى : « الا انهم هم السفهاء » ما نصه :

« Are not they indeed the foolish? »



الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله « وبعد » . . . .

اجتمع بالقاهرة مؤتمر للهيئات والجماعات الاسلامية لمدة ثلاثة أيام آخرها الخميس ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٩٧ الموافق ١٦ يونيه ١٩٧٧ ، وقد اشترك في المؤتمر الازهر وهيئاته ومنها جامعة الازهر ، ومجمع البحوث الاسلامية ، وادارة الوعظ والارشاد ، والادارة العامة للدعوة بوزارة الاوقاف . وقد أصدر المؤتمر في ختام جلساته بيانا الى الامة الاسلامية عن العودة الى شريعة الله ، كما أعلن توصياته التالية (١) :

١ - كل تشريع أو حكم يخالف ما جاء به الاسلام باطل ، ويجب على المسلمين رده ، والاحتكام الى شريعة الله التي لا يتحقق الايمان الا بالاحتكام اليها .

٢ - الامر بتطبيق الشريعة الاسلامية ، فليس لاحد أن يبدي رأيا في وجوب ذلك ، ولا تقبل مشورة بالتهمل أو التدرج أو التأجيل .

٣ - ان التسوية في اقرار القوانين الاسلامية ، معصية لله ورسوله ، واتباع لغير سبيل المؤمنين . وعلى الهيئة التشريعية أن تبريء ذمتها أمام الله والناس باقرار مشروعات القوانين المقدمة اليها .

٤ - ينظر المؤتمر بعين التقدير الى ما صرح به السيد رئيس الجمهورية من عزمه على تطهير أجهزة الدولة من الملحدين ، ويناشده سرعة التنفيذ حرصا على سلامة الامة وقوة بنيانها ،

٥ - يناشد المؤتمر السيد رئيس الجمهورية اصدار أوامره بتطهير وسائل الاعلام من الموبقات الاخلاقية التي تصح صدور المؤمنين ،

---

(١) كتبنا هذه التوصيات نقلا عن جريدة الاهرام الصادرة يوم الجمعة ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٩٧ الموافق ١٧ يونيه ١٩٧٧ .

وتمزق نفوس الشباب ، وتستهن بالجرأة على حدود الله .  
٦ - وجوب تربية النشء في جميع مراحل التعليم تربية دينية ،  
تكون الضمير الديني ، وتغرس مكارم الاخلاق ، ليكون الشباب مسلما  
في جوهره ومظهره .

٧ - تكون اللجنة التنفيذية للمؤتمر في حالة انعقاد مستمر لمتابعة  
الجهود في سبيل تنفيذ هذه القرارات التي تعبر عن اجماع الامة على  
ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية .

\* \* \*

ومجلة التوحيد الناطقة بلسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية  
نعلم تأييدها الكامل لهذه التوصيات ، فطالما نادينا بتحكيم شريعة  
الله التي لا صلاح للمجتمع بدونها ، والتي لا يتحقق الايمان الا بالاحتكام  
اليها ، وذلك عملا بقول الله تبارك وتعالى : ( ومن لم يحكم بما أنزل الله  
فأولئك هم الكافرون ) فشرية الله لا بد من التسليم بها والاذعان  
لها ، يقول الله سبحانه لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : ( فلا وربك  
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم  
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) .

\* \* \*

ولكننا نستلفت نظر العلماء بالذات الى أمر نراه هاما ، ألا وهو  
اقامة المجتمع الاسلامي المتكامل البناني ، حتى لا تتحول التشريعات  
الاسلامية بعد اقرارها الى مداد على ورق ، فان القوانين وحدها لا تكفي  
لاقامة المجتمع المسلم ، وخير دليل على ذلك أن الدستور الحالي - بل  
والدساتير السابقة أيضا - ينص على أن دين الدولة الرسمي هو  
الاسلام ، وعلى أن الشريعة الاسلامية مصدر أساسى للتشريع ، وبالإضافة  
لهذا فقد أعلن رئيس الدولة قيامها على أساس من العلم والايمان ،  
ورغم هذا لم نر بادرة عمل واحدة لاخراج هذه الشعارات لتكون واقعا  
في حياة الناس .

نريد اقامة المجتمع المسلم كما اراده الله تعالى ، وكما قلنا فالتقوانين وحدها لا تكفى ، فلو أصدر قانون بتحريم تناول الخمر وتوقيع الحد على شاربيها ، فما جدوى هذا القانون ومصانع الخمر التي يشرف عليها القطاع العام تعمل ليل نهار بحجة التصدير والعملية الصعبة ... ؟ ما فائدة هذا القانون اذا استمرت الدولة على سياستها في استيراد بعض أنواع الخمر بحجة السياحة .. ؟ فالنظرة يجب أن تكون عامة شاملة للموضوع كله بحيث ينتهي انتاج الخمر واستيرادها وتداولها وكل لون من ألوان التعامل معها بيعا أو شراء أو غير ذلك .  
وإذا كنا قد تكلمنا عن الخمر ، فليس الامر موضوع الخمر وحدها ، ولكنه مثال نضربه ، والأمثلة كثيرة :

كيف يتمكن الدين من تقويم أخلاقيات المجتمع بينما الملاهي والمراقص تنتهك فيها الفضائل والحرمان طول الليل ، وتنتشر اعلاناتها الدعائية في الجرائد والمجلات ليراهها كل الناس حتى الذين لا يعرفون الطريق إليها ... ؟ أليس ذلك فتنة للشباب خاصة ... ؟

كيف يتمكن الدين من تقويم أخلاقيات المجتمع بينما الاختلاط الشائن للرجال مع النساء في المكاتب والمعاهد والجامعات ... حتى في الجهات الدينية الرسمية كوزارة الاوقاف وغيرها ... ؟  
كيف يتمكن الدين من تقويم أخلاقيات المجتمع بينما وسائل الاعلام التي تدخل البيوت مثل ( الراديو والتلفزيون ) تذيع سمومها على الناس ... ؟

كيف يتمكن الدين من تقويم أخلاقيات المجتمع بينما الناس يعبدون عاداتهم وتقاليدهم الموروثة ، ويعتبرون الدين شيئاً ثانوياً على هامش الحياة ... ؟

انها أمثلة ... مجرد أمثلة .

\* \* \*

إذا أردنا حقاً أن نقيم المجتمع الاسلامى الكامل ، فما علينا الا أن ننظر في كل أمر من أمور الاسلام الذى ارتضاه ربنا عز وجل ديناً للبشرية كلها ، ننظر في عقائده وعباداته وأخلاقياته ومعاملاته ، ونصوغ حياتنا

ونظامنا صياغة كاملة طبقا لما يأمر به الاسلام ، نحل حلاله ونحرم حرامه ، وليكن رائدنا في هذا قول الله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ، فان تنازعتم في شئء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ) .

\* \* \*

وكلمة أخيرة نوجهها لولاية الامور خاصة ، لان كثيرا من ولاية الامور في زماننا هذا يهتمون بالنواحي الاقتصادية بفصلها عن دين الله ، فان تعارض الدين مع ما يؤمنون به من أنظمة اقتصادية ضربوا بالدين عرض الحائط ، وأخذوا يفكرون تفكيرا ماديا : كيف ننهي صناعة الخمر في بلادنا مع ما تدره علينا من عملات صعبة . . . ؟ كيف نغلق الملاهي والمراقص وهي مصدر ايراد وفير ووسيلة لتنشيط السياحة . . . ؟ كيف نلغى نظام الربا من مصارفنا وهو نظام عالمي . . . ؟ هكذا يفكرون .

نقول لهم : اما ايمان بالله واما كفر به . . . فان صرحوا بالكفر ، فقد ظهرت حقيقتهم واضحة ، والكل يعلم ما أوجبه الاسلام على المسلمين في هذه الحالة .

وان قالوا تؤمن بالله ، قلنا لهم : ان الايمان بالله يستلزم أن ننفذ ما أمر الله به ، فوجب عليكم أن ترجعوا الى دين الله طائعين منفذين ، لان الله الذي خلقنا يعلم ما يصلحنا ( ألا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ) .

وأخيرا نذكركم بقول الله تعالى : ( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ) .

ونسأل الله أن يوفقنا لاقامة المجتمع المسلم ، وتحكيم شريعة الله ، وأن يثبت أقدام العاملين المخلصين لنصرة دينه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

رئيس التحرير

# أسئلة القرء

اعداد وإجابة الأستاذ **عنترا محمد حساد**

جاء المجلة من الاخ محمد سليم عضو جماعة أنصار السنة المحمدية  
بطنطا - سؤال في الميراث ، هذا مضمونه :

س - « مات الميت عن أولاد ذكور واناث ، وأولاد بنت ماتت أمهم  
في حياة أبيها هذا الذى توفى أخيرا .

فهل لاولاد البنت نصيب في ميراث جدهم ؟ وما نصيب كل  
وارث في التركة ؟ » .

ج - لان السؤال ينقصه كثير من التفصيل والتحديد سأبنى الجواب  
على افتراض الامور الآتية التى تغلب على الظن من جهة ،  
والتى يفهم منها تطبيق القواعد على حالة السائل الخاصة من  
جهة أخرى :

- ١ - تاريخ وفاة الجد بعد ٣١ من يوليه سنة ١٩٤٦ .
- ٢ - ليس فى المسألة ورثة آخرون غير أولاد الميت ، وأولاد ابنته  
التي ماتت فى حياته .
- ٣ - أولاد الميت الذكور والاناث ابن واحد ( ذكر ) ، وابنة  
واحدة ( أنثى ) (١) غير البنت التي ماتت فى حياة أبيها .
- ٤ - أولاد بنت الميت التي توفيت فى حياة أبيها ابن واحد ( ذكر )  
وابنتان اثنتان ( أنثيان ) .

(١) هذا هو الحد الأدنى الذى يفهم من المسألة ، واذا ما كانوا اكثر  
من ذلك أمكن تطبيق القاعدة التى سأذكرها قريبا ان شاء الله بسهولة .

٥ - الميت لم يعط أولاد ابنته التي توفيت أو أحدهم في حياته  
قدر نصيب أمهم ( الذي كانت تستحقه في الميراث لو كانت  
حية ) بغير عوض أو شيئاً منه ، ولم يوص لهم بهذا القدر ،  
أو بشيء منه لهم أو لاحدهم .

وبناء على هذه الافتراضات يأخذ أولاد البنت التي توفيت في حياة  
أبيها نصيب أمهم الذي تستحقه لو كانت حية أثناء موت أبيها ، يأخذونه  
كاملاً ، لأنه لا يزيد عن الثلث ، فهو هنا الربع ، ويقسم بين أولاد البنت  
للذكر مثل حظ الانثيين ، وبهذا يكون توزيع تركة الميت على النحو التالي:  
للابن النصف ، وللبنات الربع ، ولأولاد البنت الربع يقسم بينهم  
تقسيم الميراث للذكر مثل حظ الانثيين .

وبهذا تقسم التركة ١٦ ستة عشر جزءاً متساوية ، للابن منها  
ثمانية ، وللبنات أربعة ، ولابن البنت جزءان اثنان ، ولكل واحدة من  
بناتي البنت جزء واحد .

وأساس هذه الفتوى وهذا التوزيع ما جاء في المواد ٧٦ و ٧٧ و ٧٨  
و ٧٩ من القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ م ، وهو المعروف بقانون الوصية  
الواجبة المنفذ من أول أغسطس ١٩٤٦ م ، فقد كان أولاد البنت يحجبون  
بأولاد الميت ( أخوالهم ، أو خالاتهم ) ويحرمون الميراث الى آخر  
يوليه ١٩٤٦ ، لانهم من ذوى الارحام ، فجاء هذا القانون ، وقرر ذلك  
المبدأ العادل ، اذ أوجب لأولاد البنت نصيب أمهم بحيث لا يزيد عن  
ثلث التركة ، ونفذ ابتداء من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ م .

وهذا القانون في مصر - وان أتى بحكم خالف فيه رأى المذاهب  
الفقهية المشهورة - اعتمد على الفهم من بعض نصوص القرآن الكريم (١) ،  
وآراء جمع عظيم من فقهاء التابعين ، وممن بعدهم من أئمة الفقه  
والحديث ، ومن هؤلاء : سعيد بن المسيب ، والحسن البصرى ، وطاوس ،  
والامام أحمد ، وداود ، والطبرى ، واسحق بن راهويه ، وابن حزم .

(١) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

**فخلاصة القول في هذه المسألة – أن أولاد البنت يأخذون نصيب**

أهمم الذي تستحقه لو كانت حية أثناء وفاة أبيها ، ما دام لم يزد عن الثلث ،  
وما دام الجد ( أبو الام ) لم يوص لهؤلاء الحفدة بشيء ، ولم يعطهم  
أو أحدهم شيئاً بغير عوض في حياته .

وان كان السائل في حاجة الى تحديد ، أو توضيح ، أو تفصيل  
أكثر – يرجى منه أن يوضح في سؤاله الامور الآتية :

١ – تاريخ وفاة الجد ( هل مات بعد ٣١ يولييه ١٩٤٦ ، أو قبل  
أول أغسطس ١٩٤٦ ) .

٢ – عدد أبناء الميت .

٣ – عدد بنات الميت الاحياء حين وفاة أبيهم .

٤ – عدد أبناء بنت الميت ( التي توفيت قبل أبيها ) .

٥ – عدد بنات بنت الميت ( التي توفيت قبل أبيها ) .

٦ – هل هناك ورثة آخرون ؟ ( يبينون بالتفصيل قرابة من الميت  
ونوعا وعددا ) .

٧ – هل أوصى الميت لاولاد ابنته المتوفاة ، أو لاحدهم بشيء ،  
أو أعطاهم أو أعطى أحدهم شيئاً في حياته بغير عوض ؟ وما مقداره  
بالنسبة للتركة كلها ؟ .

بتفصيل السؤال على هذا النحو يمكن تحديد الاجابة وفقا للحالة ،  
والله ولى التوفيق ، وهو الاعلى والاعلم .

**عنتر حشاد**



## كلمة التحرير

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله « وبعد »

لقد مضت عدة أسابيع على الاخبار التي شددت انتباه الناس ،  
أخبار جماعة التكفير والهجرة ، التي بدأت بجريمة خطف وقتل فضيلة  
الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله . ولا يجب أن تمر مثل هذه  
الاحداث دون الوقوف عندها وقفة طويلة ، لفتعرف على الاسباب التي  
تؤدى الى ظهور هذه الجماعات المتطرفة ، ووسائل العلاج الكفيلة بعدم  
خروج جماعات أخرى على نمطها .

ان وسائل الاعلام في بلدنا - في الغالب - لم تتناول موضوع  
جماعة التكفير والهجرة الا من زاوية واحدة ، هي تسليط الضوء على  
جرائمها ، وهذا وان كان أمرا حسنا الا أنه ليس هو العلاج أو الوسيلة  
التي تمنع الشباب الذي قد يتعاطف فكريا مع هذه الجماعة ، بل كان  
الواجب مناقشة الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، وذلك بافساح المجال  
للعلماء والمتخصصين لبيان جوهر الاسلام وما يدعو اليه ، بدلا من أن  
تقوم وسائل الاعلام بالتشنيع والظعن في أمور هي من الاسلام حقا  
كحجاب المرأة واعفاء اللحى وغير ذلك مما هاجمته الصحافة مثلا في  
كتابات ورسومها الكاريكاتيرية ضمن حملة تسليط الاضواء على جرائم  
التكفير والهجرة .

\* \* \*

وقد لا يتسع المجال في مثل هذه الكلمة للرد على فكر هذه الجماعة  
ومناقشته بالتفصيل ، ولكن ذلك لا يمنع من أن نطرح على شبابنا -  
بصفة خاصة - بعض الاسئلة ، لعلها تبين لهم مدى بعد هذه الجماعة  
عن الاسلام :

١ - اذا كان مرتكب الكبيرة كافرا - كما تقول هذه الجماعة -  
فما معنى قول الله تعالى : ( قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم  
لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ) ؟ وما معنى مئات  
الآيات والاحاديث التى جاءت حول هذا المعنى مما لا يتسع المقام لذكره ؟  
٢ - هل كلمة ( الكفر ) لا تستعمل الا بمعنى الخروج من ملة  
المسلمين ؟ اذا كان الامر كذلك فما معنى كفر النعمة وكفر الاحسان  
وكفر العشير ؟

٣ - هل من حق واحد أو جماعة من الناس أن تنصب نفسها  
قاضية على المجتمع ، تحكم بايمان هذا وبكفر ذاك ، ثم تنفذ أحكامها  
بالاعدام على الكفار حسب قوانينها ونظرياتها ؟ وفى أى شرع هذا ؟

٤ - هل سمعنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل مجموعة  
من المؤمنين لخطف واحد من المشركين مثل أبى جهل أو أبى لهب أو الوليد  
ابن المغيرة . . . أو غيرهم ، ثم حبسه رهينة حتى ينفذ المشركون  
مطالب الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتل الرهينة ؟

٥ - اذا كان الشيخ الذهبى كافرا أو مشركا ، ألم يقل الله عز  
وجل ( وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم  
أبلغه مأمنه ) ؟ ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأة عذبت  
فى هرة حبستها حتى ماتت جوعا ، فلا هى أطعمتها ولا تركتها تأكل من  
خشاش الارض ؟ عذبت فى هرة وليس فى عالم من علماء المسلمين . . . !

- وكما قلّت من قبل فان هذه الكلمة لا تتسع لمناقشة فكر هذه  
الجماعة والرد عليه ، ولكنها مجرد خواطر تجول فى النفس .

\* \* \*

ولكن . . . لماذا قامت مثل هذه الجماعة ؟ وما هى العوامل التى  
ساعدت على قيامها ؟ ذلك هو السؤال الذى نحتاج الى الاجابة عليه .

ان الناظر الى أحوال هذا المجتمع يجد عوامل الهدم أكبر من عوامل  
البناء ، أكبر وأقوى وأعتى ، وسائل الاعلام مثلا : صحافة تثير سخط

كل مؤمن بربه ودينه ، في نفس الصفحة التي نشرت فيها صور جثة الشيخ الذهبي في احدى الجرائد اليومية نجد اعلانا كبيرا عن ملهى ليلي من ملاهى شارع الهرم ، والاعلان ليس بالكلمات وحدها ولكن بصور الرقصات شبه العاريات ، يا للأسف ! بل يا للعار ! في نفس اللحظة التي تتمزق فيها القلوب لجريمة قتل الشيخ الذهبي ، وفي نفس الصفحة ، وليس في صفحة غيرها ، نرى هذا الاعلان ، وكان الامر متعمدا لاثارة المشاعر .

### • وسخافات الصحافة كثيرة .

وكذلك الاذاعات المسموعة أو المرئية ، لا تذيع علينا الا الغناء ، ولو عقدنا مقارنة للبرامج الدينية أو التثقيفية الى باقى البرامج لكانت النتيجة مفزعة .

أما عن السينما والمسرح فليست بأفضل من الصحافة أو الاذاعة ، فانها لا تعرض الا ما يفسد أخلاق الشباب والفتيات حيث أصبحت نموذجا للفسق والفجور .

وغير ذلك كثير وكثير من عوامل الهدم ، فأين هى عوامل البناء ؟ وهل يكون البناء الا عن طريق الدين ؟

أين التوعية الدينية للشباب ؟ ان كثيرا من خريجي الجامعات يتخرجون في جامعاتهم دون أن يعرفوا آية واحدة من كتاب الله تعالى أو حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أكون مبالغا اذا قلت ان هذه الكثرة لا تحسن قراءة فاتحة الكتاب .

أين الكتب التي تعرض قضايا الاسلام لتساهم في تثقيف الشباب ؟ وحتى لو وجدت بعض هذه المؤلفات فأكثرها قد امتلأ بالاباطيل والخرافات باسم الدين ، والدين براء من ذلك .

ومن قلب هذا التمزق : صحافة هابطة ، اذاعات مسمومة ، سينما داعرة ، محاربة للقيم والاخلاق ، استحلال للحرام . أقول من قلب هذا التمزق ، ومن قلب هذا الضياع والفراغ تتكون مثل جماعة التكفير

والهجرة ، شأن الشباب متعطش لدينه ، ينجذب بشدة وبسرعة الى من  
ينقذه من هذا التمزق والفسياح ، فتكون الفرصة سانحة لاصحاب المبادئ  
المتطرفة للانحراف بهذا الشباب باسم الدين وباسم انقاذ الامة كلها  
من هذا الوضع الذى صارت اليه ، ويقع المحذور .

\* \* \*

وعلى هذا فاننا اذا لم نعمل على اصلاح هذا المجتمع فكأننا نعطي  
الفرصة لظهور الجماعات المنحرفة المتطرفة واحدة تلو الاخرى ،  
وما واقعة الكلية الفنية العسكرية ببعيدة .

ولا صلاح لهذا المجتمع الا عن طريق الاسلام ، والاسلام كل  
لا يتجزأ ، واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بتوجيه  
النصيحة لولاة الامور فى قوله صلوات الله وسلامه عليه ( ان الله يرضى  
لكم ثلاثة : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتموا بحبل الله  
جميعا ولا تفرقوا ، وأن تتاصحوا من ولاة الله أمركم ) فانى أنصح  
ولواة الامور أن يحكموا شريعة الله عز وجل فى كل كبيرة وصغيرة ، وأن  
يعملوا على تنفيذ هذه الشريعة ، ليس فى الحدود وحدها ، ولكن من  
ألفها الى يائها ، فان الله عز وجل عندما أمر رسوله محمدا صلى الله  
عليه وسلم أن يحكم بما أنزل الله ، حذره أن يفتته الناس عن أى جزء  
من هذه الشريعة ، والا حل بهم عذاب من الله ، يقول تعالى ( وأن احكم  
بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض  
ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض  
ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون ) .

نوجه النصيحة لولاة الامر :

تذكروا أن تنفيذ شريعة الله فى الارض من مسئوليتكم التى  
ستحاسبون عنها يوم القيامة ، وسيكون حسابكم عسيرا اذا لم  
تأخذوا بها .

تذكروا أن تنفيذ شريعة الله في الارض لا يحتاج الى لجان  
• تنعقد وتنفض •

تذكروا أن تنفيذ شريعة الله في الارض لا يحتاج الى استفتاءات  
• أو أخذ أصوات •

تذكروا أن تنفيذ شريعة الله في الارض لا يحتاج الى تسويق أو  
• تعطيل أو تمهل •

تذكروا أن تنفيذ شريعة الله في الارض هو العلاج الوحيد لكل  
• أمراض المجتمع ، ولا علاج غيره •

تذكروا أن تنفيذ شريعة الله في الارض يقطع الطريق أمام دعاوى  
• الانحراف والتطرف ، ويمنع قيام مثل جماعة التكفير والهجرة •

وأخيرا تذكروا أن تنفيذ شريعة الله في الارض أمر حتمي وليس  
• اختياريا حسب أهوائكم أو أهواء الناس •

( تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا  
• فسادا ، والعاقبة للمتقين ) صدق الله العظيم •

رئيس التحرير

### تهنئة بشهر رمضان

مجلة التوحيد — وقد أصدرت هذا العدد الممتاز في ٦٥ صفحة  
بدلا من ٤٩ صفحة — تتقدم الى قرائها الكرام في شتى أنحاء المعمورة  
بالتهنئة القلبية بمناسبة حلول شهر رمضان الكريم •  
وانا لنسأل الله العلى القدير أن يعيد هذا الشهر المبارك على  
الامة الاسلامية وقد وحدت صفوفها لاعلاء كلمة الله ، ورفع راية  
الاسلام ، وتحكيم شريعة الله في الارض •  
انه نعم المولى ونعم النصير •

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## عرض و تفسير

عتر احمد حstad  
المرجه العام بوزارة التسليم والمعار للكتبتى الترتيم للمعامين والعمامات  
الدوحة قطر

### ٢ - سورة البقرة

- ٢٠ -

( د ) التفسير :

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين  
(٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون  
(٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا  
يكذبون (١٠) واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن  
مصلحون (١١) الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) واذا  
قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء ؟  
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) واذا لقوا الذين آمنوا  
قاتلوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن  
مستهزؤون (١٤) الله يستهزىء (١) بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون  
(١٥) اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم  
وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت  
ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم  
بكم عمى فهم لا يرجعون (١٨) او كصيب من السماء فيه ظلمات  
ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت ،  
والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء  
لهم مشوافيه واذا اظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم  
وابصارهم ، ان الله على كل شىء قدير (٢٠) .

(١) الهزة فوق الياء وتعذر المطبعة لان ماكينات الجمع الحديثة

لا تستطيع كتابتها الا بعد الياء .

رأينا (١) من صفات المنافقين — الذين يظهرون بألسنتهم الايمان ،  
ويبطنون في قلوبهم الكفر — كذبهم (٢) ، وجهلهم وخذاعهم (٣) ، ومرض  
عقولهم (٤) ، وغرورهم (٥) .

وفي هذه الآية الرابعة عشرة يصفهم الله بالتلون والجبن والضعف،  
ومقابلتهم للمؤمنين بوجه وللكافرين بوجه : « واذا لقوا الذين آمنوا  
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون» .

من شأن المنافق التلون والجبن وضعف الارادة ، اذ لو كان شجاعا  
قوى الارادة لصرح بما في نفسه ، وجاهز بكفره وعداوته ، ولما أظهر  
خلاف ما يضمّر . ومن شأن الجبان التلون ، ولقاء الناس بوجهين  
ولسانين ، فاذا لقي المؤمنين قال : أنا مؤمن ، واذا لقي الكافرين في خلوة  
بعيدا عن المؤمنين قال : انى معكم على كُفركم ، وعدائكم للحق وأتباعه ،  
وتعلل لاطهار الايمان للمؤمنين بقوله : انما أنا مستهزىء بالمؤمنين ،  
مستخف بهم ، اذ عمل على خلاف ما أقول لهم .

وقد صور الله نفاق المنافقين في هذه الآية أبدع تصوير ، اذ عبر  
عن ملاقاتهم للمؤمنين بكلمة ( لقوا ) كأن لقاءهم للمؤمنين مصادفة  
لا يحرصون عليه ، وعبر عن ملاقاتهم لشياطينهم (٦) بكلمة ( خلوا ) لان  
الخلوة تطلب قصدا للدلاء بالاسرار ، وعبروا عن ايمانهم بقولهم :  
( آمنوا ) بالفعل الماضى ، ليظهروا للمؤمنين أنهم معهم من زمان مضى ،  
وعن معيبتهم لشياطينهم بقولهم : ( انا معكم ) بالجملة الاسمية المفيدة  
للدوام ، المؤكدة بان .

ولما عللوا اظهار ايمانهم بالاستهزاء بالمؤمنين رد الله سبحانه

---

(١) في تفسير الآيات من ٨ — الى ١٣ في العدد السابق .  
(٢) من الآية الثامنة (٣) من الآية التاسعة (٤) من الآية العاشرة  
(٥) في الآيات من ١١ — الى ١٣ (٦) شياطين المنافقين : من بقى  
منهم على الكفر لم يظهر الايمان ، أو رؤساؤهم ، والقاتلون : صغار المنافقين ،  
والشياطين لغة : كل عات متمرّد من الانس والجن والدواب ، كما قاله  
الجوهري ، ارجع الى عمود ١ ص ١٠٦٣ ، ج ٦ ، السنة التاسعة والاربعون  
عدد شعبان ١٣٩٧ من مجلة الازهر

عليهم بقوله : « الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١) »  
فجزأؤهم — جزاء وفاقا — على استهزائهم بالمؤمنين أن ينتقم الله منهم ،  
ويزيدهم طغيانا كبيرا يضلون فيه • وهذه سنة الله في خلقه — أن يزيد  
الضال المعاند ضلالا — « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن  
مدا » (٢) •

وبين سبحانه جزاءهم بقوله : « أولئك الذين اشتروا الضلالة  
بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » •

أولئك المنافقون الذين بينت الآيات السابقة أوصافهم بالطريق  
التي سلكوها ، وبجهلهم وغرورهم وتلونهم (٣) — رغبوا عن الهدى  
واعتنقوا الضلال ، مع أن الهدى كان في متناول عقولهم ، كان فيهم  
بالفطرة ، وتمكنوا منه بالادلة الواضحة ، لان آياته واضحة ، ودلائله  
هادية ، ولكنهم لما في عقولهم من مرض — أعرضوا عن الهدى ، وأقبلوا  
على الضلال ، فكأنهم باعوا الهدى ، واشتروا به الضلال ، فما ربحت  
تجارتهم في الدنيا ولا الآخرة ، بل خابوا وخسروا « وما كانوا مهتدين »  
الى طرق التجارة الرابعة ، فهم أرادوا بنفاقهم أغراضا دنيوية ، فباعوا  
الحق والهدى بالضلال ، فخرست تجارتهم ، لان من باع الحق بالباطل ،  
والهدى بالضلال فصفقته خاسرة ، وما كانوا مهتدين في طرق تجارتهم  
ووسائل ربحهم ، لان التاجر المتصرف البصير بطرق الربح والخسارة  
لا يستترى الضلالة بالهدى •

ثم ضرب الله سبحانه مثلين لهؤلاء المنافقين الخاسرين في مبادلتهم ،  
المتحيرين المتردين في ضلالهم ، ليصور خيبتهم وخسارتهم وحيرتهم

---

(١) يمدهم : يزيدهم أو يمهلهم ، طغيانهم : مجاوزتهم الحد في الضلال  
والفساد ، يعمهون : يترددون ويتحيرون من العمه وهو عمى القلب •  
(٢) راجع هذه السنة الالهية في عدد جمادى الاولى ٩٧ ص ٦ ، وفي  
عدد شعبان ٩٧ ص ٤ من المجلة •  
(٣) فاسم الاشارة يعود على المنافقين مع ملاحظة اوصافهم •



بصورة محسوسة ملموسة تزيد كشف حالهم ، وترسم سوء عاقبتهم ، ولم يكتف ببيان صفاتهم وجزائهم ، كما اكتفى بذلك في الحديث عن المنتقين والكافرين ، لان المنافقين أشد خطرا ، وأعظم ضررا على المؤمنين من الكافرين ، ف ضرب لهم هذين المثلين ، ليزيد حالهم وضوحا وجلاء .  
والمثل — كما قال صاحب الكشف — يبرز خبيات المعانى ، ويرفع الاستتار عن الحقائق ، يظهر المعنى الخفى فى صورة المحس الظاهر ، والمثل (١) فى أصل اللغة بمعنى التشبيه والنظير ، كالمثل (٢) والمثيل ، وقد يستعار للحال التى فيها غرابة كحال المنافق (٣) .

وفى المثل الاول يقول جل ثناؤه : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون » .

ومجمل هذا المثل : أن هؤلاء المنافقين شأنهم كسأن من أوقدوا نارا فى صحراء مظلمة ، ليسيروا فى نورها ، فلما أضاءت ما حولهم ، وأخذوا يسرون اذا بنور النار يذهب فلم ينتفعوا به ، ولم يسيروا فى هداه .

وتطبيق هذا المثل على حال المنافقين : أن الحياة صحراء مظلمة مشتبهة المسالك ، والقرآن هو النور الذى يهدى الانسان فى هذه الصحراء ، فالمنافقون — وقد آتاهم الله ضربا من الهدى باستعداد الفطرة ، وبأظهارهم الايمان ، بنطقهم بالشهادتين بألسنتهم — أوقدوا النار ، والتمسوا النور ، واتخذوا الوسيلة للانتفاع والاهتداء ، ولكنهم باضمارهم الكفر ، وتلونهم واعتلال قلوبهم ، وباستبدال الضلال بالهدى — ذهب الله بنورهم ، فلم ينتفعوا به ، ولم يهتدوا ، فقد طغت

(١) بفتح الميم والثاء ، وجمعه أمثال : « وتلك الامثال نضربها للناس »

(٢) بكسر الميم وسكون الثاء (٣) راجع الحديث عن الامثال فى

القرآن ص ٦ من العدد ١٠ — ١١ المجلد الثالث من المجلة للدكتور محمد جميل غازى .

سائرهم على ظواهرهم ، وذهبت ظلمة ما أكنوه في قلوبهم بنور ما قالوه  
بأسنتهم ، لأن الله ينظر الى القلوب والسرائر ، لا الى الصرر والظواهر ،  
فالمنافقون خسروا وخابوا كما خسر وخاب الذين أوقدوا النار ، وما انتفعوا  
بضوئها ، وبقوا في حيرة وضلال كما بقى في الحيرة والضلال من انطفأت  
نارهم في صحراء مظلمة ، ولهذا قال سبحانه : « وتركهم في ظلمات  
لا يبصرون » .

وفي الآية الكريمة « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا » استعمل  
« الذى » للمفرد بمعنى « الذين » للجمع ، فمراعاة للفظ من حيث افراده  
قال : « استوقد نارا » و « أضاعت ما حوله » بدلا من ( استوقدوا نارا )  
( وأضاعت ما حولهم ) ومراعاة لمعنى الجمع قال سبحانه : « ذهب الله  
بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون »  
ولم يقل : ذهب الله بنوره وتركه في ظلمة لا يبصر ، أصم أبكم أعمى  
فهو لا يرجع .

والتعبير بلفظ « أضاعت » أبلغ من التعبير بـ « أنارت » لأن الضوء  
مصدر النور ، كما يفهم من قوله تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء  
والقمر نورا » ومن المعروف أن نور القمر مستمد من ضياء الشمس .

ولم يقل سبحانه : « ذهب الله بضوئهم » وإنما قال : « ذهب الله  
بنورهم » ليفهم أنه لم يبق من الضوء شيئا ، ولذا قال : « وتركهم في  
ظلمات لا يبصرون » أى تركهم في ظلمات لا يرى فيها شئ ، واسناد  
اذهاب النور الى الله ( ذهب الله ) للايذان بأنه انما ذهب بأمر سماوى  
كالمر والهباء ، أو للمبالغة في اذهابه .

ثم قال سبحانه : « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » أى أن هؤلاء  
الذين ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ولا يهتدون —  
قد سدت في وجوههم سبل الاهتداء ، فهم لا يرجعون عن ضلالهم ،

ولا يخرجون من الظلام ، فهم صم لا يهتدون بصوت من يدعوهم ، بكم لا يستطيعون أن ينادوا من يهديهم ، عمى لا يبصرون مسلكا ولا منفذا ، فحواس اهتدائهم قد عطلت ، وهم لم يفقدوا حقيقة حواس السمع والنطق والبصر ، ولكنهم لما سدوا مسامعهم عن الاصاغة الى الحق ، وأبوا أن تصدق به ألسنتهم ، وأعرضوا عن النظر والتبصر في آياته ودلائله بعيونهم — جعلوا كأنهم فقدوا حواسهم ، ومن له عقل ولا يفكر به فهو وفاقد العقل سيان ، ومن له حواس ولكنه يعطلها ويصرفها عن ادراك الحق بها فهو وفاقد حواسه سيان .

وفي المثل الثانى للمنافقين أيضا يقول عز وجل : « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شىء قدير » .

ومجمل هذا المثل الثانى : أن هؤلاء المنافقين شأنهم كشأن قوم أمطرتهم السماء ماء ، وقد صحب المطر ظلمة ورعد وبرق ، فلم يستبشروا بهذا الغيث ، ولم يتجهوا الى الانتفاع به ، بل وجلوا وفزعوا من الظواهر التى صحبتته ، وجعلوا يسدون آذانهم بأصابعهم انتقاء الفناء والهلاك ، وحراروا بين نور البرق وظلمة الجو وقصف الرعد ، فكلماء أضاء لهم البرق مشوا فيه واهتدوا بنوره ، واذا اختفى وأظلم الجو وقفوا عن السير ، واذا سمعوا الرعد ذعروا .

والى العدد القادم — ان شاء الله — لنرى تطبيق هذا المثل على المنافقين ، والله ولى التوفيق .

**منتر حشاد**

# بَابُ التَّقْسِيرِ

يقدمه : عن تراجم حشاد

٢ - سورة البقرة

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمى فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير (٢٠)

بعد أن رأينا - في الآيات السابقة - صفات المنافقين ، وأنهم يظهرون بالسننهم الايمان ، ويطنون في قلوبهم الكفر ، يقولون بالسننهم ما ليس في قلوبهم ، وبعد أن رأينا جهلهم ، وخداعهم ، ومنشأ نفاقهم ، وغرورهم - يضرب الله تعالى لهم هذين المثلين ليزيد حالهم وضوحا . وقد عرفنا - في العدد السابق - مجمل هذين المثلين ، وتطبيق انتمثي ، الاول على حال المنافقين .

وفي المثل الثاني : « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ... » يدل قوله سبحانه : « يجعلون أصابعهم في آذانهم » على أن في صدر الآية محذوفا مقدر يدل عليه السياق ، والتقدير ، والله العليم بمراده : أو كقوم أمطروا بصيب من السماء .

والصيب : المطر المنهمر المتصوب ، أي : النازل من علو ، مأخوذ من الصوب ، وهو : النزول والانصباب .

والسحاب : كل ما علاك ، والمراد منها هنا : السحاب ، فهو من

معانيها ، والسحب اذا تكاثفت وتصوب منها المطر أظلم الجو .

فيه ظلمات : المراد بها — والله أعلم — الظلمات الناشئة من كثافة  
المطر ، وتتابعه ، وغمامه ، وظلمات الليل •

ورعد : الرعد صوت مدو شديد ، وبرق : البرق لمعان ضوئي  
شديد ، يظهر ويختفى سريعا ، والصواعق : جمع صاعقة ، وهى حرارة  
هائلة تصحب البرق والرعد أحيانا •

فالرعد والبرق والصاعقة : ظواهر قد تصحب المطر ، وهى مشاهدة  
محسة ، وفهم التمثيل لا يتوقف على معرفة منشأ كل واحد منها وتعليقه  
العلمي ، وإنما يكفى له مشاهدة هذه الظواهر وآثارها •

وقد قرر العلماء أن الرعد صوت يحدث من تعادل كهرباء موجبة  
في سحابة بكهرباء سالبة في سحابة أخرى تلتقيان •

والبرق : سببه حدوث شرارة كهربائية ناشئة عن اتصال الكهرباء  
في سحابتين : احدهما كهرباء سالبة ، والاخرى كهرباء موجبة •

والبرق والرعد متلازمان غالبا ، ولكننا نرى البرق ، ثم نسمع بعده  
الرعد ، لأن سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت أضعافا مضاعفة •

والصاعقة : سببها اتصال كهربائي ناجم عن التفريغ الكهربائي  
الذى يحدث بين الارض والسحب المكهربة ، فتحدث حرارة بالغة سريعة:  
تصهر ما بينهما ، أو تحرقه ، أو تفتته ، تبعا لاختلاف مادته •

( والله محيط بالكافرين ) أى لا يفوته ، ولا ينجو من بطشه ،  
كما لا ينجو الشخص ممن أحاط به •

( وإذا أظلم عليهم قاموا ) أى وإذا أظلم البرق عليهم ولم يضىء  
لهم وقفوا ولم يمشوا •

وفي هاتين الآيتين الكريمتين ( ١٩ و ٢٠ ) تمثيل آخر لحال المنافقين  
في حيرتهم وترددهم ، بين مضي في الاسلام واحجام عنه بحال من أمطرته  
السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف ، وبرق خاطف ، فتحير بين اقدام  
حين يلمع البرق ، وبين احجام حين يسمع الرعد ، ويشتد عليه الظلام ،  
والمر في كلتا الحالين فوق رأسه ينهمر ، فما أروع هذا التمثيل •

ويمكن فهم هذا التشبيه على أنه من تشبيهه المفردات بعضها ببعض ،  
فيشبه القرآن — الذى تحيا به القلوب — بالصيب ، أى : المطر الذى  
تحيا به الارض بعد موتها ، ويشبه ما أحاط بالمنافقين من التردد والحيرة

والشكوك ، بما أحاط بالقوم أصحاب المطر من الظلمات ، ويشبهه وعد القرآن ووعيده بالرعد ، وما فيه من الآيات الباهرة بالبرق ، وتصام المنافقين عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه ، فيسد أذنيه عنها ، مع أنهم لا خلاص لهم منها ، وهو معنى قوله تعالى : ( والله محيط بالكافرين ) واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه ، أو رعد (١) تطمح إليه أبصارهم بمشيهم في مكان ضوء البرق حين يضىء ، وتحيرهم في الامر وتوقفهم فيه حين تعرض لهم شبهة أو مصيبة بتوقفهم اذا أظلم عليهم البرق .

ونبه سبحانه وتعالى بقوله : ( ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ) على أنه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليدركوا بها طريق الهدى والفلاح ، وينتفعوا بها ، ولكنهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة ، وأوصدوها عن الفوائد الآجلة ، ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي آثروها لانفسهم ، وهى اضعاء السمع والبصر ، فانه على ما يشاء قدير ، ولكنه لم يفعل ، لعلمهم يعتبرون فيدركوا .

وقد أراد سبحانه أن يجزيهم على خبث ضمائرهم واعتلال قلوبهم بأن يحسوا بالرعد والوعيد ولا يتقوه ، وأن يبصروا البرق والنور ولا يهتدوا به ، وأشد العذاب عذاب الحيرة والتردد ، فمن لا يرى النور أقل ألماً ممن يراه ولا ينتفع به ، وممن يلمع له ثم يفتر عنه .  
هكذا أجمع المفسرون على أن هذين المثليين للمنافقين .

وقد انفرد أستاذنا الدكتور محمد عبد الله دراز - رحمه الله - بتوزيع هذين المثليين على الطائفتين ، فجعل المثل الاول للكافرين ، والمثل الثانى للمنافقين ، اذ قال ما نصه : « ضرب الله لكلتا الطائفتين مثلاً يناسبها .

فضرب مثلاً للمصرين المختوم على قلوبهم بقوم كانوا يسرون في ظلام الليل فقام فيهم رجل استوقد لهم ناراً يهتدون بضوئها ، فلما أضاءت ما حوله لم يفتح بعض القوم أعينهم لهذا الضوء الباهر ، بل لامر ما سلبوا نور أبصارهم وتعطلت سائر حواسهم عند هذه المفاجأة ،

(١) رعد : عطاء .

فذلك مثل النور الذى طلع به محمد صلى الله عليه وسلم فى تلك الامة  
الامية على فترة من الرسل ، فتفتحت له البصائر المستتيرة هنا وهناك ،  
لكنه لم يوافق أهواء المستكبرين الذين ألفوا العيش فى ظلام الجاهلية  
فلم يرفعوا له رأسا ، بل نكسوا على رؤوسهم ، ولم يفتحوا له عينا ،  
بل خروا عليه صما وعميانا : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء • والذين  
لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى (١) » •

وضرب مثلا للمتريدين المخادعين بقوم جاءتهم السماء بغيث منهمر  
فى ليلة ذات رعود وبروق ، فأما الغيث فلم يلقوا له بالا ، ولم ينالوا  
منه نيلا ، فلا شربوا منه قطرة ، ولا استنبتوا به ثمرة ، ولا سقوا به  
زرعا ولا ضرعا • وأما تلك التقلبات الجوية من الظلمات والرعد والبرق  
فكانت هى مثار اهتمامهم ، ومناط تفكيرهم ، ولذلك جعلوا يترصدونها ،  
ويدبرون أمورهم على وفقها ، لابسين لكل حال لبوسها : سيرا تارة ،  
ووقوفًا تارة ، واختفاء تارة أخرى •

ذلك مثل القرآن الذى أنزله الله غيثا تحيا به القلوب ، وتنتب به  
ثمرات الاخلاق الزكية ، والاعمال الصالحة ، ثم ابتلى فيه المؤمنين بالجهاد  
والصبر ، وجعل لهم الايام دولا بين السلم والحرب ، وبين الغلب  
والنصر ، فما كان حظ بعض الناس منه الا أن لبسوا شعاره على جلودهم  
دون أن يشربوا حبه فى قلوبهم ، أو يتذوقوا ما فيه من غذاء الارواح  
والعقول ، بل أهتمهم أنفسهم ، وشغلتهم حظوظهم العاجلة ، فحصروا  
كل تفكيرهم فيما قد يحيط به من مغنم يمشون اليها ، أو مغارم يتقونها ،  
أو مآزق تنفهم منه موقف الروية والانتظار ، وهكذا ساروا فى التدين  
به سيرا منعرجا متقلبا مبنيا على قاعدة الربح والخسر والسلامة الدنيوية •  
فكانوا اذا رأوا عرضا قريبا وسفرا قاصدا وبرقت لهم ( بروق )

الامل فى الغنيمة ساروا مع المؤمنين جنبا الى جنب ، واذا دارت رحى  
الحرب ، وانقضت ( صواعقها ) منذرة بالموت والهزيمة أخذوا حذرهم  
وفروا من وجه العدو قائلين ( ان بيوتنا عورة ) أو رجعوا من بعض  
الطريق قائلين : ( لو نعلم قتالا لاتبعناكم ) حتى اذا كانت الثالثة فلم  
يلمحوا من الآمال بارقة ، ولم يتوقعوا من الآلام صاعقة ، بل ائتمتبت

(١) آية ٤٤ من سورة فصلت .

عليهم الامور ، وتلبد الجو بالغيوم ، فهناك يقفون متربصين لا يتقدمون ولا يتأخرون ، ولكن يلزمون شقة الحياذ ريثما تنتشع سحابة الشك ( فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ؟ وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ومنعكم من المؤمنين ) ، ( وان منكم لمن ليبطئن فان أصابنكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن — كأن لم تكن بينكم وبينه مودة — ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ) •

ذلك أبدا دأب المنافقين في كل أمرهم : ان توقعوا ربعا عاجلا التمسوه في أى صف وجدوه ، وان توقعوا أذى كذلك تنكروا للفتنة التى ينالهم في سبيلها شىء من المكروه • واذا أظلم عليهم الامر قاموا بعيدا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء • أما الذى يؤمن بالله واليوم الآخر فان له قبلة واحدة يولى وجهه شطرها ، هى قبلة الحق لا يخشى فيها لومة لائم • وليس يبالى حين يقتل مسلما « على أى جنب كان فى الله مصرعه » • انتهى كلامه رحمه الله •

وأما المفسرون الذين قالوا ان المثلين كليهما للمنافقين فقد عللوا تكرار التمثيل بأنه رعاية لتقننهم فى فنون النفاق ، وتثقلهم فيه من حال الى حال ، وذلك جدير بأن تعدد فيه الامثال ، وقد جرى بحرف العطف ( أو ) بين التمثيلين ، لافادة تساوى القصتين فى أن يكونا مثلا لحالهم انفرادا أو اجتماعا ، فأو فى قوله تعالى : « أو كصيب » مثلها فى قولك : جالس الحسن أو ابن سيرين ، أى جالس أحدهما أو كليهما فهما سواء فى الافادة ، تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا ، وكما فى قوله تعالى : « ولا تطع منهم آثما أو كفورا (١) » أى الآثم والكفور سيان فى وجوب العصيان ، فكذا هنا : معناه أن قصة المنافقين مثبته لهاتين القصتين ، وأن هاتين القصتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل ، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فأنت — كذلك — مصيب •

والله أعلم بالصواب ، وهو المسئول أن يهديننا سبيل الرشاد •

**عنتر حساد**

(١) من آية ٢٤ من سورة الانسان .



## كلمة التَّحريم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله « وبعد »  
انقضى شهر رمضان الكريم ، انقضت أيامه وانقضت لياليه ، وفاز فيه من فاز ، وخسر فيه من خسر ، فاز فيه من عرف قدره فصامه ايمانا واحتسابا ، وقام لياليه ايمانا واحتسابا ، فاز فيه من انتهزه فرصة طيبة لزيادة التقرب الى الله عز وجل بالطاعات ، فاز فيه من غض الطرف عن المحارم : من غض سمعه وبصره عن عورات الناس ، من غض لسانه عن الغيبة والنميمة ، من غض جوارحه عن كل ما يغضب الحق جل وعلا ، من غض قلبه عن الميل مع الهوى والشهوات •

انقضى شهر رمضان الكريم ، وقد فاز فيه من وفى بعهد الله ولم ينقض ما بينه وبين الله من موثيق ، فاز فيه من لم يقطع الارحام بل وصلها ووصل كل ما أمر الله به أن يوصل ، فاز فيه من أطعم البائس الفقير ، فاز فيه من أنفق مما رزقه الله اتبعاء مرضاته ، فاز فيه من حاول التطهر من ذنوبه وآثامه ، فاز فيه من اتقى الله في كل أقواله وأفعاله ، في السر والعلانية • نسأل الله أن نكون منهم •

انقضى الشهر الكريم ، وقد خسر فيه من ظنه شهرا للكسل والخمول ، خسر فيه من ظنه شهرا للسهرات الماجنة أمام ما تذيعه الاذاعات المسموعة والمرئية من غناء ، خسر فيه من ظنه شهرا لارتياح الملاهي بالليل للترفيه من تعب الصيام بالنهار ، خسر فيه من أطلق العنان لشهواته وأخذ انى الارض واتبع هواه ، خسر فيه من أبطل صيامه بتركه للصلاة •

انقضى الشهر الكريم ، الذى نرجو أن يكون ما قدمنا فيه لانفسنا  
من عمل خالصا لله عز وجل ، خاليا من النفاق والرياء ، داعين المولى جل  
وعلا أن يجعله عملا متقبلا ، وأن يثقل به موازيننا يوم لا ينفع مال  
ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم •

ونسأل الله تعالى أن يعيد هذا الشهر على الامة الاسلامية فى كل  
أنحاء المعمورة وقد حقت كل ما تصبو اليه من رفعة وعزة ، ونصر  
وسؤدد ، انه ولى ذلك والقادر عليه ، وهو نعم المولى ونعم النصير •

\* \* \*

وأستأذن القراء الافاضل أن أعود مرة أخرى الى موضوع سبق  
الكتابة فيه وهو موضوع جماعة التكفير والهجرة • • • فما زال الموضوع  
حديث الناس ، وسيظل كذلك لفترة طويلة •

عندما وقعت أحداث جماعة التكفير والهجرة الاخيرة ، واستنكرناها  
بالكلمة المسموعة وبالكلمة المقروءة ، عانبنى صديق بقوله : لماذا سكتتم  
على هذا الفكر المنحرف الى أن وقع المحذور ثم استنكرتم ؟

قلت لهذا الصديق ••• وأعيد القول لكل من يظن أن جماعة أنصار  
السنة المحمدية لم تتناول فكر التكفير والهجرة بالدراسة الا بعد وقوع  
بعض جرائمها • • • أقول :

من ناحية المبدأ العام : فان جماعة أنصار السنة المحمدية تهتم  
دائما - وبكل كل شئ - بتصحيح عقيدة المسلم ، وذلك بتبيان ما يجب  
أن يكون عليه المسلم فى أمور العقيدة ، وفى نفس الوقت تبين وتوضح  
زيغ وبطلان ما يعتقده الكثير من الناس مما يخالف مفاهيم القرآن  
والسنة •

أما من ناحية فكر التكفير والهجرة بصفة خاصة : فأقول انه ما من

محاضرة ألقاها واحد من علمائنا في أى فرع من فروع الجماعة بالقاهرة. أو بالاقليم على مدى السنوات القليلة الماضية الا وفند فيها للشباب بطلان هذا الفكر ، وما من محاضرة ألقاها واحد من علمائنا في أى تجمع طلابى في أية كلية من الكليات الجامعية الا وناقش فيها فكر التكفير والهجرة وبين بطلانه بالحجة والدليل والبرهان .

وبالاضافة لذلك فقد كانت مجلة التوحيد الناطقة بلسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية سباقة الى الحديث عن موضوع التكفير والهجرة ، ففى الوقت الذى لم يكن يعلم فيه الكثيرون من المسلمين شيئا عن هذا الفكر المتطرف – وبالتحديد فى عدد مجلة التوحيد عن شهر شعبان ١٣٩٣ أى منذ أكثر من أربع سنوات – تنشر المجلة مقالا لواحد من كتابها بعنوان ( التائبون فى الظلام ) يتناول فيه موضوع التكفير والهجرة .

ومجلة التوحيد تنتهز هذه الفرصة وتعيد نشر هذا المقال – فى هذا العدد – بنفس عنوانه القديم ( التائبون فى الظلام ) ، تعيد نشره كما هو دون اضافة أو حذف ، حتى يعلم الجميع أننا لا نخشى فى الله لومة لائم ، بل نجهر بما نرى أنه الحق .

فلم يكن استنكارنا – لما قامت به جماعة التكفير والهجرة – خوفا من أحد ، أو مجاملة لذى سلطان . . . فنحن لا نعرف الخوف الا من الله ، ولا المجاملة على حساب دين الله ، بل نقولها عالية مدوية أننا لو رأينا هذه الجماعة على الحق لكننا أول المدافعين عنها وعن فكرها .

والله ولى التوفيق .

رئيس التحرير

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه : عن تراجم حشاد

٢ - سورة البقرة

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون (٢٢) » .

بعد أن بين الله في الآيات السابقة أوصاف وجزاء كل فرقة من الفرق الثلاث التى افترق اليها الناس بازاء القرآن وهداه : المتقين ، والكافرين ، والمنافقين — أمر جل ثناؤه الناس بأن يكونوا من الفريق الاول : فريق المتقين ، فكأنه — سبحانه — قال : يا أيها الناس : لقد رأيتكم صفات المتقين وجزاءهم ، وصفات الكافرين وجزاءهم ، وصفات المنافقين وجزاءهم ، فاعبدوا ربكم وحده ، ولا تشركوا به شيئا ، لتكونوا من فريق المتقين ، فريق المهتمين الفلحين .

فكلمة ( الناس ) عامة تشمل المكلفين جميعا : من آمن منهم ، ومن لم يؤمن ، من الموجودين فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — ومن سيوجد بعدهم الى يوم القيامة ، لعموم الرسالة المحمدية .

• وأمر المؤمنين بالعبادة أمر لهم بالمداومة عليها .

والعبادة المطلوبة هى الطاعة البنية على حب المعبود ، لا يشاركه

فيها غيره ، لانه المستحق لها وحده ، لانفراده بالخلق والربوبية وكامل  
الانعام ، مع القدرة الشاملة وعظيم السلطان .

وليست العبادة مقصورة على الصلاة والصوم والزكاة ونحوها .  
بل تشمل كل عمل يعمل لنفع الناس والحيوانات اذا أريد به وجه الله .  
فالعامل الذي يخلص في عمله لابناء وطنه ، ويرجو به رضا الله  
يكون عابدا وعمله عبادة . واطعام الحيوانات ، والعناية بها امتثالا لامر  
الله عبادة .

أمر — سبحانه — الناس أن يعبدوه ، ووصف نفسه بأوصاف ثلاثة ،  
كل وصف منها يدعو الناس الى أن يعبدوه ، أى يخضعوا له خضوع  
المذعن بألوهيته ، وكمال قدرته .

\* \* \*

الوصف الاول : أنه ربهم ، أى مربيهم ، ومتكفل بهم ، وقائم على  
أمرهم ، ومسبغ عليهم نعمه ، فهو الجدير منهم بأتم خضوع ، وأكبر  
تعظيم واجلال ، لان هذا حق الربى على من رباه .

\* \* \*

والوصف الثانى : أنه خلقهم وخلق الذين من قبلهم ، وفى هذا  
الوصف تذكير للناس بأول نعمه عليهم ، وهى نعمة الخلق لهم ولآبائهم  
من قبلهم ، ونعمة الآباء نعمة للابناء ، اذ لولا خلق آباءهم لما وجدوا ،  
فهو — سبحانه — أوجد الناس جميعا من العدم ، وایجاده الناس من  
العدم نعمة جليلة أنعم بها عليهم ، وآية من آيات كمال قدرته ، والمنعم  
بهذه النعمة الجليلة ، القادر على هذا الابداع جدير أن يعبد ، وأن يعبد  
وحده : « أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون » .

\* \* \*

والوصف الثالث : أنه — سبحانه — بعد أن خلق الناس من العدم  
لم يتركهم سدى ، بل أمدهم بنعم وافرة تحفظ لهم وجودهم ، وتدبر لهم  
حياتهم .

جعل لهم الارض فراشا ، أى ممهدة مهيأة الاقامة عليها ، والاستقرار بها ، كما يمهّد الفراش لمفترشه ، صير الارض لهم مبسوطة كالفراش ، بحيث يقعدون عليها وينامون ، ويزرعون ويحصدون ، وبينون عليها بيوتهم ، ثبتها بالجبال ، ولو لم يثبتها الله بالجبال الرواسى لمادت واضطربت ، وما صلحت للاستقرار عليها ، وما كانت مهادا ولا فراشا ولا بساطا .

وجعل لهم السماء بقاء يشبه القبة فوقهم ، وزينها بالكواكب والنجوم ، ليهتدوا بها ، جعل لهم السماء التى هى كالسقف للارض بناء ، أى ثابتة ثبات البناء ، قال تعالى : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا (١) » وقال جل شأنه : « والسماء بنيناها بأيدى وانا لموسعون ، والارض فرشناها فنعم الماهدون (٢) » .

ولم يقتصر سبحانه على أن مهّد لهم الارض ليستقروا بها ، ورفع فوقهم السماء سقفا محفوظا ، بل أمدهم بما يكفل عيشهم ، فأنزل من السماء (٣) ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لهم ، فهو — سبحانه — يرسل الرياح فتثير السحاب (٤) ، فتجعله كسفا (٥) ، ويخرج المطر من خلاله (٦) ، فاذا نزل الماء بالارض أخرج الله بسببه من ثمرات الارض رزقا للناس يأكلون وتأكل أنعامهم ، والله سبحانه هو خالق الثمرات من الارض ، وما الماء والسقى والحرق والبذور الا أسباب .

أمر الله الناس بأن يعبدوه ، ووصف نفسه بأوصاف هى من دلائل نعمته ، وآيات قدرته ، ليحمل على الامثال من يقدر النعمة ، ومن يرهب القدرة ، وفى الناس من يستجيب بالترغيب ، ومنهم من يستجيب

(١) من آية ٣٢ من سورة الانبياء .

(٢) آيتا ٤٧ ، ٤٨ من سورة الذاريات .

(٣) السماء : السحاب .

(٤) تثير السحاب : تهيجه وتحركه .

(٥) كسفا : قطعها بعضها فوق بعض .

(٦) خلاله : وسطه .

بالترهيب • ثم قال سبحانه : « لعلكم تتقون » أى لتتقوا غضب الله وعذابه ، الذى هو عاقبة المخالفين لأمر الله تعالى ، فعبادة الله طريق لتقواه •

\* \* \*

وبعد أن أمر الله الناس بعبادته ، ووصف نفسه بهذه الاوصاف الثلاثة التى تحمل على عبادته — فرع عن هذه الاوصاف نهيهم عن أن يجعلوا لله أندادا أى أمثالا وأشباهها يعبدون كما يعبد ، ويخضع لهم كما يخضع له •

ووجه التفريع أن الرب الذى خلق من العدم ، وأمد بالنعيم لا يسوى به من لا يخلق ولا ينعم ، كما قال تعالى : « أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ (١) » وكما قال سبحانه : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له (٢) » •

« وأنتم تعلمون » أنه خلقكم والذين من قبلكم ، تعلمون أن الله هو الخالق : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله (٣) » « أفرايتم ما تمنون ، أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون (٤) » •

« وأنتم تعلمون » أنه جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء ، تعلمون أن الله هو الرازق المنعم « أفرايتم الماء الذى تشربون ، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون (٥) » « أفرايتم ما تحرثون ، أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (٦) » •

(١) من آية ١٧ من سورة النحل .

(٢) من آية ٧٣ من سورة الحج .

(٣) من آية ٦١ من سورة العنكبوت .

(٤) آيتا ٥٨ و ٥٩ من سورة الواقعة .

(٥) آيتا ٦٨ و ٦٩ من سورة الواقعة .

(٦) آيتا ٦٣ و ٦٤ من سورة الواقعة .

« وأنتم تعلمون » أنه لم يكن له شريك يساعد ، ولاند يعارض ، فالشرك به بعد هذا العلم تصرف لا يليق .  
 ومن يعلم أن خالقه ورازقه هو الله لا يجعل لهذا الخالق الرازق ندا ولا شريكا من الاصنام والحيوان الذى لا يخلق ولا يرزق ، بل هو مخلوق مرزوق .

فالله — سبحانه — فى هذه الآية أمر الناس بعبادته ، ونهاهم عن أن يشركوا به أحدا ، وبرهن على ما أمرهم به وما نهاهم عنه بما يعلمونه ويذعنون له من أنه خالقهم ورازقهم ، لان من لا يشاركه أحد فى الخلق ولا الرزق لا يشرك به أحد فى عبادته والخضوع له .

\* \* \*

والانداد التى يشدد القرآن فى النهى عنها لتخلص عقيدة التوحيد نقية واضحة قد لا تكون آلهة تعبد مع الله على النحو الساذج الذى كان يزاوله المشركون ، فقد تكون الانداد فى صور أخرى خفية ، قد تكون فى تعليق الرجاء بغير الله فى أى صورة ، وفى الخوف من غير الله فى أى صورة ، وفى الاعتقاد بنفع أو ضرر فى غير الله فى أى صورة .  
 عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « الانداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة (١) سوداء فى ظلمة الليل ، وهو أن يقول : والله ، وحياتك يا فلان ، وحياتى (٢) ، ويقول : لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص البارحة ، ولولا البط فى الدار لاتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وثئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . . . . هذا كله به شرك » . . . وفى الحديث أن رجلا قال لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — : ما شاء الله وثئت . قال : « أجعلتنى لله ندا ؟ » .

هكذا كان سلف هذه الامة ينظر الى الشرك الخفى والانداد مع الله . . . فلننظر نحن : أين نحن من هذه الحساسية المرهفة ؟ وأين نحن من حقيقة التوحيد الكبيرة ؟ .

### عنتر حساد

(١) الصفاة : الصخرة المساء . (٢) مما يحلف فيه بغير الله .





## كلمة التحرير

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله « وبعد » .  
ان الدعوة الى الله تحتاج الى الحكمة من الداعي ، واذا لم يكن  
حكيمًا فإنه قد يسيء الى الدعوة دون أن يقصد . اذا لم يحسن الداعي  
انى الله عرض قضايا التوحيد بصفة خاصة فإنه بذلك يعطى الفرصة  
لاصحاب العقائد المنحرفة للهجوم على السنة وعلى المستمسكين بها ،  
وتلقين العامة أفكارًا خاطئة عن كل من يدافع عن الاسلام بصدق .

أقول هذا لمناسبة لقاء جمعنى مع بعض الاخوة الكرام الذين  
أرادوا أن يعرفوا شيئًا عن موقف السنة من المذاهب والطوائف التى  
تنتمى الى الاسلام ، وبعد نقاش طويل سألتنى واحد منهم هذا السؤال:  
لماذا يكره أهل السنة الاولياء الصالحين بما فيهم آل بيت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ؟

قلت لحدثى : أستغفر الله ! ان كراهية آل بيت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وسائر الصالحين شيء فظيع نعوذ بالله منه ، ولا يمكن  
أن تكون هذه الكراهية الا فى قلب عدو من أعداء الاسلام .

ولكن الامر ليس مسألة الحب أو الكره ، فحب آل البيت والصالحين  
شئ ، وما يفعله الكثير من الناس باسم هذا الحب شئ آخر ، وتلك هى  
القضية .



### مسألة الحب لا خلاف عليها ...

\* فنحن نؤمن حقًا بما جاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنه عانق الحسن بن على رضى الله عنهما وقال  
( اللهم انى أحبه ، فأحبه ، وأحبه من يحبه ) .

\* ونحن نؤمن حقا بما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف على بن أبي طالب على المدينة في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال : ( أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ غير أنه لا نبي بعدى ) •

ولكن ما نعترض عليه أن تتعلق سائر فرق الشيعة بهذا الحديث ، فتعتقد أن الخلافة كانت حقا لعلي وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصى له بها ، حتى ان احدى فرقهم وهى فرقة الروافض كفرت سائر الصحابة لانهم وافقوا على خلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم جميعا .

\* ونحن نؤمن حقا بما جاء في الحديث الصحيح عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بأهل بيته وقال ( أذكركم الله في أهل بيتى ) وكررها ثلاثا •

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوصى بأل بيته لم يقل للناس اتخذوهم وسطاء بينكم وبين الله ، ولم يقل لهم اسألوهم تفريج الكربات ، ولم يقل ادعوهم من دون الله •

\* ونحن نؤمن حقا بما جاء في الحديث القدسى عن رب العزة ( من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ) ولكن الله سبحانه يقول بعدها مباشرة ( وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى من أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه • • • ) فبعد الحديث عن الاولياء يبين لنا ربنا تبارك وتعالى طريق التقرب اليه وهو أداء الفرائض ثم النوافل ، حتى لا يفهم أحد من الناس أن التقرب الى الله يكون عن طريق الاولياء •

\* \* \*

وكما قلت من قبل : مسألة الحب لا خلاف عليها • • •

\* \* \*

ولكن ما يفطه الناس باسم هذا الحب • • • هو المهم •

\* رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من اتخاذ القبور مساجد ، فيقول :

— ( قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ) •

— ( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ) ،  
قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ( فلولا ذلك لابرز قبره غير أنه  
خشى أن يتخذ مسجدا ) •

— ( ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وضالحيهم مساجد ،  
ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، انى أنهاكم عن ذلك ) •

— ( اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم  
اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ) •

— ( ان من شرار الخلق عند الله من تدركهم الساعة وهم أحياء  
والذين يتخذون على القبور مساجد ) •

الرسول صلى الله عليه وسلم يقول هذا . . .

والمسلمون لا يباليون ، وكان الامر لا يعينهم ، فترى مساجدهم  
أقيمت على القبور ، وحجتهم فى ذلك حب هؤلاء المقبورين •

\* الله عز وجل يقول فى القرآن الكريم ( وأن المساجد لله فلا تدعوا  
مع الله أحدا ) وكثير من المسلمين لا يهتم ، ولا يقيم لذلك وزنا . . .  
يدعون غير الله ، يستغيثون بالموتى ، مددا يا فلان ، نظرة يا فلانة •

\* الله تبارك وتعالى يقول ( والذين تدعون من دونه ما يملكون من  
قطمير ، ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ،  
ويوم القيامة يكفرون بشرككم ) •

الله يقول هذا ، وكثير من المسلمين يقولون : لا — انهم يسمعوننا

ويلعبون ندائنا ، فيلونون بقبورهم هاتفين ضارعين •

\* رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

( لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى ) .

ولكن كثيرا من الذين ينتسبون الى الاسلام لا يعبأون بهذا الحديث — حتى مع علمهم به — ويشدون الرحال الى كل المساجد ذات القبور تعظيما لهؤلاء المقبورين : يطوفون بقبورهم — مع أن الطواف عبادة لم تشرع الا حول الكعبة — وينذرون لهم — مع أن النذر لغير الله شرك — ويقيمون لهم الموالد — مع أنها أعياد الجاهلية — بما فيها من مباءات ومفاسد يندى لها جبين المسلم الغيور على دينه .

وهكذا . . . ما من شيء جاء به الاسلام الا غيروه وبدلوه باسم حب الصالحين . . .

\* \* \*

تلك هي القضية . . .

مسألة حب الصالحين — أحياء وأمواتا — لا خلاف عليها . . .

انما القضية هي ما يفعله الكثير من الناس باسم هذا الحب . . . أن لم يكن شركا كما سماه ربنا سبحانه في القرآن الكريم فماذا يكون ؟

ان الدعاة الى الله يتحملون هذه المسؤولية الكبرى ، ابلاغ الناس دعوة التوحيد ، وكما قلت في أول هذه الكلمة : اذا لم يحسن الداعي الى الله عرض قضايا التوحيد بصفة خاصة فانه بذلك يعطى الفرصة لاصحاب العقائد المنحرفة للهجوم على السنة وعلى المستمسكين بها وتلقين العامة أفكارا خاطئة عن كل من يدافع عن الاسلام بصدق .

ان الطريق الى الله واضح كل الوضوح ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ) صدق الله العظيم .  
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه : عن تراجم حشاد

٢ - سورة البقرة

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداءا وأنتم تعلمون (٢٢) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (٢٣) فإن لم تفتلوا ولن تفتلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (٢٤) وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون (٢٥)

في هذه الآيات الخمس من آخر الربع الأول في سورة البقرة تسمع نداء قويا موجها إلى العالم كله ، وإلى الناس كافة بثلاثة مطالب :

- ١ - عبادة الله وحده ، وعدم الاشراف به .
  - ٢ - الايمان بكتابه الذي نزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم .
  - ٣ - اتقاء أليم عذابه ، وابتغاء جزيل ثوابه .
- وهذه المطالب الثلاثة هي الأركان الثلاثة للعقيدة الاسلامية .  
فرسالة الانسان في هذه الارض أن يعبد الله الذي خلقه فسواه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ،

ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون : ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين (١) » .

« يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون »  
والعبادة فى الاسلام — وهى طاعة الله طاعة مصحوبة بأقصى الخضوع ، والتذلل القلبي ، الممزوج بغاية الحب النفسى (٢) — تشمل الدين كله ، والحياة كلها .

لقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله — عن قول الله عز وجل : « يأيها الناس اعبدوا ربكم » : ما العبادة ؟ وما فروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟ فأجاب — رحمه الله — عن ذلك اجابة مبسطة مفصلة تضمنتها رسالته المعروفة باسم « العبودية » وقد بدأها بقوله :

« العبادة : هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث وأداء الامانة ، وبنو الوالدين وصلة الارحام ، والوفاء بالعهود ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان للنجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة » .

« وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والانابة اليه ، واخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك هى من العبادة لله » ا ه .

وقد بسطت القول فى هذا الركن الاول من أركان العقيدة الاسلامية ، وفى تفسير هاتين الآيتين الكريمتين : الحادية والعشرين ، والثانية والعشرين من سورة البقرة فى العدد السابق من المجلة .

(١) الآيات من ٥٦ — الى ٥٨ من سورة الذاريات .

(٢) ص ٣٧ من تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت رحمه

الله ، وص ٤٩ من كتاب « العبادة فى الاسلام » للدكتور يوسف القرضاوى .

## الركن الثاني من أركان العقيدة الاسلامية : الايمان بالقرآن :

لقد كان اليهود يشككون في صحة رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي أن القرآن كلام الله ، وكان المنافقون يرتابون - كما ارتاب المشركون وشككوا في مكة وغيرها - فتحدى القرآن الجميع ، اذ كان الخطاب الى الناس كافة « يأيها الناس » تحداهم بتجربة واتعية تفصل في الامر بلا مما حكة :

« وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » .

ويبدأ هذا التحدي بلفتة لها قيمتها في هذا المجال - يصف الرسول - صلى الله عليه وسلم بالعبودية لله : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » .

ولوصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالعبودية في هذا الموضع دلالات متنوعة متكاملة :

فهو - أولا - تشریف وتقريب للنبي - صلى الله عليه وسلم - باضافة عبوديته لله تعالى ، دلالة على أن مقام العبودية لله هو أسمى مقام يدعى اليه بشر ، ويوصف به كذلك .

وهو - ثانيا - تقرير لمعنى العبودية في مقام دعوة الناس كافة الى عبادة ربهم وحده ، ونهيهم عن اتخاذ الأنداد كلها من دونه « يأيها الناس اعبدوا ربكم » « فلا تجعلوا لله أندادا » .

فها هو ذا النبي - صلى الله عليه وسلم - في مقام الوحي - وهو أعلى مقام : مقام الاصطفاء - يوصف بالعبودية لله ، ويشرف بهذه النسبة في هذا المقام .

أما التحدي - وهو مطالبة الناس بأن يأتيوا بمثله هذا القرآن ، أو بسورة من مثله - فقد ظهر فيه أثر مصطلح السجدة ( الم ) وما فيه من اشارة الى أن هذا الكتاب - مصطلح السجدة - الذي في آياته ،

فان كانوا في شك أنه من عند الله ، وأنه معجز للبشر ، فدوّنهم فليأتوا بسورة من مثله ، وليدعوا من يشهد لهم بهذا — من دون الله — فالله قد شهد لسبده بالصدق في رسالته •

وهذا التمدد ظل قائما في حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وبعدما ، وما يزال قائما الى يومنا هذا ، والى أن تقوم الساعة ، وهو حجة لا سبيل الى المماحكة فيها ، وما يزال القرآن يتميز من كل كلام يتوله البشر تميزا واضحا قاطعا ، وسيظل كذلك أبدا اذا ما عرفنا شيئا عن اعجاز القرآن •

### اعجاز القرآن :

لقد قامت الأدلة على أن هذا القرآن كلام الله الحكيم العليم ، وأن البشر عجزوا ويعجزون عن الاتيان بمثله ، وفي ذلك يقول الله — سبحانه : « قل، لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (١) » •

### وجوه اعجازه :

١ - بلاغة نظمه ، وسمو أسلوبه ، ومجيبته على نسق لم يسبق اليه ، ولم يأتق ، فليس يشبه شعر الشعراء ، ولا خطب الخطباء ، ولا كتابه الكتاب ، ويشهد لعلو أسلوبه أن الآية منه تأتي في أثناء كلام البشر فتتألأ في الكلام تتلأؤ النجوم في السماء ، ويظنر فضلها على ما قبلها وما بعدها •

وقد كانت هذه البلاغة سببا في اسلام الفصحاء من العرب ، كعمر بن الخطاب ، وجبير بن مطعم الذي وفد على الرسول — صلى الله عليه وسلم — ليكلمه في أسرى بدر ، فوجده يصلي ، ويقرأ سورة « الطور » فلما سمع قوله تعالى : « ان عذاب ربك لواقع ، ما له من



مدافع ، يوم تمور السماء مورا ، وتسير الجبال سيرا ، فويل يومئذ  
للمكذبين (١) « أخذ ببلاغته ، وأعلن اسلامه .

وممن شهد للقرآن بالبلاغة — الوليد بن المغيرة ، مع أنه مات كافرا ،  
فقد حدث قومه عن القرآن بقوله : « والله ما منكم رجل أعرف بالاشعار ،  
ولا أعرف برجز الشعر وقصيده مني ، والله ما يشبه الذي يقوله محمد  
شيئا من هذا ، وان لقبوله لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لثمر أعلاه ،  
مصدق أسفله ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه .

٢ — أنه أخبر بحوادث ماضية في القرون الخالية ، كقصة عاد  
وثمود ، وموسى وفرعون ، وغيرهم ، حدث عنها كما في كتب التاريخ ،  
والكتب السماوية ، وتحدث عن أمور مستقبلية وقعت كما ذكرها ، مثل :  
« ألم ، غلبت الروم ، في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ،  
في بضع سنين (٢) » وتضمن من الوعود ما تحقق ، مثل : « لقد صدق  
الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين  
مطلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون  
ذلك فتحا قريبا (٣) » .

ولا يمكن أن يكون هذا من عند الرسول — صلى الله عليه وسلم —  
فقد اختاره الله أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يجلس الى معلم ، حتى  
لا يوجد ما يدعو الى الشك في صدق رسالته ، وهو ما يشير اليه قوله —  
عز وجل — : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا  
لارتاب المبطلون (٤) » .

٣ — اشتمال القرآن على الاسرار الكونية ، والحقائق العلمية ،  
التي لا يزال العلم يكشف كل يوم منها جديدا يقطع بأن هذا القرآن

(١) الآيات من ٧ — الى ١١ من سورة الطور .

(٢) الآيات من ١ — الى ٤ من سورة الروم .

(٣) آية ٢٧ من سورة الفتح .

(٤) آية ٤٨ من سورة العنكبوت .

من عند الله الذى أحاط بكل شىء علما ، وليس من عند أحد من الناس ،  
فان هذه الحقائق العلمية لم تكن معروفة فى الماضى ، حتى توصل اليها  
العلماء فى العصور التالية ، وكان فى القرآن ما يوجه الأنظار اليها .

ومن ذلك ما أرشد اليه القرآن من اختلاف بصمات الأصابع فى  
قوله تعالى : « أيجب الانسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على  
أن نسوى بنانه (١) » مما يوجه الأنظار الى قدرة الله سبحانه وحكمته  
فى خلق البنان بصور مختلفة من انسان الى انسان ، مما ترتب عليه  
اختلاف البصمات ، وهو ما عرف أخيرا ، وأصبح وسيلة فى التعرف  
على الأشخاص ، والتمييز بينهم ، وكشف المجرمين .

وإذا كان القرآن قد اشتمل فى بعض آياته على هذه الحقائق العلمية  
فليس معنى هذا أنه كتاب علمى جاء ليعلم الناس الحقائق العلمية ، فان  
القرآن كتاب هداية وتشريع ، يجب الايمان الى الناس ، ويزينه فى  
قلوبهم ، ويرسم لهم مناهج صلاح الحياة الدنيا ، وسعادة الحياة  
الآخري .

وانما جاءت هذه الحقائق العلمية لتوجيه الأنظار الى قدرة الله -  
سبحانه - وحكمته ، والدلالة على صدق رسوله ، وفتح الابواب أمام  
العقول ، لتبحث عن أسرار هذا الكون البديع .

٤ - اشتمال القرآن على الشريعة الاسلامية التى تنظم أحكامها  
جميع العلاقات الانسانية تنظيما دقيقا محكما ، يحقق خير الناس  
وصلاحهم ، فان هذه التشريعات القرآنية غير المسبوقة لا يمكن أن تكون  
من وضع بشر ، وبخاصة فى هذا الزمن السحيق .

٥ - بقاء القرآن وخلوده محفوظا مرتلا دون تحريف أو تبديل ،  
يدل على أنه من الله الذى ضمن له الحفظ : « انا نحن نزلنا الذكر واننا  
له لحافظون (٢) » وهو أمر لم يتحقق لأى كتاب ظهر فى الوجود .

عنتر أحمد حشاد

(١) الأيتان ٣ و ٤ من سورة القيامة .

(٢) آية ٩ من سورة الحجر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه : عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

« وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين (٢٣) فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين (٢٤) وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون (٢٥) » .

في الآيتين السابقتين دعا الله الناس الى عبادته ، وعدم الاشراف به ، ولفت أنظارهم الى آيات رحمته وقدرته ، فهو وحده الخالق الرازق ، خلقهم وآبأهم ، وأوجدهم من العدم ، وأمدهم بوسائل الحياة والبقاء من الارض والسماء ، والخالق الرازق حقيق أن يعبد وحده .

وفي هذه الآيات برهن لهم على أنه هو الذي دعاهم ، فالقرآن الكريم كلامه ، وما محمد - عبده - الا مبلغ دعوته وما نزل عليه من ربه ، منذر للكافرين ، مبشر للمؤمنين الذين يعملون الصالحات .

قال جل ثناؤه ، وتباركت الآؤه : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فائقوا بسورة من مثله » أي : ان كنتم في شك من القرآن الذي نزلناه على عبدنا محمد ، أي : في شك من أنه منزل من عندنا ، وزعمتم أنه من قول البشر ، فما أنتم هؤلاء من البشر ، وهأنتم هؤلاء أرباب البلاغة والفصاحة فائقوا بسورة من مثل هذا القرآن في البلاغة

وحسن النظم ، وتضمن مصالح الدنيا والآخرة ، « وادعوا شهداءكم من دون الله » وادعوا من يشهد لكم بهذا — من دون الله — فالله قد شهد لعبده بالصدق في دعواه .

« ان كنتم صادقين » في دعواكم أن القرآن كلام البشر ، وليس من عند الله .

ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبودية لله ( عبدنا- )  
تشریف له ، وتنويه بشأنه .

والسورة : مجموعة من الآيات لها اسم أو أسماء خاصة بها ، وأقصر سورة في القرآن عدد آياتها ثلاث .

وسبب تحديدهم بهذه الآية وأمثالها (١) : أنهم قالوا : « لو نشاء لقلنا مثل هذا (٢) » ولما نزل القرآن منجما حسب الحوادث ، ولم ينزل جملة واحدة لم يعجبهم هذا ، وقالوا : « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة (٣) » فجعلوا نزوله منجما حسب الوقائع دليلا على أنه ليس من عند الله .

وقال بعضهم في أحاديثهم عنه : انه أساطير الاولين ، وزعم آخرون : أنه سحر ... تخبط منهم ناشئ عن اصرارهم على الكفر ، فهم يلتمسون العلل الباطلة لبقائهم على دينهم ، ولحمل المؤمنين على ترك الاسلام . فلا جرم أن تنزل هذه الآية لتحديدهم فيما زعموه ، حتى اذا ما عجزوا وجب اعترافهم بأن القرآن من عند الله ، وأن المنزل عليه هو نبي الله ورسوله . فهذا التحدى يستهدف اثبات أن القرآن من عند الله لا من قول البشر ، وأن محمدا صادق في أنه رسول من عند الله ، ويقطع معذرة من لم يستجب لدعوة الله ، لأنه بعد أن أقام سبحانه دليل القاطع الواضح على أن ما يدعو اليه حق ، وعلى أن الدعوة هي من عنده بالحق — لا عذر لمن لا يستجيب لدعوته .

(١) « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » الطور : ٣٤ « فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » هود : من آية ١٣ « فأتوا بسورة مثله » يونس : من آية ٣٨ .

(٢) الفرقان : من آية ٣٢ .

(٣) الانفال : من آية ٣١ .

ومعنى آية التحدى هذه اجمالا : ان كنتم — أيها الكفرة — صادقين في دعواكم : أن القرآن من كلام البشر — وأنتم من البشر — فأتوا بسورة مثل هذا القرآن : في بلاغته وفصاحته ، ومعناه وأحكامه ، وقد أنزل القرآن عربيا ، فهو من لغتكم ، لا من لغة تجهلونها ، والعربية مجال تنافسكم وتسابقتكم في المحافل العربية .

ولو كان مقدورا لهم لفعلوا ، والأذاعوا به ، وأشاعوه ، ولم يثبت شيء من ذلك عنهم . وبذلك ثبت عجزهم المطلق . واذا عجزوا — وهم الفصحاء البلغاء — كان غيرهم أعجز .

« فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ... » الآية .

( ان ) الشرطية — هنا — مستعملة لليقين (١) ، اذ لم يأت واحد منهم — فعلا — بسورة من مثل القرآن ، و ( لن ) في ( ولن تفعلوا ) من الآية انما هي لنفى الفعل المستمر في المستقبل الى الابد . وذلك من معجزات القرآن ، اذ لم يقع منهم أنهم أتوا بسورة مثله .

« فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

أى : فارجعوا الى الصواب ، واعترفوا بأن القرآن معجز ، وأنه من عند الله ، وآمنوا به ، وبما جاء فيه ، واتقوا بذلك عذاب النار التي أعدت وهيئت للكافرين .

ووصف النار بأن وقودها الناس والحجارة كما جاء في قوله عز وجل :

« انكم وما تعبدون من دون الله حصب (٢) جهنم (٣) » .

فالناس الذين هم وقودها : هم الكفار ، والحجارة : حجارة الاصنام

(١) ( ان ) الشرطية بكسر الهمزة وسكون النون غالب استعمالها للشك كما في قوله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » بخلاف ( اذا ) الشرطية هاتئنا لليقين .

(٢) حصب النار : ما يرمى فيها وتهيج به وهو وقودها .

(٣) سورة الانبياء من آية ٩٨ .

انتي كانوا يعبدونها تجعل وقودا للنار معهم ، اهانة لهم ولما كانوا  
بعبدون •

وفي الآية من التحذير ما لا يستطيع عاقل أن يتجاهله ، وفيها دليل  
على أن النار مخلوقة موجودة من قبل نزولها •

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من  
تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من  
قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » •

تبشير في مقابل الانذار السابق للترغيب والترهيب ، والتبشير :  
الاخبار بما يسر ، والانذار : الاخبار بما يسوء • وأما قوله تعالى :  
« فبشرهم بعذاب أليم » فهو للتهكم والاستهزاء • والرسول صلى الله  
عليه وسلم — بشير ونذير : بشير للمؤمنين بأن لهم الجنة ، ونذير  
للكافرين بأن لهم النار •

أمر الله رسوله أن يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن  
لهم في الحياة الآخرة جنات •

والجنة : كل بستان ذي شجر متكاثف ، ملتف الاعصان ، يظل  
ما تحته ويستتره من الجن (1) ، وهو ستر الشيء عن الحاسة • وهي —  
في استعمال القرآن الكريم — دار الثواب للمؤمنين •

واذا روعى أنها كلها دار مثوبة أفردت ، ففصيل : ( جنة ) واذا  
روعى أنها عدة أماكن مرتبة حسب درجات العاملين جمعت ، ففصيل :  
( جنات ) ولهذا نجد في القرآن ( بأن لهم الجنة ) و ( أن لهم جنات ) •

وهي سبع درجات : جنة الفردوس ، وجنة عدن ، وجنة النعيم،  
ودار الخلد ، وجنة المأوى ، ودار السلام ، وعليون • وتتفاوت منازل  
المؤمنين في كل درجة بتفاوت الاعمال الصالحة •

وقد دلت الآية الكريمة على أن هذه الجنات أعدت للذين آمنوا

(1) الجن : بفتح الجيم •

وعملوا الصالحات ولم تصرح بما آمنوا به للدلالة على أنهم آمنوا بكل ما يجب الايمان به : بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر كله : خيره وشره . والصالحات : هي الاعمال المستقيمة التي تصلح لشئون الناس في الدنيا والآخرة حسبما بينها الله ورسوله .  
والتبشير بالجنة انما هو لمن قرن ايمانه بالعمل الصالح الذي يقتضيه الايمان ، فأما المؤمن بلا عمل صالح ، والعامل الصالح بلا ايمان فليس من المبشرين بالجنة .

ويستدل بالآية على أن مفهوم الايمان لا يدخل فيه العمل الصالح ، ولكنه لا بد منه لحسن الجزاء ، فان الايمان وهو التصديق كالاساس ، والعمل الصالح كالبنیان فوقه . ولا يكفي أساس من غير بنیان ، كما لا يعيش بنیان بغير أساس ، لانه معرض للانهار .  
وقد وصف الله الجنات بأربع صفات ، كل صفة منها تحببها الى النفس ، وترغب في العمل لها .

الصفة الاولى : أنها « تجري من تحتها الانهار » أى أن نخيلها وأشجارها تتخللها أنهار تجرى فيها المياه ، وأنزه البساتين ، وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظلمة ، والانهار في خلالها مطردة .

وهذا الوصف كما يدل على حسن المنظر يدل على جودة الثمر ، لان أخصب الاشجار وأجودها ثمرا النابتة على شواطئ الانهار .  
والانهار الجارية فيها المياه بأرض الجنة تجرى من تحت أشجارها ، وتجرى من تحت أهلها ، ولهذا تنوع التعبير عن هذا في القرآن : « تجري من تحتها » « تجري من تحتهم » .

الصفة الثانية : أنها « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها » .

والمعنى : كلما رزقوا من الجنات من أى ثمرة كانت : من تفاحها ، أو رمانها ، أو عنبها رزقا قالوا هذا الرزق هو مثل الرزق الذى رزقناه

من قبل ، وإنما قالوا : « هذا الذى رزقنا من قبل » ولم يقولوا : هذا مثله ، مبالغة فى المشابهة والمماثلة حتى كأنه هو « وأتوا به متشابها » : أى أنعم الله عليهم به رزقا متشابها متماثلا : فى جمال منظره ، وطيب رائحته ، وحسن غذائه ، ولذة طعمه ، فهم لا يجدون فى ثمرة مرارة ، وفى أخرى حلاوة ، ولا يجدون ثمرة ناضجة ، وأخرى فجة ، بل يرزقون فيها رزقا متشابها متماثلا فى حسنه واشتهائه والمتعة به .

الصفة الثالثة : أنها « لهم فيها أزواج مطهرة » أى للرجال الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى تلك الجنات زوجات مطهرة ، أى منقاة ومصفاة ومبرأة مما يشين زوجات الدنيا من نقائص بدنية أو خلقية ، مطهرة مما يستقذر من نساء الدنيا : كالحيض وندس الطبع ، وسوء الخلق والافتذار ، وسائر الصفات الخلقية والخلقية التى تنغص الحياة الزوجية فى الدنيا .

الصفة الرابعة : أنها « هم فيها خالدون » فالمؤمنين الذين يعملون الصالحات لا ينغص عليهم نعيمهم فى الجنات — الخوف من زواله بانقضاء أمده ، لانه نعيم باق دائم ، وهم فى الجنة خالدون ، أى باقون دائمون فى نعيمهم .

ومما تجدر الاشارة اليه أن آيات الجنة ونعيمها تفهم على حقيقتها، خلافا لمن يظن أن الجنة وما وصفها الله به ، وما ذكره سبحانه من سررها وحوورها ، وولدائها وفاكحتها ، ولحمها وخمرها كناية عن أن دار النعيم فيها متعة ، وصورت هذه المتعة لأهل الدنيا بما يتصورون من تلك المتع : من طعام وشراب ولباس وفرش وأرائك .

والاصل أن تفهم الالفاظ على حقيقتها ، ولا تصرف عن معانيها الحقيقية الا اذا دل دليل على صرفها عنها ، ولم يقم دليل على استحالة فهم آيات الجنة ونعيمها على حقيقتها ، فالنعيم الذى وصفه الله — هو كما وصفه ، وهو سبحانه القادر على كل شىء ، وهو الذى بدأ الخلق ، وأسبغ على خلقه النعم ، وهو الذى يعيده ، ويمن على خلقه بما يشاء من الفضل والكرم .

عنتر حشاد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه : عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا (١) يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين (٢٦) الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون (٢٧)

سبب نزول هاتين الآيتين الكريمتين ما روى : أن الله تعالى لما ضرب هذين المثليين للمنافقين (٢) : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا (٣) » « أو كصيب من السماء » (٤) - قال المنافقون : « الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الامثال » .

وما روى أيضا عن اليهود (٥) من قولهم - لما ذكر الله العنكبوت والذباب مثليين لضعف الاولياء التي تدعى وتعبد من دون الله (٦) - :

(١) فما بعده من كلام الله اجابة عن كلام الكافرين .

(٢) أو للكفار والمنافقين على الخلاف الموضح في ص ٣ من عدد شوال

٩٧ من المجلة .

(٣) في الآيتين ١٧ و ١٨ من السورة . (٤) في الآيتين ١٩ و ٢٠ .

(٥) وفي رواية « عن المشركين » وهي ضعيفة ، لان الآية مدنية نزلت

بعد الهجرة .

(٦) في آية ٤١ من سورة العنكبوت ، وآية ٧٣ من سورة النج .

« ما بال عنكبوت والذباب يذكران ؟ » فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَاتَيْنِ الْآيَاتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ :

« ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما ••• » الى قوله سبحانه :  
« أولئك هم الخاسرون » •

يصف طريقة القرآن في هدايته بعد أن وصفه — أول السورة —

بأنه هدى ••• « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (١) » •  
فمن سنة الله في القرآن أن يستخدم في البيان ضرب الامثال تقريبا  
وتوضيحا لما يجب أن تتفعل به النفوس ، وتؤمن به القلوب (٢) •••  
ضرب مثلين للمنافقين ، وضرب الشجرة الطيبة مثلا للكلمة الطيبة ،  
والشجرة الخبيثة مثلا للكلمة الخبيثة (٣) ••• وضرب الذبابة والعنكبوت  
مثلا للشغفاء والاولياء الذين اتخذهم المشركون معبودات ليقربوهم  
الى الله •

وفي هاتين الآيتين يقرر الله تعالى أنه لا يمتنع من ضرب الامثال

بما يوضح ويبين ، دون نظر الى قيمة المثل به في ذاته ، أو عند الناس :

« ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » •

فالقرآن الكريم في هدايته يضرب الامثال كلها ، ويبين الحقائق :

حلوها ومرها ، واضعا كل شيء في موضعه ، مسميا له باسمه ، لا يبالي  
أن يتناول في بيانه جلائل الامور أو محقراتها « ولقد ضربنا للناس في  
هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ، قرأنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم  
بتقون (٤) » « وتلك الامثال نضربها للناس لعلمهم يتفكرون (٥) » « ولقد  
صرفناه (٦) بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا (٧) » « ولقد  
صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا (٨) »

(١) الآية ٢ •

(٢) ارجع الى ص ٣ ، ٤ من عدد رمضان ٩٧ من المجلة •

(٣) الآيات من ٢٤ — الى ٢٦ من سورة ابراهيم •

(٤) الآيتان ٢٧ و ٢٨ من سورة الزمر •

(٥) من الآية ٢١ من سورة الحشر •

(٦) صرفنا القرآن وكررنا فيه العبر بأساليب مختلفة •

(٧) آية ٥٠ من سورة الفرقان • (٨) آية ٨٩ من سورة الاسراء •

« ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلاً (١) » « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (٢) » .

فالله — عز وجل — لا يمتنع من أن يضرب الامثال ، كيفما كانت « بعوضة (٣) فما فوقها (٤) » فان في ضرب المثل ابرازا للمعقول في صورة المشاهد المحس ، ليساعد على الفهم .

وقد شاعت الامثال في الكتب الالهية ، وعبارات الحكماء والبلغاء لذلك ، يمثل الحقير بالحقير ، كما يمثل العظيم بالعظيم ، ولا يقدر هذا التمثيل في عظمة من قاله . ومن كلام العرب : « أسمع من قراد ، وأطيش من فراشة » ولا شك أن قدرة الله تتجلى في كل ما خلق ، فهو رب الصغير والكبير ، وخالق البعوضة والفيل ، وفي البعوض والذباب والعنكبوت من دلائل القدرة ، وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول ، ويشهد بحكمة الخالق . . . . على أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل ، انما الامثال أدوات للتنوير والتبصير ، وليس في ضرب الامثال ما يعاب ، وما من شأنه الاستحياء من ذكره ، فليس الحياء بمانع لله تعالى من ضرب الامثال بهذه المخلوقات الصغيرة في نظركم .

وفي الآية : « ان الله لا يستحيى » اشعار بصحة نسبة الحياء الى الله تعالى ، وقد جاء ذلك صريحا فيما رواه سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان ربكم حيي كريم ، يستحي من عبده اذا رفعوا أيديهم اليه أن يردھا صفرا » . ومذهب السلف : أمرار هذا وأمثاله على ما ورد ، وتفويض العلم بحقيقته وكيفيته الى الله تعالى ،

(١) آية ٥٤ من سورة الكهف .

(٢) آية ٤٣ من سورة العنكبوت .

(٣) البعوضة : واحدة البعوض ، وهو ما يعرف في مصر بالناموس .

(٤) فما فوقها في الحجم كالذباب والعنكبوت ، أو فوقها في المعنى وهو

الصفير والحقارة ، أي فما هو أصغر وأحقر من البعوضة .

مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدثات ، واختاره  
الأكوسى .

\* \* \*

وفي الامثال أيضا اختبار للقلوب ، وامتحان للنفوس « فأما الذين  
آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ما ذا أراد  
الله بهذا مثلا ؟ » .

فالناس أمام هذه الامثال فريقان : فريق يفهم القصد الذى ترمى  
اليه ، ويكون لها أثرها الحسن فى نفوسهم ، وفريق يتعلق باسم الحيوان  
الذى ضرب به المثل ، ولا ينظر الى المعنى المقصود ، فيتساءل متعجبا ،  
مستهزئا ، منكرا : ما ذا أراد الله بهذا مثلا ؟ ! ... ويتخذ ذلك سبيلا  
لايقاع الشك فى قلوب الناس .

الفريق الاول : هم المؤمنون الذين يتلقون كل ما يصدر عن ربهم  
بما يليق بجلاله ، وبما يعرفون من حكمته ، يعلمون أن المثل هو الحق  
الثابت من ربهم الذى يضرب الامثال ، ليعينهم على فهم المعانى  
الصحيحة .

وفي القرآن الكريم بضعة وأربعون مثلا ، كان بعض السلف يبكى  
إذا لم يفهم أحدها ، ويقول : « لست من العالمين » مشيرا الى قوله عز  
وجل : « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (١) » .

والفريق الثانى : هم الكافرون المحجوبون عن نور الله وحكمته ،  
الذين قطعت صلتهم بسنة الله وتدييره يسألون : « ماذا أراد الله بهذا  
مثلا » سؤال من لا يرجو لله وقارا ، ولا يتأدب معه الادب اللائق بالعبد  
أمام فعل الرب « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا » .

---

(١) ص ١١٦ من كتاب « من هدى السنة » للاستاذ على حسب الله  
رحمه الله ، والدكتور مصطفى زيد .

لهذا رد الله عليهم بقوله : « يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا » أي يضل بهذا المثل كثيرا من الناس مثلهم ، ممن ساء اختيارهم ، وأظلمت قلوبهم ، ويهدى به كثيرا ممن حسن اختيارهم ، واستنارت قلوبهم .

والاضلال : خلق الضلال في العبد لسوء اختياره ، وتركه ونفسه يختار ما يشاء كما اقتضته سنته في نظام هذه الدنيا من ألا يجبر أحدا على شيء ، وليس معناه : أنه يخلق الضلال في العبد خلقا قهرا عنه ، فتكون أفعاله وحركاته كحركة الدم في الجسم ، وعمل المعدة في الهضم لا دخل له فيها ، ولا يستطيع الخلاص منها .

والهداية : خلق الهداية في العبد لحسن اختياره ، بأن يوفقه للانتفاع بعقله وسمعه وبصره لسلامة طبعه ، ونظافته من الامراض المميتة للقلوب .

ووصف كل من المؤمنين والكافرين بالكثرة — لا ينافي أن أهل الضلال أكثر عددا من أهل الهداية ، قال تعالى في المؤمنين : « ... وقليل ما هم (١) » « وقليل من عبادي الشكور (٢) » .

واضلال الله تعالى للضالين لا يعفيهم من أن يتحملوا تبعه ضلالهم ، لان الانسان اذا سلك — باختياره الفاسد — طريق الكفر والفساد ، وسار فيه الى أقصى نهايته ، غير مكترث بالتحذير منه — يتركه الله في ضلالته ، لانه سلك سبيلها ، وأوغل فيها مختارا « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا (٣) » « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم (٤) » « وما ربك بظلام للعبيد (٥) » . أما من اتبع الهدى ، ولبس لباس التقوى

(١) من آية ٢٤ من سورة ص .

(٢) من آية ١٣ من سورة سبأ .

(٣) من آية ٧٥ من سورة مريم .

(٤) من آية ٥ من سورة الصف .

(٥) من آية ٤٦ من سورة فصلت .

فان الله تعالى يهديه : « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم(١) »  
« ومن يؤمن بالله يهد قلبه (٢) » (٣) •

وقوله تعالى : « وما يضل به الا الفاسقين » من تمام الجواب عن  
سؤالهم ، وهو يفيد الصاق وصف الفسق بهم •

والفسق : الخروج عن الطاعة (٤) ، ويقع الفسق بالقليل والكثير  
من الذنوب ، ولكن تعورف فيما كان كثيرا ، وهو أعم من الكفر ، فيقال  
للعاصي : فاسق ، ومنه الكاذب ، كما قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا  
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (٥) » ، ويقال للكافر أيضا : فاسق ، كما قال  
تعالى : « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا (٦) » وذلك لخروجه عما ألزمه  
العقل ، واقتضته الفطرة •

والله نسأل أن يوجب الينا الايمان ، وأن يزيينه في قلوبنا ، وأن  
يكره الينا الكفر والفسوق والعصيان ، وأن يهدينا بالقرآن ، انه سميع  
الدعاء •

### عنتر حشاد

- 
- (١) آية ١٧ من سورة محمد •
  - (٢) من آية ١١ من سورة التغابن •
  - (٣) أرجع الى ص ٤ من عدد شعبان ٩٧ ، وص ٦ من عدد جنادى  
الاولى ١٣٩٧ من المجلة لترى سنة الله في الضالين ، والمهتدين •
  - (٤) من قولهم فسق كل ذى قشر اذا خرج عن قشره ، يقال : فسقت  
الرطوبة عن قشرها ، وفسقت الفأرة عن جحرها فسقا ، وفسوقا •
  - (٥) من آية ٦ من سورة الحجرات •
  - (٦) من آية ١٨ من سورة السجدة •

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه : عن تراجم حد حشاد

• - سورة البقرة

« ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين (٢٦) الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون (٢٧) كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم يرجعون (٢٨) هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم (٢٩) » •

انتهينا من تفسير الآية الاولى (١) في العدد السابق ، وعرفنا معنى المثل ، والغرض منه ، وعدد الامثال في القرآن الكريم ، وموقف المؤمنين ، والسلف الصالح - رضوان الله تعالى عليهم - من هذه الامثال ، وموقف الكافرين منها ، وتشكيكهم في القرآن الكريم ، وأن الله تعالى قد وصفهم بالفسق - وهو الخروج عن طاعة الله سبحانه - لعدم ايمانهم بالقرآن ، كتاب الله المعجز (٢) •

(١) آية ٢٦ (٢) راجع اعداد ١٠ و ١١ من المجلد الثالث ، و ٩ من المجلد الخامس ، و ٢ من المجلد السادس •

وفي هذه الآيات (١) يصفهم الله تعالى أيضا بصفات ثلاث : نقض العهود ، ومنها عهد التوحيد والهداية ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ومنه رسالات الله المتتابعة ، والافساد في الارض ، ومنه الكفر ، وصد الناس عن دين الله ، ويسجل عليهم الخسران ، اذ يقول : « أولئك هم الخاسرون » ثم يعجب (٢) من كفرهم ، وينكره عليهم ، وينكر عليهم استمرارهم على هذا الفسوق مع وضوح دلائل التوحيد والايمان في أنفسهم : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم اليه ترجعون » ووضوحها في الآفاق « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » .

وبعد هذا الاجمال نعود الى الآيات بشيء من التفصيل :

### صفات الكافرين الفاسقين :

١ - نقضهم (٣) عهد الله من بعد ميثاقه (٤) : هؤلاء الفاسقون (٥) ينقضون ما عاهدوا الله عليه من بعد ما وثقوه بالقبول والالتزام ، أو من بعد ما وثقه الله بانزال الكتب وارسال الرسل .  
والعهد : اسم للموثق الذي يلزم مراعاته وحفظه . يقال : عهد اليه في كذا اذا أوصاه به ووثقه عليه .

(١) الآيات من ٢٧ - الى ٢٩

(٢) بضم الياء وفتح العين وتشديد الجيم المكسورة .

(٣) النقض : فك المركب وحله ، وأصل استعماله في الحسيات ، كنقض البناء ( فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ) من آية ٧٧ من سورة الكهف ، ونقض الحبل والغزل ( ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ) من آية ٩٢ من سورة النحل . ويستعمل في المعانى مجازا ، ومنه : نقض الوضوء ، ونقض العهد . واستعماله في ابطال العهد وعدم الوفاء به - وهو أمر معنوي - تشبيها للعهد بالحبل في الارتباط ، لما فيه من ارتباط احد كلامى المتعاهدين بالآخر . (٤) الميثاق : التوثيق والاحكام (٥) والمراد بالفاسقين في الآية ٢٦ الكفار جميعا ، أو المنافقون ، أو ايجاب اليهود المتعنتون بدليل هذه الاوصاف



وعهد الله تارة يكون بما ركز في العقول ومن الحجة على التوحيد \*  
وتارة يكون بما أوجبه الله على الناس على لسان رسله صلوات الله وسلامه  
عليهم .

ويشمل عهد الله أيضا ميثاقه على النبيين أن يبلغوا أممهم وجوب  
الايمان بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ونصره اذا بعث مصدقا لما  
معهم . وهو المشار اليه بقوله : ( واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من  
كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه (١) )  
وميثاقه على الذين أوتوا الكتاب بمثل ذلك بقوله : « واذا أخذ الله  
ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه (٢) » .  
والعهد الذي يأخذه بعض الناس على بعض المشار اليه بقوله :  
« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم (٣) » .

وسواء أكان ذلك العهد بين الافراد ، أم الجماعات من الامة الواحدة  
أو بين الامم بعضها وبعض . فلا يجوز نقض هذه العهود الا فيما جاز  
شرعا . وقد أشار القرآن الكريم الى هذا في قوله لنبيه - صلى الله  
عليه وسلم - : « واما تخافن من قوم خيانة فانيذ اليهم على سواء (٤) »  
٢ - قطعهم ما أمر الله به أن يوصل : هذه هي الصفة الثانية من صفات  
الفاستقين الخارجين على أمر الله تعالى ، أى ويقطعون ما أمر الله بوصله  
من أمور الدين المختلفة .

ويدخل تحت هذا الامر : صلة الارحام ، وصلة الاقوال بالاعمال (٥)

(١) من آية ٨١ من سورة آل عمران

أخذ الله الميثاق من النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ، وأخذ العهد على كل  
نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره ان أدركه ، فان لم يدركه  
يأمر قومه بنصرته ان أدركوه ، فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ،  
ومن عيسى أن يؤمن بمحمد ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .  
واذ كان هذا حكم الانبياء كانت الامم بذلك اولى واخرى . وأصل الميثاق :  
العقد المؤكد باليمين (٢) من آية ١٨٧ من آل عمران (٣) من آية ٩١  
من سورة النحل (٤) من آية ٥٨ من سورة الانفال ، والمعنى : وان ظهرت  
لك من قوم امارات نقضهم عهدهم خيانة قبل ان يقطعوه بالفعل فاطرح اليهم  
عهدهم واعلمهم بذلك حتى تستويا في العلم بنية العهد (٥) « كبر مقتلا  
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » .

وصلة الايمان بجميع الرسل ، بحيث لا ينقطع هذا الايمان بالكفر بواحد من الرسل ، وكذلك صلة الاخوة بين المؤمنين ، وصلات المؤمنين بالمجتمع الانسانى ، ووصل أمور الدين بعضها ببعض ، اذ التهاون فى بعضها يضعف من قوة الدين ، فان بناء الاسلام قائم على أركانه كلها ، كالببيت يقوم على أعمدته ، وهدم ركن منها — أو جزء من تكوينه — يؤثر فى البناء كله .

٣ — افسادهم فى الأرض : الصفة الثالثة من صفات الفاسقين أنهم يفسدون فى الأرض بعد اصلاحها ، وقد صلحت بنشر دعوة الاسلام ، وضعف ما كان فيها من فساد الجاهلية ، فيكون من الافساد فى الارض : صد الناس عن الايمان بالرسول — كما يفعله الكافرون — والعمل على تهيج الحرب بين المؤمنين وغيرهم ، أو بين المؤمنين بعضهم وبعض ، كما يفعله المنافقون (١) ، وكما يفعله اليهود (٢)

هذه الصفات الثلاث هى التى وصفهم الله تعالى بها فى سورة الرعد أيضا بقوله : « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار (٣) » وهى فى مقابل صفات المؤمنين أولى الالباب الذين يعلمون أن ما أنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه هو الحق : « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويذرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار » (٤) .

- (١) وقد وصفهم الله بالافساد فى قوله : « الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » الآية ١٢ من سورة البقرة .  
 (٢) كما اشار الى ذلك القرآن الكريم فى قوله سبحانه : « يأبى الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » أى متفرقين . الآية ١٠٠ من سورة آل عمران .  
 (٣) آية ٢٥ .  
 (٤) آية ٢٠ و ٢١ و ٢٢ من سورة الرعد .

وهؤلاء الفاسقون — بما اتصفوا به من هذه الصفات — هم  
الخاسرون في الدنيا والآخرة ، لهم اللعنة ولهم سوء الدار ، وذلك باشتراكهم  
الضلالة بالهدى ، وباستبدالهم النقض بالوفاء ، والقطع بالوصل ، والعقاب  
بالثواب ، والشقاوة بالسعادة .

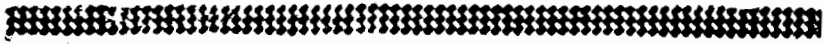
وعند هذا البيان الكاشف لآثار الكفر والفسوق في الارض ، وعاقبته من  
الخراب واللعنة وسوء الدار تعجب الآيات من كفر الفاسقين بالله المحيي  
الميت ، الخالق الرازق ، المدبر العليم ، وتكر عليهم . استمراهم على  
هذا الفسوق والكفر مع وضوح دلائل التوحيد والايان في أنفسهم :  
« كيف تكفرون (١) بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم  
ثم اليه ترجعون (١) » .

أى عذر لكم في الكفر بالله تعالى ، وعلى أى شبهة تعتمدون ، وحالكم  
في موتيتكم وحياتيتكم تأبى عليكم ذلك ، ولا تدع لكم عذرا فيه ؟ فكيف  
تجحدون وجوده ، أو تعبدون معه غيره ، وكنتم عدما فأخرجكم ؟ « أم  
خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والارض بل  
لا يوقنون (٢) » ثم يميتكم موة الحق ، ثم يحييكم حين يبعثكم ، وهى مثل  
قوله تعالى « قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا  
فهل الى خروج من سبيل (٣) » ثم اليه ترجعون ، وكما ذرأكم في الارض

(١) كان الأصل أن يقال : ( كيف يكفرون بالله وكانوا أمواتا فأحياهم ،  
ثم يميتهم ، ثم يحييهم ، ثم اليه يرجعون ) ولكن الاسلوب انتقل من حالة الغيبة  
الى حالة الخطاب ، لان الإنكار على المخاطب أبلغ من الإنكار على الغائب ،  
لما فيه من احضاره الى ساحة التعنيف ، ومواجهته بالإنكار ، وهذا  
ما يسميه علماء البلاغة ( الالتفات ) وأمثله كثيرة في القرآن الكريم .  
وكل ما جاء في الآية من الموتين ، والحياة الاولى يقربه الناس جميعا ،  
أما إنكار الكفار للبعث ( الحياة الأخرى ) فقد نزل منزلة العدم لقيام الدليل  
للعقل والنقل على امكانه وحدوثه ، ولهذا ذكره في الاحتجاج عليهم .  
والعطف بالفاء ( التى تفيد الترتيب والتعقيب ) ، وبثم ( التى تفيد الترتيب  
والتراخى ) قد وقع كل في موقعه ، بما في ذلك الرجوع الى الله عز وجل بعد  
البعث ، فانه يكون بعد الحساب وطول زمن الوقوف والانتظار .  
(٢) الآيتان ٣٥ و ٣٦ من سورة الطور .  
(٣) آية ١١ من سورة غافر .

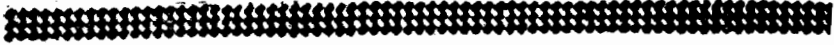
اليه تحشرون ، فينبئكم بما عملتم، ويحاسبكم على ما قدمتم، ويجازيكم به  
وكما اتضحت دلائل التوحيد والايمان في أنفسهم ، وفي نعمة خلقهم  
واحيائهم بعد الموت - تتضح في قدرته على ما هو أعظم ، في خلق الارض  
والسمااء وما فيهما من النعم التي يحتاج اليها العباد بعد خلقهم ، لان  
نعمة الخلق والاحياء لا تتم الا بخلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وعيشهم في  
الحياة الدنيا . ومن خلال هذه النعم يكون النظر المفيد المؤدى الى  
توحيد الله تعالى واخلاص العبادة له وحده ، فكل ما في الارض من  
أجزائها ومعادنها وعناصرها ، وكل ما على سطحها من حيوان وزرع  
وأشجار وماء وهواء أبدعه الله كله لمنفعتنا دنيا ودينا ، لننتفع به في شؤون  
معاشنا استترزاقا ، وفي شؤون معادنا شكرا واستدلالا : « ان في خلق  
السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب ، الذين  
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات  
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار (١) »  
« وهو بكل شيء عليم » « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

عنتر حشاد



عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كان يقول : ( اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ،  
واليك أنبت ، وبك خاصمت . اللهم أعوذ بعزتك لا اله الا أنت  
ان تصلني ، أنت الحى الذى لا تموت والجن والانس يموتون ) .

متفق عليه واللفظ لمسلم



(١). الأيتان ١٩٠ و ١٩١ من سورة آل عمران .



# قضية الموسى

سبق أن قام أحد المتطفلين على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأليف كتاب يطعن في كثير من الأحاديث التي جاءت في صحيح البخارى الذى اتفقت الأمة الاسلامية على أنه أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل . قام هذا المتطفل بالطعن في صحتها زاعماً أنها من الاسرائيليات .

وقد قامت مجلة « التوحيد » في حينه بتعريف قرائها بطلان هذا الزعم ، وقامت بنقد هذا الكتاب نقداً علمياً بينت فيه زيف وبطلان كل ما جاء به . فقام مؤلف الكتاب برفع دعوى جنائية وأخرى مدنية على كل من الاستاذ محمد عبد المجيد الشافعى رئيس تحرير المجلة الاسبق والاستاذ محمد سليمان محمد عثمان من علماء جماعة أنصار السنة المحمدية . الاول لانه سمح بنشر مقال للثانى ينقد فيه هذا الكتاب .

وقد حكمت المحكمة ببراءة كل منهما وألزمت المدعى مؤلف الكتاب بالمصاريف وأتعاب المحاماة ، فقام باستئناف الحكم . وللمرة الثانية يصدر الحكم بالبراءة والزام المدعى بالمصاريف ، وقررت في حيثيات الحكم أن ( المدعى عليهما مارسا حق النقد المباح شرعاً وقانوناً ولا يصل ما فعلاه الى حد الجرم المعاقب عليه قانوناً ، ومن ثم فلا خطأ . وإذا فقدت المسؤولية ركناً من أركانها وهو الخطأ فلا قائمة لها من بعد ) .

ومجلة « التوحيد » تنشر هذا النبأ منذرة كل من تغويه الشياطين بأن يكون خصماً للحديث النبوى الشريف أو ذليلاً لهؤلاء الخصوم ، تذرهم جميعاً بأنها لن تضعف أو تلين في الدفاع عن سنة النبى صلى الله عليه وسلم . والله المستعان .

رئيس التحرير

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه : عن تراجم حشاد

٢ - سورة البقرة

واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون (٣٠) وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم (٣٢) قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال ألم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبون وما كنتم تكتمون (٣٣) .

فى الآيات السابقة رأينا تعجيب الله من كفر الفاسقين ، واستمرارهم على هذا الفسوق مع وضوح دلائل التوحيد والايمن فى أنفسهم : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ؟ » وفى الآفاق : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم » .

وفى هذه الآيات تذكير الناس بخلق آدم عليه السلام ، واستخلافه هو وذريته فى الارض ليعمروها ، ويقيموا حدود الله ، وينفذوا أحكامه ، وينشروا العدل فيها ، اذ خلق الانسان مزودا بقوى العقل والادراك ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وزوده - كذلك - بقوى العمل فى هذه الحياة

« واذ قال ربك (١) للملائكة (٢) أني جاعل في الارض خليفة (٣) » .

ثم بما كان من الملائكة في الاستفسار عن الحكمة في خلق هذا النوع ،

(١) في وصف الربوبية ، واضافتها الى ضمير خطاب النبي عليه الصلاة والسلام - اشارة الى مقام التشريف من الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

(٢) الملائكة : جمع ملك ( بفتح اللام ) وهم جند من خلق الله ، فطهرهم على الطاعة ، واقدرهم على التشكل بأشكال مختلفة ، ولهذا كان الرسل يرونهم ، ووصفهم في القرآن الكريم بأوصاف كثيرة « ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون » « لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » « وهم من خشيته مشفقون » آيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة الانبياء « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » من آية ٦ من سورة التحريم ، ومن هذه الاوصاف أيضا انهم رسل الله ، يرسلهم بالوحى الى من اصطفاهم من خلقه للنبوة والرسالة « جاعل الملائكة رسلا » من آية ١ من سورة فاطر « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » من آية ٧٥ من سورة الحج « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » من آية ٢ من سورة النحل .

(٣) الخليفة : من يخلف غيره ، وينوب عنه ، والمراد به آدم وذريته ، لا آدم وحده ، بدليل قول الملائكة : « اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ » فهم خلفاء عن كانوا في الارض قبل خلقهم ، وكذلك يخلف بعضهم بعضا ، كما قال تعالى : « وهو الذي جعلكم خلائف الارض » من آية ١٦٥ ، الآية الاخيرة من سورة الانعام « هو الذي جعلكم خلائف في الارض » من آية ٣٩ من سورة فاطر .

والخليفة معنى آخر ، وهو : الحاكم ، ومنه قوله تعالى : « ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق » ويكون المعنى على هذا : ان الله سبحانه خلق لآدم وذريته ما في الارض جميعا ، وسخره لهم ، وجعلهم حكاما على الارض وما فيها ، لينشروا فيها العدل ، بما هداهم الله اليه من العلم ، ولينتقموا بما خلقه لهم .

واستغنى بذكر آدم عن ذكر ذريته لكونه الاصل .

وجمع خليفة : خلائف ، وخلفاء .

وهو — على ما يعلمون (١) — ذو شهوة وغضب ، بهما يفسد في الارض ، ويسفك الدماء ، وهم — في الوقت نفسه — يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، حامدين لله ، مقدسين له : « أتجعل فيها (٢) من يفسد فيها (٣) ويسفك الدماء (٤) ونحن نسبح بحمدك (٥) ونقدس لك (٦)؟ » .

(١) عرف الملائكة وقوع الافساد في الارض ، وسفك الدماء من الانسان قبل أن يخلقه الله تعالى : اما قراءة من اللوح المحفوظ لما سجل من مستقبل أعمال الناس ، واما باخبار من الله تعالى أو الهام ، ولم يقص علينا فيما حكى الله عنهم للايجاز على عادة القرآن . والله تعالى أعلم .

(٢) الاستفهام في قول الملائكة : « أتجعل فيها .. » ظاهره تعجب الملائكة من انه تعالى سيجعل في الارض من يفسد فيها ويسفك الدماء ، أو الاعتراض على ذلك وانكاره ، ولكن هذا الظاهر غير مراد ، لان الملائكة كما قال تعالى : « عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » من الآيتين ٢٦ و ٢٧ من سورة الانبياء ، بل هو استفهام أراد به الملائكة أن يستكشفوا ما خفى عليهم من الحكمة في استخلاف آدم وذريته ، مع ما سيزرتب عليه من الافساد وسفك الدماء ، وأن يستخبروا عما يزيح شبهتهم ، ويرشدهم الى معرفة ما في آدم من الفضائل التي جعلته أهلاً للخلافة هو وذريته ، كسؤال المتعلم أستاذه عما ينقدح في ذهنه ، ليعلم الجواب فيستريح .

(٣) الافساد في الارض : الخروج عن حد الاعتدال والاستقامة ، ضد الإصلاح ، ويكون بالمعاصي ، وسفك الدماء . ارجع الى العدد السابق في تفسير قوله تعالى : « ويفسدون في الارض » من الآية ٢٧ .

(٤) سفك الدماء : اراقتها ، يقال : سفك الدم ، وسفك الدمع ، والمقصود : قتل النفوس التي حرم الله قتلها ، والتعبير عن القتل بسفك الدماء ، لانه أقبح أنواع القتل .

وقد أفرده الله بالذكر بعد دخوله في الافساد في الارض ، لانه من أشد أنواع الفساد ، والله أعلم .

(٥) تسبيح الله : تنزيهه عن كل نقص ، فليس له شريك ، ولا صاحبة ، ولا ولد ، والملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون بلا انقطاع تسبيحا متلبسا بحمد الله والثناء عليه .

(٦) التقديس : التطهير ، ومنه : الارض المقدسة ، وروح القدس ، واسمه تعالى : القدوس ، أى الطاهر ، والمعنى نظهر ذكرك عما لا يليق بك ، أو نظهر نفوسنا من الذنوب ، فلا نفسد ولا نسفك الدماء .



وعندئذ أظهر لهم قدرة الانسان — بما ركب فيه ، وبمسا آلهمه وعلمه — على معرفة الاثياء : أسمائها ، وخواصها ، كأن يلقى في روعه تفصيلا : أن هذا فرس ، وشأنه كذا وكذا ، وذلك بعير ، وحاله كيت وكيت ، وكذا كل مادة وعنصر : عرف اسمه ، وخواصه ، وطريقة استعماله . ثم عرض هذه الاثياء على الملائكة ، وطلب منهم الاخبار بها : بأسمائها ، وخواصها ان كانوا صادقين في زعمهم أنهم أحقء بالخلافة من آدم وذريته الذين استخلفهم الله في الارض ، فظهر عجزهم عما يقدر عليه الانسان ، فعلموا أنهم لا يستطيعون الخلافة في الارض التي اختير لها ذلك النوع القدير على معرفة خصائص الاثياء والانتفاع بها ، فآمنوا بحكمة الله عز وجل .

« وعلم آدم الاسماء كلها (١) ثم عرضهم (٢) على الملائكة ، فقال (٣) أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين (٤) ، قالوا سبحانك (٥) لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم (٦) الحكيم (٧) ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون (٨) وما كنتم تكتمون (٩) » .

- 
- (١) ألهمه أسماء جميع الاثياء وعرفه خواصها ، ومانعها .  
(٢) عرض المسميات التي تعرف بأسمائها ، وكان منها العاقل وغير العاقل ، ولذا قال : « عرضهم » ولم يقل : عرضها ، تغليا للعلاء على غيرهم .  
(٣) قال — تبكىنا لهم واطهارا لعجزهم — : أخبروني بأسماء هؤلاء المسميات .  
(٤) ان كنتم صادقين في زعمكم انكم أحقء بالخلافة ، أو اننى لا اخلق خلقا الا انتم أعلم منه وأفضل .  
(٥) تنزيها لك عن أن يكون فطرك لغير حكمة ، أو عن عدم قدرتك على خلق من هو أعلم منا وأفضل .  
(٦) العليم بما ينبغى ويصلح لكل شيء .  
(٧) الحكيم في تقديره وتدبيره ، يضع الأمور في مواضعها .  
(٨) ما تبدون : ما تظهرون من قولكم : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .  
(٩) تكتمون : تخفون في نفوسكم من انكم أفضل منهم وأولى بالخلافة .

وفي هذه الآيات الكريمة اشارة الى أن الانسان أعطى الاستعداد لتعرف الاشياء وادراك نواميس الكون ، لينتفع بها بمقتضى ما منحه الله من الاسباب .

وفيها - أيضا - دليل على شرف الانسان ، وعلى فضل العلم ، وأنه أفضل العبادات ، وأعظمها أجراً ، وأنه مناط الخلافة في الارض وعمارتها ، واقامة حدود الله ، ونشر العدل فيها .

ومن الناس النبيون والصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والاولياء والابرار والمقربون والعلماء العاملون والمحبون له تبارك وتعالى الذين يباهى بهم ملائكته في صلاتهم وصيامهم وحجهم .

والله نسأل أن يوفقنا لمعرفة منزلتنا في هذا الوجود ، وأن يجعلنا أهلاً لتكريمه ، وأن يذكرنا فيمن عنده ، انه سميع الدعاء ، ولى التوفيق .

عنتر حشاد

يذكر المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية جميع فروع الجماعة بموعد انعقاد الجمعية العمومية بدار المركز العام ظهر يوم الخميس ٢١ من ربيع الآخر ١٣٩٨ الموافق ٣٠ من

مارس ١٩٧٨



## كلمة التمرير

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله « وبعد » ••  
فقد صدرت الاحكام في قضية الانتماء لجماعة التكفير والهجرة ،  
وهذه القضية تختلف اختلافا كبيرا عن قضية مقتل الشيخ محمد حسين  
الذهبي رحمه الله ، والتي صدرت فيها الاحكام القضائية من قبل • وكان  
موقفنا فيها معروفا وأعلنناه مرارا بالكلمة المكتوبة وبالكلمة المسموعة ،  
وقلنا ان الاسلام لا يعرف العنف والقتل طريقا لاقامة الشريعة الاسلامية،  
وقلنا في نفس الوقت ان المجتمع المعاصر بشكله الحالي وبعده عن تعاليم  
الاسلام يعطى الفرصة كاملة لظهور مثل هذه الجماعات المتطرفة • وما لم  
يقم النظام الاسلامي في ربوع البلاد فاننا لن نستطيع الحد من ظهور  
أو نمو هذه الجماعات •

أما قضية الانتماء لجماعة التكفير والهجرة فشيء آخر ، شيء يتعلق  
بمشكلات الشباب المستمسك بدينه ، المتحمس لكل خير •  
ان الشباب عندما يهتدى الى طريق الاسلام ، ينظر حوله في مجتمعه  
فيرى اسلاما يختلف اختلافا كبيرا عما كان عليه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وصحابته الكرام ، يرى حوله مفاهيم غريبة عن الاسلام  
يدافع عنها العلماء الرسميون والهيئات الاسلامية الرسمية بالدولة :  
مساجد قد ملئت بالبدع ، مقابر وتوابيت داخل المساجد ، مقاصير من  
الذهب والفضة ، عقائد الناس في دينهم كلها خرافات ، دعاء لغير الله ،  
مظاهر الشرك في كل مرافق الحياة باسم الدين • وذلك فضلا عن فوضى  
الفساد والتحلل الخلقي في كل مكان ، وتعطيل شريعة الله رغم ما في  
دستورنا من الاعتراف بأن دين الدولة الرسمي هو الاسلام ، وأن الشريعة  
الاسلامية مصدر رئيسي للتشريع •

ينظر الشباب حوله ويرى أنه لن يستطيع أن يتنفس جو الاسلام  
الصحيح في هذه البيئة التي اختلط فيها الحق بالباطل ، والهدى بالضلال •

فبيدأ البحث عن مصادر الاصلاح ، ينظر الى الجماعات أو الجمعيات الاسلامية فيرى أنها - من وجهة نظر هذا الشباب - لم تفعل شيئاً في أمر اقامة الشريعة الاسلامية ، فما أن تظهر أية بادرة لظهور جماعة جديدة كالتكفير والهجرة أو غيرها حتى يسارع الشباب خاصة الى الانضمام اليها معلقين عليها الآمال في تغيير صورة المجتمع ، فاذا ما انحرفت هذه الجماعة الجديدة تعرض الشباب بعد ذلك للمحاكمة ، تماماً كما حدث في قضية الانتماء لجماعة التكفير والهجرة ، ولقد سررنا كثيراً والحمد لله للحكم بالبراءة لمئات الشباب في هذه القضية .

أما الشباب الذين حكم عليهم بالسجن في هذه القضية ، فاننا نرى أن الجهات الحكومية الرسمية قد ساهمت في هذا المصير الذي صاروا اليه ، فلو أن هذه الهيئات الاسلامية الرسمية التي توفر لها من الامكانات ما لم يتوفر للجماعات أو الجمعيات الاسلامية - أقول لو أنها قامت بتعريف الشباب بالاسلام تعريفاً صحيحاً ، وباستقطاب طاقات الشباب البناءة لصالح الدعوة ، لما وجد الشباب نفسه مدفوعاً الى الانضمام لهذه الجماعات المتطرفة .

ان الذي دفعنى لكتابة هذا ما قرأته في الجرائد اليومية الصادرة بالقاهرة صباح الاربعاء ٢٣ صفر ١٣٩٨ الموافق أول فبراير ١٩٧٨ على لسان رئيس المحكمة التي نظرت قضية الانتماء لجماعة التكفير والهجرة - قال رئيس المحكمة في بيانه :

ان المحكمة قررت عدم الاعتراف برد مجمع البحوث الاسلامية الوارد لها بالجلسة السابقة نظراً لعدم موافقة مجمع البحوث على اعتماده وختمه من المسؤولين فيه . حيث قد أرسلته المحكمة للمجمع لهذا السبب الا أن أمين عام المجمع الدكتور عبد الجليل ثلبي طلب من المندوب أن ينسب الرد الى أحد العلماء ٠٠٠ ورفض اعتماد الرد الا اذا عدل على هذا النحو ٠٠٠ واذا كان الرد المعدل لم يرد للمحكمة حتى الآن ٠٠ فان المحكمة تعلن أن المجمع يكون بهذا قد تخلى عن تنفيذ ما كلف به وتعاوس

عن الاسهام بدوره في هذه القضية الحساسة المتصلة بالدين الاسلامى الحنيف ، وتنازل عن دوره في احقاق الحق وازهاق الباطل .

هذا ما قاله رئيس المحكمة !! سلبية كاملة من مجمع البحوث الاسلامية الذى يعتبر أكبر هيئة علمية في العالم الاسلامى . يتخلى المجمع بصفته هيئة رسمية عن مناقشة فكر المقدمين للمحاكمة ، ويطلب أن ينسب الرد الى أحد العلماء وليس الى المجمع نفسه ، مما أدى بالمحكمة الى أن تقرر عدم الاعتداد برد مجمع البحوث الاسلامية ، وعدم الاعتداد به يعنى أن المحكمة أصدرت أحكامها في هذه القضية الحساسة بما رأته هى ، دون الاستتارة برأى الجهات الاسلامية المختصة ، رغم خطورة هذا الامر . وأنا لا ألوم المحكمة بقدر ما ألوم مجمع البحوث الاسلامية بل وجميع الهيئات الاسلامية الرسمية ، فقد كان الاولى بهذه الهيئات - فيما نرى - أن تبادر دائما الى ايضاح الفكر الصحيح والفكر السقيم في كل المعتقدات التى تظهر بين الناس وخاصة الشباب ، دون أن يطلب منها ذلك فان هذا أول واجباتها . وأضعف الايمان أن تفعل ذلك اذا كان الامر مطروحا على القضاء .

لو أن كل هيئة اسلامية رسمية أو جماعة من الجماعات الاسلامية قامت بدورها حيال الدعوة ، وبيئت للشباب خاصة ما له وما عليه على ضوء الكتاب والسنة ، وبيئت كذلك لاولى الامر ما يجب عليهم حيال اقامة المجتمع المسلم وتحكيم شريعة الله فى الارض ، لو تم ذلك لاستطعنا بعون الله وفضله أن نجنب شبابنا التطرف والانحراف ، ونجنب مجتمعنا مثل هذه الهزات ، ولاستطعنا - وهذا هو الاهم - أن نقيم شريعة الله فى ربوع البلاد استجابة لحكم الله .

أسأل الله أن يجنب شبابنا الانحراف والزلل ، وأن يوفقنا جميعا للعمل على اقامة المجتمع المسلم الذى يتحاكم الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه .

رئيس التحرير

# بَابُ التَّقْسِيرِ

يقدمه : عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين (٣٤) وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فازلها الشيطان عنها فأخرجها مما كنا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين (٣٦) فنلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم (٣٧) قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨) والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩) » .

في الآيات السابقة (١) رأينا حكمة الله - عز وجل - في خلق الانسان مزودا بقوى العقل والادراك ، وقوى العمل في هذه الحياة ، واستخلافه في الأرض ليعمرها ، ويقيم الحق والعدل وأحكام الله تعالى فيها « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » ثم ما كان من الملائكة فى الاستفسار عن الحكمة فى خلق هذا النوع ، وهو - على ما يعلمون - ذو شهوة وغضب ، بهما يفسد فى الأرض ، ويسفك الدماء . وعندئذ أراهم الله تعالى قدرة الانسان - بما ركب فيه - على معرفة خصائص الاشياء ، وطلب منهم الاخبار بها ، فظهر عجزهم عما يقدر عليه الانسان ، وعلموا أنهم لا يستطيعون الخلافة فى الأرض التى اختير لها ذلك النوع الانسانى القدير على معرفة هذه الخصائص

(١) وهى الآيات التى شرحناها فى العدد السابق من ٣٠ - الى ٣٣

والانتفاع بها ، فأمنوا بحكمة الله « قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا  
انك أنت العليم الحكيم » .

وفي هذه الآيات (١) نرى تكريم الله لآدم — عليه السلام — وأمره  
الملائكة بالسجود له وتعظيمه ، وانقيادهم لامره سبحانه ، وسجودهم  
لآدم كما أمروا : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس  
أبى واستكبر وكان من الكافرين » نفس شريرة ، عقت عن أمر ربها ،  
وكانت من الكافرين .

منح الله آدم منزلة التكريم ، وجعل له زوجا من نفسه يسكن  
اليها ، ومكنهما من متعة المادة (٢) ، بعد متعة المودة ، ثم اختبرهما —  
لحكمته البالغة — بالنهي عن الاكل من شجرة من أشجار الجنة ، ولكن  
الشیطان الذى أبى أن يسجد لآدم وقف له بالمرصاد ، وما زال يغريه  
وزوجه ، ويوسوس لهما حتى زلا ووقعا فى المخالفة ، وعندئذ أنزلا من  
الجنة حيث التكليف ، وحيث العمل ، وحيث المنازعات والمنافسات :  
« وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع  
الى حين » وعندئذ أدرك آدم خطيئته ، فتلقى من ربه كلمات فتاب  
عليه ، انه هو التواب الرحيم ، وقرر له ولذريته نظام حياتهم ، وطريق  
سعادتهم وشقائهم : « فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداه فلا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب  
النار هم فيها خالدون » .

هذا مجمل ما نراه فى هذه الآيات الكريمة ، وبعد هذا الاجماله  
نعود الى الآيات بشيء من التفصيل :

---

(١) من ٣٤ — الى ٣٩ .  
(٢) بسكنى الجنة ، والاكل منها والتمتع بما فيها .

## سجود الملائكة لآدم :

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابي واستكبر  
وكان من الكافرين » •

معنى السجود في اللغة : التذلل والخضوع مع انخفاض بانحناء  
وغيره ، وخص في الشرع : بوضع الجبهة في الارض على قصد العبادة .

والاظهر أن المأمور به : السجود بالمعنى اللغوي ، وهو التواضع  
والخضوع لآدم تحية وتعظيما ، واقراراً له بالفضل دون وضع الجباه  
عنى الارض ، كسجود اخوة يوسف له ، وهو انما كان بالانحناء • وقد  
أبطل الاسلام ذلك ، وجعل التحية السلام والمصافحة • وهذا الامر ابتلاء  
واختبار ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وينفذ ما سبق به العلم ،  
واقترضته المشيئة والحكمة ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، الا ابليس  
أبى أن يكون مع الساجدين » •

وابليس أبو الجن ، لم يكن من جنس الملائكة ، انما كان معهم ،  
اذ لو كان منهم ما هصى ، فصفة الملائكة الاولى أنهم « لا يعصون الله  
ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (١) » وأنهم « عباد مكرمون ، لا يسبقونه  
بالقول وهم بأمره يعملون (٢) » والاستثناء هنا « الا ابليس » لا يدل  
على أنه من جنسهم ، فكونه معهم يجيز هذا الاستثناء ، كما تقول :  
« جاء بنو فلان الا أحمد » وأحمد ليس من بنى فلان ، وانما هو  
عشيرهم (٣) ، وابليس من الجن بنص القرآن « الا ابليس كان من  
الجن (٤) » •

(١) من الآية ٦ من سورة التحريم .

(٢) من الآية ٢٦ والآية ٢٧ من سورة الانبياء .

(٣) العشير : المصاحب المعاصر ، كما في آية ١٣ من سورة الحج .

(٤) من آية ٥٠ من سورة الكهف ، وهذا الذي أرجحه ، لما سقته

من أدلة .



## آدم وزوجه في الجنة :

« وقلنا يا آدم اسكن (١) أنت وزوجك (٢) الجنة (٣) وكلا منها رغدا (٤) حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة (٥) فتكونا من الظالمين » .

لما كفر ابليس بعصيانه أمر ربه بالسجود لآدم ، واستكباره —  
أبعده الله عن الجنة ، بقوله : « ... اخرج منها مذموما مدحورا (٦) »  
وأسكن آدم وزوجه الجنة تكريما لهما : « ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة (٧) » .

وأباح لهما التمتع بالاكل من الجنة أكلا واسعا هنيئا في أى مكان شاءاه من الجنة « وكلا منها رغدا حيث شئتما » .

وامتحنهما بالنهى عن الاكل من شجرة بعينها من أشجار الجنة ، أو جنس معين منها ، وبين هذين الاحتمالين وقع التأويل من آدم بسبب الوسوسة ، فالمظنون أنه تأول النهى بأنه عن شجرة بعينها ، فتركها ، وأكل من جنسها ، مع أن المقصود هو النهى عن الجنس ، اذ لا فرق بين شجرة منه وشجرة أخرى ، أو أنه أكل منها ناسيا ، أو متأولا أن النهى نهى ارشاد فقط ، لا نهى تحريم .

- 
- (١) اسكن : اقم فيما تسكن فيه النفس وتطمئن .  
(٢) تقول العرب للمرأة : زوج ، ولا تكاد تقول : زوجة .  
(٣) الجنة : البستان ، وذهب البعض الى انها جنة المأوى ، دار الثواب والخلود للمؤمنين في الآخرة ، وذهب آخرون الى انها بستان في الارض خلقه الله امتحانا لآدم وزوجه ، والاحوط الاسلام : الكف عن تعيينها وعن القطع به .  
(٤) رغدا : أكلا واسعا ، أو هنيئا لا عناء فيه .  
(٥) أبهم القرآن الكريم تعيينها ولم يقم دليل عليه ، فالاولى عدم القطع به .  
(٦) مذموما : مدحورا . مدحورا : مبعدا مطرودا ، من آية ١٨ من سورة الاعراف .  
(٧) من الآية ١٩ من سورة الاعراف .

وقوله تعالى : « ولا تقربا هذه الشجرة » نهى أريد به اختبار آدم وزوجه ، وتعلق النهى بالقرب من الشجرة ، دون الأكل منها ، للمبالغة في الأبعاد عن الشجرة نفسها ، فإن البعد عن الشجرة ، وانقضاء القرب منها يستلزم عدم الوقوع في الأكل ، وهو المقصود من النهى ، ونظير ذلك كثير في القرآن الكريم : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن (١) » « ولا تقربوا الزنى (٢) » « تلك حدود الله فلا تقربوها (٣) » للنهى عن أكل مال اليتيم ، والزنى ، واعتداء حدود الله .

وكان الأكل من هذه الشجرة سببا في إخراجهما من الجنة عقوبة على مخالفة النهى .

« فتكونا من الظالمين » : المراد من ظلمهما ظلم أنفسهما ، فإن مخالفة النهى كانت سببا في حرمانهما مما كانا فيه من نعيم الجنة ، ولا شك أن هذا ظلم للنفس مبین .

### وسوسة الشيطان وعداوته :

« فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقتلنا أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين » .

وسوس الشيطان لآدم وزوجه ، وزين لهما الأكل من هذه الشجرة ، فأكلا استجابة لوسوسته .

« فأزلهما الشيطان عنها » أذهبهما وأبعدهما عن الجنة ، بما أوقعهما فيه من العصيان ، وفعل ما نهاهما الله عنه .

- 
- (١) من الآية ١٥٢ من سورة الانعام .
  - (٢) من آية ٣٢ من سورة الاسراء .
  - (٣) من آية ١٨٧ من سورة البقرة .

وقرىء « فأزلهما الشيطان عنها » أى نحاها ، فالعنى واحد ،  
« وأزل » من « الازلال » ، و « أزال » من « الازالة » . فالضمير  
فى « عنها » للجنة .

وقيل : « فأزلهما الشيطان عنها » فأوقعهما فى الزلة ، وهى المعصية ،  
و « عنها » : عن الشجرة ، أى بسببها .

وقد يقال : كيف توصل ابليس الى ازالهما بالوسوسة وهما فى  
الجنة ، بعد أن أخرجه الله منها « .. فأخرج منها فانك رجيم (١) »  
فخرج منها فعلا . ومن عوقب بالاخراج من الجنة مطرودا لا يدخلها ؟  
وأجيب بأنه منع من دخول الجنة تكريما ، ولم يمنع من دخولها  
بوسوسة للابتلاء ، وقيل : غير ذلك .

والأولى احالة ذلك الى علم الله تعالى ، وكل تأويل فى ذلك رجم  
بالغيب .

وقد ترتب على هذه الزلة خروج آدم وزوجه من الجنة ، كما  
قال سبحانه « فأخرجهما مما كانا فيه » أى من النعيم الذى كانا فيه  
بعد أن تم الابتلاء والوقوع فى الزلة ، ليتحقق ما كان مقدرًا فى علم  
الله تعالى ومرتبًا على هذه الزلة ، من هبوط آدم ليكون خليفة فى الارض ،  
فصدر أمر الله بالهبوط اليهما « وقلنا اهبطوا (٢) بعضكم لبعض عدو » .

(١) من الآية ٣٤ من سورة الحجر .  
(٢) الهبوط : النزول من أعلى الى أسفل ضد الصعود ، ان قلنا :  
ان المقصود بالجنة دار الثواب ، أو الانتقال من مكان الى مكان ، كما فى  
قوله تعالى : « اهبطوا مصرا » من الآية ٦١ من سورة البقرة ، ان قلنا :  
ان المقصود بالجنة بستان فى الارض على ما مر بك فى هامش ص ٤ ،  
والخطاب لآدم وزوجه بما يتضمن ذرياتهما ، فان العداوة كانت بين الذرية ،  
بين آدم وزوجه ، وسواء جمع الضمير فى ( اهبطوا ) أو جاء للمثنى ، كما  
فى آية ١٢٣ من سورة طه : « قال اهبطا منها جميعا » والقصة واحدة ،  
أو الخطاب للشيطان والانسان ، فان العداوة والمركة بينهما الى آخر  
الزمان .

« ولكم في الارض مستقر (١) ومتاع (٢) الى حين » .

ولآدم وزوجه وذريته في الارض مستقر ، وما يستمتع به فيها من  
أكل وشرب ولبس (٣) وحياة وأنس وغير ذلك .

وهكذا نرى في هذه الآيات ، وفي قصته استخلاف الله للانسان  
في الارض ، وفي تعليمه ، وتكريمه نعم الله التي لا تحصى ، نعم الله  
التي تستوجب منا توحيده بالطاعة والعبادة ، شكرا لله المنعم الحكيم .

كما نرى ابتلاء الله للانسان بالخيرات والنعم أحيانا ، ليراه -  
وهو أعلم به - أيشكر أم يكفر ، وبالمصائب والنقم أحيانا أخرى ،  
ليراه - وهو أعلم به - أيجزع أم يصبر ، وابتلاءه اياه بالتكاليف ليطيع  
أم يعصى .

كما نرى عداوة الشيطان للانسان ، عداوة مستمرة الى يوم الدين،  
يغويه ويضلّه ، ولن ينجو منه الا عباد الله المخلصون .

نسأله سبحانه أن يعيذنا من الشيطان الرجيم ، وأن يجعلنا من  
عباده المخلصين ، الشاكرين الصابرين ، أنه على ما يشاء قدير .

**عنتر حشاد**

(١) استقرار ( مصدر ) أو موضع استقرار ( اسم مكان ) .

(٢) تمتع وانتفاع .

(٣) بكسر اللام وسكون الباء ، وهو ما يلبس .

# بَابُ التَّقْسِيرِ

يقدمه : عن تراجم حشاد

٢ - سورة البقرة

وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فازلها الشيطان عنها فاخرجها مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين (٣٦) فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم (٣٧) قلنا اهبطوا منها جميعا ، فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨) والذين كفروا وكنبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩) .

انتهينا في العدد السابق من تفسير الآيتين الاوليين ( ٣٥ ، ٣٦ ) وعرفنا أن الله - عز وجل - منح آدم منزلة التكريم ، وجعل له زوجا من نفسه يسكن اليها ، ومكتهما من متعة المادة بعد متعة المودة ، باسكانهما الجنة يأكلان منها رغدا حيث شاءا ، ثم اختبرهما - لحكمته البالغة - بالنهي عن الاكل من شجرة معينة ، ولكن الشيطان الذي أبى أن يسجد لآدم واستكبر - وقف له بالمرصاد ، وما زال يغريه وزوجه حتى زلا ووقعا في المخالفة ، وعندئذ أنزلا حيث التكليف ، وحيث العمل ، وحيث المنازعات والمنافسات : « وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين (١) »

(١) ارجع الى العدد السابق ( العدد ٥ جمادى الاولى ١٣٩٨ هـ ) لتجد ذلك مفصلا .

وعندئذ أدرك آدم خطيئته ، فتلقى من ربه كلمات فتاب عليه ،  
انه هو التواب الرحيم ، وقرر له ولذريته نظام حياتهم ، وطريق سعادتهم  
وشقائهم : « فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم  
ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار  
هم فيها خالدون » .

بعد هذا الاجمال نعود الى الآيات الاخيرة ( من ٣٧ - الى ٣٩ )  
بشيء من التفصيل :

### التوبة (١) :

« فتلقى (٢) آدم من ربه كلمات فتاب عليه (٣) ، انه هو التواب  
الرحيم » .

أى : ألقى الله فى روع آدم أن يتوسل اليه بكلمات ألهمه اياها ،  
ليتوب الله عليه ، فاستقبلها بالاخذ والقبول ، والعمل بها حينما تعلمها .  
وهذا هو ما كان من زوج آدم أيضا ، وقد اكتفى الله بذكر آدم ،  
لان زوجه تابعة له فى الحكم ، اذ النساء شقائق الرجال ، ولذا طوى  
ذكرهن فى معظم الكتاب والسنة اكتفاء بذكر الرجال بازاء الاحكام .

والمأثور - فى هذه الكلمات - أنها : « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم  
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٤) » وعن ابن مسعود أنها :  
« سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك (٥) ، لا اله  
الا أنت ، ظلمت نفسى فاغفرلى ، فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » .

(١) توبة آدم وحواء .

(٢) استقبل آدم وزوجه من ربهما ما علمهما من كلمات الاستغفار  
والتوبة .

(٣) فقبل توبته .

(٤) من الآية ٢٣ من سورة الاعراف .

(٥) الجد هنا : بمعنى العظمة والجلال ، اى تعاضمت عظمتك وجل  
جلالك عن أن ينسب اليك ما ينافى ربو بيتك ، او تعاضم ملكك وسلطانك عن  
أن يكون لك شريك ، او يكون لك صاحبة او ولد ، كما يزعم المشركون ،  
ومنه قوله تعالى : « وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » الآية  
٣ من سورة الجن .

وفي رواية أخرى طويلة عن مجاهد في تفسير « كلمات » قال :  
الكلمات : « اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك ، رب انى ظلمت  
نفسى فاغفرلى انك خير الغافرين ، اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك ،  
رب انى ظلمت نفسى فارحمنى انك خير الراحمين ، اللهم لا اله الا أنت  
سبحانك وبحمدك ، رب انى ظلمت نفسى فتاب على انك أنت  
التواب الرحيم » .

فلما قال آدم وزوجه هذه الكلمات تاب الله تعالى عليهما ، لانه  
كثير قبول التوبة ، رحيم بعباده ، عظيم الرحمة .  
وقد ختمت الآية بقوله سبحانه : « انه هو التواب الرحيم »  
تذييلا ، وتعليلا لقوله عز وجل : « فتاب عليه » .

والتواب (١) : الرجوع على عباده بقبول توبتهم ، أو باعانتهم  
وتوفيقيهم اليها . ويقال للعبء أيضا : تواب ، بمعنى كثير التوبة والندم  
والاستغفار من الذنوب ، والرجوع الى ربه فى ذلك ، ويلزمه ترك الذنب .  
والتوبة فى الشرع : ترك الذنب لقبحه ، والندم على فعله ، والعزم  
على ترك معاودته ، ورد المظالم الى أهلها ، بتدارك ما فات من حق العباد  
بقدر الامكان .

وبذلك فتح الله للعصاة طريقة التوبة اذا عصوا ، ليتوب عليهم ،  
كما تاب على أبيهم آدم ، لانه - سبحانه - التواب الرحيم .  
ولقد بلغ من فضل الله ، وعظيم رحمته ، وسعة جوده وكرمه أنه  
يقبل توبة العاصى ، ما لم يحضره الموت ، وما لم تبلغ الروح الحلقوم ،  
فاذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعاله  
من الارض ، حتى يلقي الله يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنوبه .  
لكن ليس معنى هذا أن يحملنا حلم الاله على أن نتمادى فيما  
لا يرضاه ، أو أن نسرف فى المعصية اتكالا على التوبة والمغفرة ، أو أن  
نؤخر التوبة ، فالموت يأتى بغتة ، أو أن نتكاسل عن الندم والحسرة ،  
فان ذلك من الجهل والغفلة ، أو أن نتعمد العصيان ، فنحرم الغفران ،  
أو أن نصر على ذنوب صغيرة ، فان الاصرار عليها يجعلها كبيرة  
« لا صغيرة مع الاصرار » .

(١) تواب بوزن فعال : صيغة مبالغة من تائب ، بمعنى كثير التوب ،  
وهو الرجوع .

والله تعالى يقول : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما ، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما (١) » .

ورسولنا — صلى الله عليه وسلم — وهو الاسوة الحسنة (٢) — كان كثير الاستغفار ، يقول : « والله انى لاستغفر الله وأتوب فى اليوم أكثر من سبعين مرة (٣) » .

ومن استغفاره أنه كان يدعو : « اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى ، وما أنت أعلم به منى ، اللهم اغفرلى هزلى وجدى (٤) ، وخطاى وعمدى ، وكل ذلك عندى (٥) » .

وسيد الاستغفار أن تقول : « اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء (٦) لك بنعمتك على ، وأبوء (٦) بذنبى ، اغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت (٧) » .

ويقول — صلوات الله وسلامه عليه — : « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، وورقه من حيث لا يحتسب » .

وفى معنى هذا ما جاء على لسان نوح عليه السلام فى قول الله سبحانه : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم

(١) الآيتان ١٧ و ١٨ من سورة النساء .

(٢) القدوة الطيبة .

(٣) الحديث ٦٥٢ ج ٤ من صفوة صحيح البخارى بشرح عبد الجليل عيسى ، واستغفاره صلى الله عليه وسلم وتوبته ، اما لظاهر العبودية لله سبحانه وتعالى بالتضرع والالتجاء اليه والافتقار لكرم ربوبيته ، واما لترك الاولى ، أو هو من قبيل : « حسنات الابرار سيئات المقربين » والله أعلم .

(٤) بكسر الجيم : ضد الهزل .

(٥) حديث ٦٣٠ من المرجع السابق .

(٦) أبوء : أعترف .

(٧) الحديث ٦٢٤ من المرجع السابق .



مدرارا ، ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً (١)»  
 وعن الحارث بن سويد ، حدثنا عبد الله (٢) حديثين : أحدهما عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم (٣) ، والآخر عن نفسه (٤) . قال : ان المؤمن  
 يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وان الفاجر يرى  
 ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال (٥) به هكذا — قال أبو شهاب بيده  
 فوق أنفه (٦) — ثم قال (٧) : لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا  
 وبه مهلكة (٨) ، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام  
 نومة ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، حتى اشتد عليه الحر والعطش—  
 أو ما شاء الله (٩) — قال : أرجع الى مكانى ، فرجع فنام نومة ثم رفع  
 رأسه ، فاذا راحلته عنده (١٠) .

### الهبوط ، والتكليف ، ومناط السعادة والشقاوة :

« قلنا اهبطوا منها جميعا ، فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع  
 هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا  
 أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

كرر الامر بالهبوط (١١) ، ايذانا بأنه هبوط محتوم لا بد منه ، وأن  
 قبول التوبة لا يدفعه ، ولان الهبوط الاول مشوب بالعقاب ، واسكان  
 دار البلاء ، والعداوة ، وعدم الخلود ، والثانى مشوب بالرحمة بايتاء  
 الهدى المؤدى الى النجاة .

- (١) الآيات ( من ٢٠ — الى ١٢ ) من سورة نوح .
- (٢) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .
- (٣) فيكون حديثا مرفوعا ، وأوله : « لله أفرح » .
- (٤) فيكون موقوفا ، وأوله : ان المؤمن » .
- (٥) أى نحاه بيده ودفعه فالتقول هنا بمعنى الفعل .
- (٦) قال أبو شهاب : أى اشار بيده فوق أنفه ، أى فعل فعل من ينحى  
 الذباب ، وهو تفسير من أبى شهاب لقول ابن مسعود : « فقال به هكذا »  
 وأبو شهاب : الحناط الصغير ، واسمه عبد ربه بن نافع ، شيخ شيخ البخارى
- (٧) قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- (٨) بفتح الميم واللام : مكان الهلاك .
- (٩) ( أو ) للشك من الراوى ، وفي رواية : « حتى اذا أدركه الموت » .
- (١٠) حديث ٦٢٦ من المرجع السابق .
- (١١) بعد الامر به فى الآية ٣٦ : « وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ،  
 ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين » والخطاب لادم وزوجه بما يتضمن  
 فرياتها ( ارجع الى هامش صفحة ٦ من العدد السابق ، لتعرف معنى  
 الهبوط ) .

« فاما يأتيكم منى هدى » على رسلى ، وفى كتبى ، وآياتى  
 « فمن تبع هداى » بالايمان والقول مع العمل الصالح « فلا خوف  
 عليهم » فى المستقبل من سوء ، « ولا هم يحزنون » على فوت محبوب ،  
 بل يستمرون على السرور والابتهاج ، والامن والطمانينة (١) .  
 « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا (٢) » ومن لم يتبع هدى الله ،  
 بل كفر بالله ، وكذب بآياته القرآنية والكونية « أولئك » الموصوفون  
 بالكفر والتكذيب « أصحاب النار » أهلها ومستحقوها « هم فيها  
 خالدون (٣) » لا يخرجون منها .

### العبرة من هذه القصة :

وعبرتنا من هذه القصة : أن الله خلق الانسان ، وجعله مستعدا  
 للعلم والانتفاع بما خلق الله فى الكون ، ليكون خليفة فى الارض ،  
 يعمرها وينميها ، وينشر العدل ، ويقيم أحكام الله فيها ، ويكون بعمله  
 مظهرا لرحمة الله بعباده . وليخلق فيه روح المكافحة والجهاد خلقه  
 مستعدا أيضا للتأثر بدواعى الخير ، ودواعى الشر ، وبين له أن عاقبة  
 التأثر بداعية الخير السعادة المطلقة ، وعاقبة التأثر بداعية الشر الشقاء  
 المطلق . وبذلك كان الانسان فى حاجة الى الوحي الالهى يقيه ، ويحفظه  
 من دواعى الشر ، ويرشده الى طريق الحق والخير ، وعلى هذا المبدأ  
 أرسل اليه الرسل ، وأنزل الكتب ، ولفت نظره الى آياته الكونية  
 فى الانفس وفى الآفاق ، تذكيرا بما يسعده ، وتنفيرا مما يشقيه ، فيجب  
 علينا أن نتعرف أنفسنا بدوافعها ، وأن نحصنها بهداية الله من كيد  
 الشيطان ، وأن نعرف منزلتنا فى هذا الوجود ، وأن نلتزم ارشاد الله  
 وأحكامه ، حتى نفوز برضاه ، وننعم باسعاده .

والله الهادى الى سواء السبيل . . . عفت حشاد

- (١) الفرق بين الخوف والحزن : أن الخوف مما يستقبل ، والحزن  
 على ما مضى .  
 (٢) تحذف الالف بعد ياء « آيات » فى الرسم العثمانى فى كل موضع  
 ما عدا آيتى سورة يونس ( ١٥ و ٢١ ) فانها تثبت .  
 (٣) تحذف الف « خالدون » فى الرسم العثمانى فى كل موضع بغير  
 استثناء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّفْسِيرِ

## يقدمه: عنتر أحمد حشاد

٤ - سورة البقرة

« يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم وايى فارهبون (٤٠) وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وايى فاتقون (٤١) ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكنموا الحق وأنتم تعلمون (٤٢) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين (٤٣) » .

رأينا - فى عرض هذه السورة - أنها أول سورة مدنية ، نزلت بعد الهجرة ، بعد أن أصبح للمسلمين فى المدينة جوار جديد غير جوارهم السابق فى مكة ، فقد أصبحوا يجاورون فيها أهل الكتاب من اليهود والنصارى من بنى اسرائيل ، بعد جوارهم للمشركين فى مكة قبل الهجرة (١) .

وقد كان من المرتقب أن يلبى هذا الجوار الجديد دعوة النبى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، وكانوا يطلبون به - قبل مجيئه - النصر على أعدائهم (٢) ، ولكن خاب الفأل ، وضاع المرتقب ،

(١) ارجع - ان شئت - الى أعداد ذى الحجة ١٣٩٥ ، والمحرم وصفر وربيع الاول ١٣٩٦ هـ من الملة .

(٢) كما قال تعالى : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » من آية ٨٩ من سورة البقرة ، ويستفتحون : يطلبون الفتح ، وهو النصر على أعدائهم من المشركين بايمانهم به واتباعه وجهادهم معه .

اذ كفروا به بغيا أن ينزل الله من فضله على ما يشاء من عباده ، وحسدا أن يكون هذا النبي من العرب أولاد اسماعيل ، وألا يكون من بنى اسرائيل ، وكان ذلك منهم حبا في الرياسة ، وتعصبا لبني جدهم اسرائيل ، دون نظر الى الحق ، يريدون أن يقصروا فضل الله عليهم ، ولا يرضون عما أعطى الله غيرهم من فضله ، فتحدثت السورة عنهم في أربع وثمانين آية (١) بدأها الله وختمها بندائهم ، ونسبتهم الى أبيهم « اسرائيل » يستحثهم على الايمان ، ويذكرهم بنعمته عليهم :

« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون ، وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون ، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » •

### بنو اسرائيل أكثر الامم نعما ، وأشدهم عصيانا وكفرا :

« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون » •

بعد دعوة الناس كافة الى عبادة الله وحده ، وتذكيرهم بنعمه :  
« يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون »  
- يدعو الله تعالى بنى اسرائيل خاصة الى ذكر نعمه ، والوفاء بعهده ، وخشيته وحده ، فيبدأ الكلام معهم بهذه الآية المفذة ، وهى على قلة كلماتها جامعة لاغراض الحديث كله : ففيها يناديهم بأحب أسمائهم ، وأشرف أنسابهم « يا بنى اسرائيل (٢) » ويذكرهم بسابق نعمته عليهم اجمالا ، ويبنى على ذلك دعوتهم الى الوفاء بعهد الله ، ليشملهم برحمته ،

---

(١) من الآية ٤٠ - الى الآية ١٢٣ .  
(٢) « واسرائيل » باللغة العبرية معناه : « عبد الله » ، أو « صفوة الله » باللغة العربية و « ايل » معناها « الله » . وهو لقب يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم عليهم السلام .

ويجزئهم باحسانه ، وينجيهم من عذابه ، ترغيبا وترهيبا ، ليخشوه وحده ويتقوه • وذكر النعم : شكر الله تعالى عليها •

وقد فصلت هذه النعم ، كما فصل وشرح العهد الذي طلب منهم الوفاء به في الآيات التالية •

والخطاب — في كل ذلك — موجه الى المعاصرين منهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، مع أن بعض هذه النعم كانت على آباءهم ، كالانجاء من الغرق ، واغراق فرعون وجنوده ، وبعض هذه المعاصي كانت من هؤلاء الآباء أيضا كاتخاذ عجل السامري لها ، وقولهم لموسى : « أرنا الله جهرة » •

وانما ذكر المعاصرون منهم بنعم الآباء ، لان أثرها واصل اليهم ، وفضلها عائد عليهم •

وانما وبخوا على معاصيهم ، لانهم يعترفون بالانتساب اليهم ، ومن اعترز بأثم فهو آثم مثله ، وكأنما فعل فعله ، ولان عار اثم الآباء يلحق الذرية ، ما داموا على سنتهم في الضلال ، فكأنهم فيه شركاء •

والعهد الذي أمرهم الله تعالى بالايفاء به « وأوفوا بعهدى » ما عهد اليهم بفعله من الايمان والطاعة والعمل الصالح أن يؤدوه وافياء، ليفى الله تعالى بعهده اليهم أن يثيبهم ، ويحسن جزاءهم •  
« وايأى فارهبون (١) » خافونى وحدى ، ولا تتخضوا العهد والميثاق •

وفي ذكر قصة بنى اسرائيل — بعد قصة خلق آدم — تصوير لتسلط ابليس اللعين على بعض ذرية آدم وتأثرهم بوسوسته ، مع مزيد فضل الله عليهم ، وأنهم لم يحذروه مع ما صنعه بجدهم من الاغواء ، وما عرف عنه من العداوة له ولاولاده •

---

(١) الرهبة : الخوف مطلقا ، او خوف معه تحرز واجتناب ما يغضب الله ، وتقديم المفعول به وهو : « آيأى » على فعله وهو : « ارهبون » يفيد قصر الخوف على الله وحده ، فالمؤمن لا يخاف الا الله تعالى •

## اليهود يحرفون التوراة ، ويكفرون بالقرآن ، حرصا على متاع الدنيا :

« وآمنوا بما أنزلت (١) مصدقا لما معكم (٢) ولا تكونوا أول كافر به (٣) ولا تشكروا بأياتي ثمنا قليلا (٤) وإياي فاتقون (٥) ، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون (٦) » .

من الوفاء بالعهد الذي أخذته الله على بنى اسرائيل فى التوراة أن يؤمنوا بالقرآن الكريم الذى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو المصدق للتوراة التى معهم ، يدعو الى ما تدعو اليه من الايمان بالله وتوحيده ، والعدل بين الناس ، وينهى عن المعاصى ، وفيه ما فيها من قصص المرسلين والامم السابقة .

وما بين القرآن والتوراة من مخالفة فى الفروع — لا فى الاصول — فسببه اختلاف العصور وما يقتضيه كل عصر من أحكام وتشريعات تلائمه فكل منهما حق فى عصره متضمن للحكم التى يدور عليها التشريع .

ومن الزيادة فى الكفر أن يكونوا أول المبادرين بالكفر به مع علمهم بصدقه من كتابهم ، فهم أولى الناس بأن يكونوا أول المؤمنين به . ولكن اليهود مع ذلك ، ومع ما كانوا يقرءونه فى التوراة من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتبشير به خلطوا الحق الذى يعلمونه بالباطل الذى يخترعونه ويكتبونه تحريفا للتوراة ، وحرصا على رياستهم فى قومهم ، ومنافعهم المادية (٧) وخوفا أن تزول ، كما كانوا يكتمون الحق

(١) وهو القرآن .

(٢) من التوراة ، وسأفصل تصديق القرآن للتوراة .

(٣) ولا تكونوا أول فريق كافر به فأنتم أهل كتاب ، وأولى الناس بالمبادرة الى الايمان به .

(٤) ولا تستبدلوا بالآيات التى نزلت فى التوراة فى نعت محمد عرضا يسيرا ، بأن تكتموها خوفا على رياستكم ومنافعكم أن تزول .

(٥) اتقونى وحدى بالايمان واتباع الحق والاعراض عن متاع الدنيا ، وفى قوله تعالى : « وإياي فاتقون » من قصر التقوى على الله سبحانه ما سبق أن بينته فى قوله عز وجل : « وإياي فارهبون » .

(٦) جمعوا بين الجريمتين : خلط الحق بالباطل ، وكتمانهم ، فكل منهما جريمة .

(٧) فقد كان ابحارهم ورؤساؤهم يتقاضون منهم الهدايا والاموال اجرا لتعليمهم الدين ، ويفرضون عليهم الاتوات ويأخذون منهم كل عام شيئا من زرعهم وضرعهم .

• ابتغاء عرض الدنيا ، والتمن القليل •

وانما وصف الثمن - طم وكثر - بالقلّة ، لان ما عدا الحق قليل وحقير ، فان من جاء : عزة الحق خسر عقله ، وخسر منزلة الرضا عند ربه ، وآثر ما يفنى على ما يبقى ، وما أعظهما من خسارة ! •

ومما يزيد كفرهم ، واشتراءهم بالآيات ثمنا قليلا ، ولبسهم الحق بالباطل ، وكتمانهم الحق - مما يزيد جرائمهم فحشا علمهم بالحق ، فهم ممن أضله الله على علم ، ولذا قال سبحانه : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » أى والحال أنكم عالمون بالحق ، وليس لكم عذر بجهل ، وما أقبح صدور الذنب ممن يرتكبه وهو عالم •

وهذه الآية - وان كانت خاصة ببني اسرائيل - فانها تتناول فعل غيرهم ، فمن أخذ مالا على تغيير حق أو ابطاله ، أو رفض أن يقول ما يعلمه حتى يأخذ عليه أجرا فقد دخل في مقتضى هذه الآية •

### الاعمال الصالحة بعد الايمان :

• «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » •

بعد أن دعاهم الله الى الايمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الحق مصدقا لما معهم - أمرهم بالاعمال الصالحة ، فان الايمان كالاساس ، والعمل الصالح كالبناء عليه •

والمذكور في الآية عملان من الاعمال الصالحة :

أولهما : اقام الصلاة ، والصلاة عنوان العبادة البدنية ، ومعراج الارواح للمناجيين ربهم • وهى عماد الدين •

واقام الصلاة ، أداؤها مقامة لا عوج فيها ، محكمة لا خلل فيها ، مقرونة بالخشوع لله ، والتوجه الكلى لله ، واستحضار عظمة الله وألوهيته •

وثانيهما : ايتاء الزكاة ، والزكاة هي العبادة المالية ، وهي أثر من أجل آثار الايمان ، تعالج مرض الشح والبخل في النفس « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وهي من أعم عوامل الاصلاح الاجتماعي ، وعنوان الشفقة من أغنياء المؤمنين على اخوانهم الفقراء والمساكين •

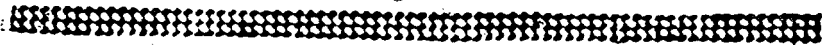
وقد اقتصر على اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، لاهميتها بين أركان الاسلام • و « أل » في « الصلاة » و « الزكاة » للعهد ، فالمعنى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » المعهودتين ، والمعهود : إنما هو صلاة المسلمين وزكاتهم ، أمر الله بهما بنى اسرائيل — بعد أمرهم بالايمان والتقوى •• — ليجمعوا بين الايمان والعمل الصالح •

« واركعوا مع الراكعين » وصلوا مع المصلين في جماعة ، فانها تفضل صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة ، لما فيها من اجتماع النفوس ، وتألف القلوب • والتعبير عن الصلاة بالركوع يشعر بأن الصلاة المطلوبة صلاة المسلمين ، فان صلاة اليهود لا ركوع فيها ، من تسمية الكل ، وهو « الصلاة » باسم جزئه ، وهو « الركوع » وذلك معروف في اللغة ، وأمثله كثيرة •

ويصح أن يكون المعنى : « واخضعوا مع الخاضعين » فان من معاني الركوع : الخضوع •

نسأل الله أن يقوى ايماننا ، ويؤيدنا بالحق ، ويوفقنا للعمل الصالح ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، انه ولى التوفيق ••

عنتر حشاد





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْوَى

يقدمه: عن تراجم جشاد

٤ - سورة البقرة

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (٤٤) واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين (٤٥) الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون (٤٦) .

لا تزال الآيات تخاطب بنى إسرائيل ، وقد بدأت تبكت الرؤساء والأخبار (١) - الذين يتلون الكتاب ، وقد نصبوا أنفسهم لتعليم الناس أحكامه - على أنهم يتركون أنفسهم للشهوات والاهواء دون تزكية ولا تطهير ، مع أنهم في الوقت نفسه يأمرون الناس بالبر والخير ، ويحكمون لهم بالهدى والايمان ، أو يحكمون عليهم بالضلال والكفر : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

ويرشدهم الى الطريق الذى يقودهم الى الخير فى أنفسهم وفى جماعتهم : « واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون » .

(١) أخبار اليهود : علماؤهم ، جمع حبر (بفتح الحاء ، أم كسرهما) .

## ضلال علماء بنى اسرائيل :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » •

كان رؤساء اليهود وأخبارهم وعلماءهم الذين اطلعوا على التوراة الصحيحة وقرعوها ، وعرفوا مما ورد فيها أن محمدا رسول الله حقا — كانوا يأمرون من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم ممن تربطهم بهم رابطة قرابة ، أو مصاهرة ، أو رضاع ، ممن يثقون بهم — يأمرونهم سرا بالثبات على دين الاسلام ، لا اعتقادهم أنه الدين الحق ، « كان الرجل منهم يقول لصهره وذوى قرابته ولن بينه وبينهم رضاع من المسلمين : أثبت على الدين الذى أنت عليه ، وما يأمرك به هذا الرجل ، فان أمره حق ، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه (١) » فنزلت هذه الآية الكريمة (٢) ، توبيخا من الله تعالى لبنى اسرائيل (٣) ، وتعجيبا من شأنهم كيف يأمرون غيرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والثبات على دينه ، ولا يؤمنون هم ؟ والخطاب — وان كان خاصا ببنى اسرائيل — عام من حيث المعنى لكل من يتأتى له الخطاب ، والعبرة — كما يقول علماء الاصول — بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ، فكل واعظ يأمر بالخير ولا يأتى عن الشر ولا ينجز يدخل في هذا التوبيخ والتعجيب :

يا أيها الرجل المعلم غيره

هلا انفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام (٤) وذو الضنى (٥)

كيما يصح به وأنت سقيم

---

(١) قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . ارجع الى أسباب النزول للواحدى ، وأسباب النزول للسيوطى . (٢) الآية ٤٤ من سورة البقرة (٣) فلهزمة فى « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب » للاستفهام المقصود به التوبيخ والانكار والتعجيب ، وهذا التوبيخ ليس على أمر الناس بالبر ، وانما على نسيان أنفسهم وتركها فى الضلال والكفر وهم يأمرون الناس بالايمان والخير ، ويتلون التوراة .  
(٤) السقام ( بفتح السين المشددة ) : طول المرض ، وذو السقام : من طال مرضه . (٥) الضنى : اشتداد المرض المسبب للهزال .

لا تنه عن خلق وتأتى مثله

عار عليك - اذا فعلت - عظيم

وفي الحديث : يجاء (١) بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار فتدلق أقتابه (٢) في النار ، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أى فلان (٣) ، ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى (٤) عن المنكر (٥) ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتية ، وأنهاكم عن المنكر وآتية (٦) » •

والبر : الايمان والعمل الصالح والخلق الكريم ، فهو التوسع في الخير والطاعات (٧) ، مأخوذ من ( البر ) بفتح الباء ، وهو الفضاء الواسع ، وأصل كل بر : الايمان بما جاء به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أحبار اليهود يأمرون الناس بالطاعة ، والكف عن المعصية ، ويأمرونهم بالصدقة ولا يفعلون ذلك ، ولذا قال سبحانه : (وتتسون (٨) أنفسكم ) : تتركونها في الضلال دون تركية وتطهير ، كما يترك الشيء المنسى ، مبالغة في وصفهم بالغفلة ، وعدم المبالاة بما ينبغى فعله في حقها •

( وأنتم تتلون الكتاب (٩) ) تقرأون التوراة وتدرسونها •

- (١) يضم الياء وفتح الجيم : مبنى للمجهول ، من الفعل ( يجيء ) .
- (٢) الاقتاب : الإمعاء ( جمع قتب بكسر القاف وسكون التاء ) ، والاندلاق : الخروج بسرعة ، أى تنصب أمعاؤه من جوفه ، وتخرج من دبره .
- (٣) وفي رواية : يا فلان ، والمعنى واحد .
- (٤) وفي رواية : وتنهانا .
- (٥) والاستفهام في هذه الجملة استفهام استخبارى .
- (٦) الحديث من : باب صفة النار وأنها مخلوقة ، من كتاب : بدء الخلق ج ٤ من صحيح البخارى .
- (٧) وآية البر من هذه السورة ( آية ١٧٧ ) قد جاءت بكثير من أنواع البر في العقيدة ، والعبادة ، والخلق .
- (٨) النسيان في الأصل : السهو الحادث بعد العلم ، ولا مؤاخذه فيه ، ولذا كان المراد به هنا : الترك ، فان أحدا لا ينسى نفسه ، كما في قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم » أى : فلم يقدموا لها ما ينفعها عند الله ، من آية ١٩ من سورة الحشر .
- (٩) المقصود بالكتاب : التوراة ، كما قال الجمهور ، وهو الظاهر .

( أفلا تعقلون ) قبح صنيعكم شرعا لمخالفته ما في الكتاب فقد جاء في التوراة قبح مخالفة انفع للتول ، وفي القرآن : « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا (١) عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (٢) » وقبحه عقلا أيضا ، فان الداعية الى الخير ينبغي أن يكون قدوة طيبة فيما يدعو اليه لكي يستجيب الناس له ، ويقتدون به .

## الاستعانة بالصبر والصلاة :

« واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين .  
الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون » .  
لما أمر الله - تعالى - بنى اسرائيل عامة ، وأحبارهم خاصة بفرك الضلال والاضلال ، والتزام الشرائع ، والايمان بالقرآن الكريم ، وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من مخالفة طبعهم ، وحبهم الرياسة والجاه والمال - طلب منهم أن يستعينوا على ذلك كله بالصبر والصلاة ، فانهما كفيلان بتذليل الصعاب وازالة العقبات التي تعترض في سبيل الهدى والبر الأمور بهما ، وهما الزاد الذي لا بد منه لمواجهة كل مشقة ، وأول المشقات مشقة النزول عن القيادة والرياسة والنفع والكسب احتراما للحق وايثارا له ، واعترافا بالحقيقة وخضوعا لها .  
والصبر : ضبط النفس ، والسيطرة عليها ، بحيث تحتل ما تكره انتظارا للفرج ، وتمتتع عن لذائذها وشهواتها المحرمة ، وتواظب على طاعة الله .

وهو صفة الصالحين ، فهم لا يقنطون من رحمة الله اذا مسهم البلاء ، ولا يطفون اذا مستهم النعماء ، ولا يقصرون في طاعة ، ولا يندفعون في معصية .

والصبر دعامة كل عمل صالح ، ومعين على اجتياز المصاعب : صبر على مشقة الطاعات ، وصبر عن ارتكاب المحرمات ، وصبر على مكاره الشدائد والمحن .

(١) المقت : أشد البغض .

(٢) الأيتان ٢ ، ٣ من سورة الصف .

وكما يستعان بالصبر — يستعان أيضا بالصلاة ، فهي صلة ولقاء بين العبد وربّه ، عبادة نفسية وبدنية ، فيها اظهار الخشوع لله ، وكل ذلك يزكى أنفوس ويقويها على احتمال التكليف واستدائد .

ولقد استثنى الله تعالى الصابرين الذين يعملون الصالحات من الانسان اليئوس الكفور في الضراء ، الفرح الفخور في النعماء ، اذ يقول سبحانه : « ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور ، ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور ، الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير (١) » .

وكذلك استثنى المصلين من الهلوع ، والجزوع (٢) بقوله سبحانه : « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا (٣) ، الا المصلين (٤) » .

ولذا حث الله نبيه وأمته عليها بقوله : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » ١٣٢ من سورة طه . وكان النبي — صلى الله عليه وسلم — اذا حزبه (٥) أمر بادر الى الصلاة .

ويحتمل أن يراد بالصلاة : معناها اللغوي ، وهو الدعاء ، فانه من خير ما يستعان به .

(١) يئوس ، وكفور ، وفرح ، وفخور : كلها صيغ مبالغة بوزن : فعول ، وفعل ( بكسر العين ) من اليأس ، والكفر ، والفرح ( بفتح الراء ) ، والفخر ، والآيات من ٩ — الى ١١ من سورة هود .

(٢) الهلوع : صيغة مبالغة ، من ( الهلع ) وهو : كثير الجزع ، شديد الحرص . والجزوع : صيغة مبالغة من ( الجزع ) وهو : شديد الحزن اذا مسه الشر ، كما في آيات سورة المعارج الآتية .

(٣) منوع : صيغة مبالغة من ( المنع ) وهو : المبالغ في المنع والامسك والبخل اذا مسه الغنى ، وكثر عنده المال ، لا ينفقه في طاعة ، ولا يؤدي منه حق الله فيه .

(٤) الآيات من ١٩ — الى ٢٢ من سورة المعارج .

(٥) حزبه أمر : نزل به أمر ، واشتد به ، وكان من دعائه — صلى الله عليه وسلم — : « اللهم أنت عدتي ان حزبت » (بضم الحاء وكسر الزاي في هذا الدعاء) .

والخطاب موجه الى اليهود بعد دعوتهم الى الايمان والعمل الصالح ، ليجمعوا — الى الايمان المطلوب — هذه العبادات • فكأنه قيل : ولا تكتفوا الحق — وهو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم — فأعلنوه وآمنوا به ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصلوا مع المسلمين من المسلمين ، بعد ايمانكم ، ولا تأمروا الناس بالبر على حين تهملون أنفسكم ، وأول خصال البر والخير هو : الايمان • واستعينوا بالصبر والصلاة على الامر كله •

والخطاب — وان كان موجها أصلا لليهود — له صفة العموم في الحكم لجميع المسلمين أيضا ، وسيأتى ذلك في السورة نفسها في قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين (١) » •

(وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وان الصلاة لصعبة ثقيلة الا على الخاشعين الخاضعين بقلوبهم لله ، كما قال تعالى في وصف المنافقين : « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا (٢) » •

أما الخاشعون الذين يرون الصلاة حقا لله تعالى ، وينتظرون حسن الجزاء عليها فانهم يحبونها ، ويسرون بها ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « وجعلت قرّة عيني في الصلاة » •

والخشوع : سكون النفس ، واطمئنان القلب ، والتسليم لاحكام الله ، وأكثر ما يستعمل فيما يظهر على الجوارح ، كما قال تعالى في وصف المؤمنين الفلحين : « الذين هم في صلاتهم خاشعون (٣) » •

وأما الخشوع المتكلف — بالتباكي وطأأة الرأس — فهو مذموم شرعا ، وهو من الرياء ، يفعله الجهال ، منتظرين من الناس الثناء والاجلال • ولهذا قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — لشاب نكس رأسه : « يا هذا ، ارفع رأسك ، فان الخشوع لا يزيد على ما في القلب » •

(١) الآية ١٥٣ •

(٢) من الآية ١٤٢ من سورة النساء •

(٣) الآية ٢ من سورة « المؤمنون » •

والصلاة هينة سهلة على الخاشعين الذين يوقنون باليوم الآخر ،  
ولقاء ربهم ، وأنهم راجعون اليه بالبعث للحساب والجزاء : « الذين  
يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون »

والظن - في الاصل - معناه : ادراك الطرف الراجح من احتمالين  
أو أكثر . فهو دون العلم واليقين ، ولكن المراد هنا - وفي كثير من آيات  
القرآن الكريم - العلم واليقين ، إذ أن مجرد الظن لا يكفي فيما يجب  
الايمان به ، ومنه لقاء الله والبعث ، ونظير ذلك : « انى ظننت أنى ملاق  
حسابيه (١) » ، « ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا  
عنها مصرفا (٢) » .

وهذه الآيات الثلاث - وان نزلت في علماء بنى اسرائيل - فالحكم  
فيها عام ، يشترك فيه علماء الاسلام ، ورجال جميع الرسالات السماوية  
من قبل ، فهو مبدأ مقرر فيها ، فمن أمر بالبر والخير ينبغى له أن يسبق  
من يدعوه اليه ، فلا ينسى نفسه وهو يذكر الناس ، فان الدعوة الى البر  
والمخالفة عنه في سلوك الداعين اليه هي الآفة التى تصيب النفوس  
بالمشك لا فى الدعاة وحدهم ، ولكن فى الدعوات ذاتها ، وهى التى تبلبل  
قلوب الناس وأفكارهم ، لانهم يسمعون قولاً جميلاً ، ويشهدون فعلاً  
قبيحاً ، فتنتملكهم الحيرة بين القول والفعل ، وتخبو فى أرواحهم الشعلة  
التي توقدها العقيدة ، وينطفئ فى قلوبهم النور الذى يشعه الايمان ،  
ولا يعودون يثقون فى الدين ، بعد ما فقدوا ثقتهم بعلماء الدين .

وعلى الداعية كذلك - بل على كل انسان - أن يستعين بالصبر  
والصلاة على قهر النفس وتطويعها للبر ، وعلى تحمل مشاق الحياة  
ومتاعها وعلى ما يصادفه فى سبيل الدعوة الى الله ، فانهما يمنحان  
النفس قوة الاحتمال ، ويسهلان لها صعاب الامور : « أقم الصلاة  
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم  
الأمر (٣) » .

عنتر حشاد

- (١) الآية ٢٠ من سورة الحاقة .
- (٢) الآية ٥٣ من سورة الكهف .
- (٣) من الآية ١٧ من سورة لقمان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيرِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

« يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى  
فضلتكم على العالمين (٤٧) واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس  
شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون (٤٨)  
واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم  
ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤٩) واذ فرقنا  
بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون (٥٠) » .

تعود الآيات الى نداء بنى اسرائيل ، فتذكرهم مرة أخرى بالنعمة  
التي أنعم الله بها عليهم فى شخص أسلافهم (١) ، وتفضيلهم على  
العالمين فى زمانهم ، وقت استخلافهم واختيارهم وايمانهم (٢)  
« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على  
العالمين » .

(١) بعد أن نادتهم وذكرتهم بهذه النعمة فيما سبق : « يا بنى اسرائيل  
اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم » من الآية ٤٠ من السورة .

(٢) فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم ، وعصوا انبياءهم ، وجحدوا نعمة  
الله عليهم ، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة  
والغضب والذلة والمسكنة ، وقضى عليهم بالتشريد ، وحق عليهم الوعيد  
كما سيأتى قريبا فى الآية ٦١ : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب  
من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ،  
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .



وتحذروهم ذلك اليوم المخيف ، يوم العدل والقصاص : « واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها شفاعة ، ولا يؤخذ منها عدل ، ولا هم ينصرون » •

ثم تأخذ بهم الى الماضى فتذكرهم بتتجية أسلافهم من فرعون، وقد كان يذيقهم سوء العذاب ، يذبح أبناءهم ، ويترك نساءهم ، وتذكرهم بأن انجاءهم كان بأسلوب الهى لا قدرة للانسان عليه ، ولا سبيل له فى الاهتداء اليه : كان بفلق البحر .، وتهيئة طريق ييس (١) لهم فيه ، حتى اذا ما جاوز الله بهم البحر ، ونجوا جميعاً ، وأتبعهم فرعون وجنوده أطبق البحر على فرعون وقومه ، وغشيهم من اليم ما غشيهم ، وأضل فرعون قومه وما هدى : « واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ، واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقتنا آل فرعون وأنتم تنظرون » •

### تذكير بنى اسرائيل مرة أخرى بالنعمة :

« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين » •

كررت الآيات نداءهم وتذكيرهم بنعمته تعالى عليهم — بعد ما سبق هذا النداء والتذكير فى الآية ٤٠ — للتوكيد ، وربط ما بعده — من الوعيد الشديد — بتجاهل هذه النعمة ، وعدم ذكرها ، وشكر الله تعالى عليها بالايمان والعمل الصالح •

« وأنى فضيلتكم على العالمين » فضل الله تعالى آباء هؤلاء المعاصرين للنبي — صلى الله عليه وسلم — الذين كانوا قبل أن تنسخ شريعتهم وتقبل أن يضلوا ، فضلهم على عالمى زمانهم ، لا على من مضوا من قبلهم ، ولا على من يجىء من بعدهم •

وتفضيلهم على عالمى زمانهم انما كان بما منحهم الله تعالى من

---

(١) ييس (بفتح الباء) كما فى آية ٧٧ من سورة طه : يابس لا ماء فيه ولا طين .

النعم المشار إليها في هذه الآيات اجمالاً ، وفيما بعدها تفصيلاً ، وفي قوله تعالى : « واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء (١) وجعلكم ملوكاً (٢) وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين (٣) » .

ولا يفهم من الآية تفضيلهم على النبي محمد — صلى الله عليه وسلم — وأمته ، فإنه — عليه الصلاة والسلام — وأمته أفضل منهم . قال تعالى موجهها كلامه لآمة محمد — صلى الله عليه وسلم — : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٤) » وقال — سبحانه — مخاطباً لها أيضاً : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً (٥) لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً (٦) » .

### تحذيرهم من يوم القيامة :

« واتقوا يوماً لا تجزى (٧) نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل (٨) ولا هم ينصرون » . اتقوا يوم الحساب ، واحذروا أهواله وعذابه بالايمن والعمل الصالح ، فهو يوم لا تغنى فيه نفس عن نفس شيئاً ، وكل امرئ بما

(١) جعل فيكم أنبياء كثيرين ، يبلغونكم الخير ، ويرشدونكم الى سواء السبيل ، ولم يبعث في أمة من الامم من الانبياء مثل ما بعث في بنى اسرائيل . (٢) وجعلكم أحرارا تملكون أمور انفسكم وأموالكم ، بعد أن كنتم عبيداً مستنذلين لفرعون وجنده .

(٣) الآية ٢٠ من سورة المائدة .

(٤) من الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٥) وسطاً : خياراً عدولاً ، وفي التنزيل ( في الآية ٢٨ من سورة القلم ) : « قال أوسطهم » : أى أعدلهم وخيرهم ، والصلاة الوسطى : الفضلى .

(٦) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة .

(٧) تجزى ( بفتح التاء ) من جزى ، والمعنى : لا تقضى ولا تؤدى نفس عن نفس شيئاً من الحقوق ، و ( شيئاً ) مفعول به ، وفي قراءة : ( لا تجزىء ) بضم التاء من أجزاء عنه ، اذا أغنى ، والمعنى : لا تغنى نفس عن نفس شيئاً من الاغناء ، ولا تجديها نفعاً ، و ( شيئاً ) مفعول مطلق .

(٨) العدل : ما يساوى الشيء قيمة وقدراً ، والمتصود به الفدية ، لانها تساوى المفدى وتجزىء عنه .

كسب رهين «يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله (١)»  
 «يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم (٢)» ولا  
 يقبل من هذه النفس الكافرة شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيح ، ولو أعطت  
 فدية لم تقبل ولم تؤخذ منها « فاليوم لا يؤخذ منكم (٣) فدية ولا من  
 الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم (٤) وبئس المصير (٥)»  
 « ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض  
 ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين (٦)»  
 « يود المجرم (٧) لو يفتدى من عذاب يومئذ (٨) ببنيه ، وصاحبته وأخيه ،  
 وفصيلته (٩) التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه (١٠)» ،  
 كلا (١١) « وفي هذا اليوم لا ينصرون أيضاً ، فليست هناك من قوة تنصرهم  
 وتعينهم وتمنعهم من عذاب الله حتى يفلتوا من العقاب ، فهم ونصراؤهم  
 مقهورون تحت سلطانه تعالى .

وقد سدت عليهم الآية — بما تقدم — طرق الافلات من العقاب،  
 بما بينته من أنهم لا ينجون من العذاب باغناء نفس عنهم ، ولا بشفاعة  
 شفيح لهم ، ولا بفداء يقدمونه ، ولا بنصير يحميهم ويخلصهم من عذاب  
 الله بقوته وجاهه .

\* \* \*

- (١) الآية الأخيرة ( آية ١٩ ) من سورة الانفطار .
- (٢) آيتا ٨٨ و ٨٩ من سورة الشعراء .
- (٣) الخطاب للمنافقين ، كما يفهم من سياق الآيات قبلها .
- (٤) هي مولاكم : النار أولى بكم .
- (٥) الآية ١٥ من سورة الحديد .
- (٦) الآية ٩١ من سورة آل عمران .
- (٧) الكافر .
- (٨) يومئذ ( بكسر الميم ) .
- (٩) فصيلته : عشيرته الاقربين .
- (١٠) ثم ينجيه ذلك الافتداء .
- (١١) كلا : ردع للمجرم عن هذا التمني ، وتيئيس له من الانجاء ،  
 والآيات من ١١ — الى ١٥ من سورة المعارج .

## تفصيل هذه النعم :

أ و ب : نعمة مزدوجة : تنجية الله بنى اسرائيل من عذاب آل فرعون ،  
واغراق عدوهم :

« واذ (١) نجيناكم من آل فرعون (٢) يسومونكم (٣) سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم (٤) وفي ذلكم بلاء (٥) من ربكم عظيم ، واذ فرقنا بكم (٦) البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون » .

واذكروا أيها اليهود نعمتى عليكم بانجائكم من عدوكم فرعون فى عهد موسى عليه السلام ، نجينا آباءكم من ظلم فرعون وقومه ، اذ كانوا يستعبدونهم ، ويذيقونهم العذاب ألوانا ، بتسخيرهم فى بناء المعابد ، واقامة الهياكل ، وتذبيح الاطفال الذكور ، وابقاء البنات أحياء لخدمته ، كما كان يقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه ، والتجمع لافساد أمره .

(١) كلمة « اذ » تكررت خمس عشرة مرة فى القصص الخاصة ببنى اسرائيل ، وهى فى اللغة : ظرف لما مضى من الزمان ، بخلاف « اذا » معانها فى اللغة : ظرف لما يستقبل من الزمان ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة المدثر : « والليل اذ ادبر ، والصبح اذا أسفر » الآيتان ٣٣ و ٣٤ ، والمعنى : واذكروا اذ نجيناكم ( وقت تنجيتنا لكم ) والمراد من ذكر الوقت : تذكر ما وقع فيه من النعم والحوادث ، لعل ذلك يفيدهم العبرة ، ويهيبهم نفوسهم للتوبة والاستجابة لأمر الله .

(٢) آل فرعون : أهل مصر ، وفرعون : لقب لكل من ملك مصر فى ذلك العهد .

(٣) يسومونكم : يذيقونكم .

(٤) يستحيون نساءكم : يستبقونهن أحياء ليستخدموهن .

(٥) بلاء : اختبار وامتحان بالحن المقتضية للصبر ، أو المنح المقتضية للشكر ، وقد امتحن بنو اسرائيل بالحن والمنح جميعا ، بعذاب فرعون ، وبنجاتهم منه .

(٦) فصلنا لكم البحر الأحمر فانفلق ، وانحسر الماء عن اثنى عشر طريقا يبسا لتعبروه .

وقيل في سبب ذلك : ان فرعون خاف من ذهاب ملكه على يد مولود من بنى اسرائيل ، ففعل ما فعل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا ، وكان — هو ورعيته — الى جانب ذلك يستخدمونهم في الاعمال الشاقة المهينة • وفي ذلكم التعذيب والانجاء بلاء واختبار بالضار ، وهو التذبيح والاستحياء ليصبروا ، وبالسار وهو تنجيتهم من عدوهم ليشكروا ، ولا تخلو اختبارات الله تعالى وبلاؤه لعباده من حكم ، ولذا قال : « بلاء من ربكم » مربيكم ، ومتولى أموركم الذى يبيلوكم بالشر والخير فتنه وامتحانا ، ليثيب من شكر على السراء ، وصبر في الضراء من المؤمنين ، ويحرم الثواب من لم يشكر ، ولم يصبر ، وقد جاء فيما رواه أبو يعقوب صهيب بن سنان عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه : « عجا لأمر المؤمن ، ان أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » •

ولا شك أن نعمة انجاء بنى اسرائيل من عدوهم نعمة جلييلة الشأن ، ولهذا تكرر تذكيرهم بهذه النعمة في مواضع متعددة من القرآن الكريم ، لحملهم على الايمان والطاعة والشكر ، من ذلك :

١ — قوله تعالى في سورة طه : « يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم (١) » •

٢ — وقوله تعالى في سورة الأعراف : « واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٢) » •

٣ — وقوله تعالى في سورة ابراهيم : « واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٣) » •

(١) من آية ٨٠ .

(٢) آية ١٤١ .

(٣) آية ٦ .

فهذه الآيات الكريمة وغيرها مما هي في معناها فيها تذكير لبني إسرائيل بنعمة من أجل نعم الله عليهم ، حيث أنجاهم — سبحانه — ممن أراد لهم السوء ، وعمل على قتلهم وبادتتهم ، واستئصال شأفتهم ، وفي ذلك ما يدعوهم الى الاجتهاد في شكر الله — عز وجل — لو كانوا ممن يحسنون شكر النعم •

ومما تجدر ملاحظته في الفرق بين آية سورة البقرة وآية سورة ابراهيم أن جملة « يذبحون أبناءكم » في آية البقرة « يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم » جاءت بدون عطف ، فلم تسبق بالواو ، لأنها بيان وتفسير لجملة « يسومونكم سوء العذاب » فيكون المراد من سوء العذاب هنا تذبيح الأبناء ، واستحياء النساء • أما في سورة ابراهيم فقد جاءت معطوفة ومسبوقة بالواو : « يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم » مما يشعر بالتغاير بين المعطوف والمعطوف عليه ، بين سوء العذاب وتذبيح الأبناء ، فسوء العذاب نوع ، وتذبيح الأبناء نوع آخر من العذاب ، والجملة الثانية : « ويذبحون أبناءكم » ليست مفسرة للجملة الأولى : « يسومونكم سوء العذاب » وإنما هي تمثل نوعا آخر من المحن التي حلت بهم •

وقد رجح كثير من المفسرين أن المراد بالأبناء في قوله تعالى : « يذبحون أبناءكم » — الأطفال دون البالغين ، لأن قتل جميع الرجال لا يفيدهم ، حيث أنهم كانوا يستعملونهم في الأعمال الشاقة والحقيرة ، ولأنه لو كان المقصود بالذبح الرجال ( الكبار ) لما قامت أم موسى بالقائه في اليم وهو طفل صغير لتجنيه من الذبح •

وجعلت الآية الكريمة استحياء الناس عقوبة لليهود — وهو في ظاهره خير — لأن هذا الابقاء عليهن كان المقصود منه الاعتداء على أعراضهن ، واستعمالهن في الخدمة ، وإذلالهن بالاسترقاق ، فبقاؤهن على هذه الحال بقاء ذليل ، وعذاب أليم ، تأباه النفوس الكريمة ، والطباع الطيبة •

## وفي ذبح الذكور دون الاناث مضرة من وجوه :

أحدها : أن ذبح الابناء سبب في فناء الرجال ، وانقطاع النسل ، لأن النساء اذا انفردن فلا تأثير لهن البتة في ذلك ، وهذا يفضى في نهاية الأمر الى هلاك الرجال والنساء جميعا .

ثانيها : أن هلاك الرجال يؤدي الى فساد مصالح النساء في أمر المعيشة ، فان المرأة لتتمنى الموت اذا انقطع عنها تعهد الرجال ، لما قد تقع فيه من نكد العيش بالانفراد ، فصارت هذه الخطة (١) عظيمة في المحن ، وكانت النجاة منها أعظم نعمة .

ثالثها : أن قتل الولد عقب الحمل الطويل ، وتحمل الكد ، والرجاء القوي في الانتفاع به — من أعظم العذاب ، فنعمة الله في تخليصهم من هذه المحنة كبيرة .

رابعها : أن بقاء النساء بدون الذكران من أقاربهن يؤدي الى صيرورتهن مستفرشات للاعداء ، وذلك نهاية الذل والهوان .

\* \* \*

ثم ذكرهم — سبحانه — بعد ذلك بنعمة أخرى عظيمة حصل بها تمام تنجيتهم من عدوهم ، وتجلي فيها اكرام الله لهم ، وهي نعمة فرق البحر بهم ، وانجائهم ، واغراق عدوهم آل فرعون وهم ينظرون : « واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون » . وملخص هذه النعمة : أن الله — عز وجل — أوحى الى نبيه موسى — عليه السلام — أن يرحل ببني اسرائيل ليلا من أرض مصر التي طال عذابهم فيها ، ونفذ موسى — عليه السلام — ما أمره به الله تعالى — ولما علم فرعون بخروجهم تبعهم بجيش كبير ، وأدركهم مع طلوع الشمس قرب ساحل البحر الاحمر ، وأيقن بنو اسرائيل عندما رأوه أنه مهلكهم لا محالة ، ولجئوا الى موسى — عليه السلام — يشكون اليه خوفهم وفزعهم ، ولكنه رد عليهم بقوله : « ان معي ربي سيهدين » وأوحى الله اليه « أن اضرب بعصاك البحر » فضربه « فانفلق فكان كل

(١) الخطة ( بضم الخاء ) .

«فرق كالطود (١) العظيم» وأمر موسى — عليه السلام — بنى اسرائيل أن يعبروا فعبروا (٢) دون أن يمسه أذى ، أو يصيبهم بلل ، واقتفى فرعون وجنوده أثرهم ، طمعا في ادراكهم ، وعندما عبر بنو اسرائيل البحر ، ولم يبق منهم أحد بين الياء المنحسرة — كان فرعون وجنوده ما زالوا في البحر ، فانطبق عليهم ، وعاد كما كان أولا ففرقوا جميعا ، وبنو اسرائيل ينظرون اليهم في دهشة وسرور .

ولا شك أن هذه الواقعة — واقعة انفصال البحر لموسى وقومه — معجزة كونية ، وليست حادثة طبيعية منشؤها المد والجزر ، كما زعم البعض ، فهو زعم لا سند له ولا دليل عليه .

وفي هذه الواقعة ما يرشد الى أن الأمور كلها بيد الله ، فانه لا عز في الدنيا أكمل مما كان لفرعون ، ولا ذل أشد مما كان لبنى اسرائيل ، ثم ان الله — تعالى — في لحظة واحدة جعل العزيز ذليلا ، والذليل عزيزا ، والقوى ضعيفا ، والضعيف قويا ، وذلك يوجب الاقبال على اتباع أوامر الخالق عز وجل ، رجاء رحمته وعزته : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وبذلك تكون هذه الآيات الكريمة قد ذكرت بنى اسرائيل بنعم الله — تعالى — عليهم ، لكي يشكروا خالقهم عليها ، ويتبعوا نبيه محمدا — صلى الله عليه وسلم — ولكنهم ما قاموا بواجب الشكر لخالقهم ، فحقت عليهم اللعنة في الدنيا ، والعقوبة في الآخرة ، جزاء جحودهم وطغيانهم ، وما ربك بظلام للعبيد .

رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى ، وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين .

## عنتر حشاد

(١) الطود : الجبل .

(٢) كان عبورهم من مكان شمالي المكان المعروف بـ « عيون موسى » وهى لا تبعد عن السويس كثيرا .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّفْسِيرِ

يقدمه: عنتر أحمد حشاد

٤ - سورة البقرة

واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون (٥١) ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون (٥٢) واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون (٥٣) واذا قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذاكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقبلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم (٥٤) .

لا تزال الآيات تذكر بني اسرائيل المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم بما أنعم به عليهم وعلى أسلافهم من قبل (١) ، فبعد أن ذكرتهم الآيات السابقة بتفضيل أسلافهم على عالمي زمانهم « وأنى فضلتكم على العالمين » وبتنجيتهم من آل فرعون « واذا نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ويفرق البحر بهم ، وانجائهم ، واغراق عدوهم آل فرعون (٢) وهم ينظرون « واذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون » - تذكرهم هذه الآيات بعفو الله تعالى

(١) وقد عرفنا في العدد السابق وفي كثير من المناسبات ان نعم الله على اسلافهم نعم عليهم ، فالنعم على الآباء والاجداد نعم على الابناء والاحفاد .  
(٢) ارجع الى عدد ٩ من المجلد السادس للمجلة «رمضان ١٣٩٨ هـ» لترى ذلك مفصلا .

عنهم حينما عبدوا العجل في غيبة موسى ، وقبول توبتهم ، وتذكرهم بنعمة انزال التوراة التي بها يعرفون الحلال والحرام ، ويفرقون بين الحق والباطل .

**مواعدة الله تعالى موسى ، وعبادة بنى اسرائيل العجل ، والعفو عنهم:**

« واذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون » .

وملخص هذه القصة أن قوم موسى بعد أن نجاهم الله تعالى ، وأغرق عدوهم أمام أعينهم طلبوا من نبيهم موسى أن يأتيهم من عند الله بكتاب ليعلموا أحكامه ، فوعده - سبحانه - أن يعطيه التوراة بعد أربعين ليلة ينقطع فيها للعبادة ، يصوم نهارها ، ويقضى ليلها في العبادة . وفي غيبة موسى لتلقى التوراة اتخذ بنو اسرائيل العجل : اتخذوا تمثالا على صورة العجل ، ولد البقرة الصغير ، صنعه لهم السامري من الحلي ، ووضع في مستقبل الريح ، فاذا دخلته أحدثت صوتا كخوار العجل ، فعبدوه لهذا ، واتخذوه لها من دون الله .

وقصة اتخاذ بنى اسرائيل للعجل ، وعبادته في غيبة موسى عليه السلام - عندما ذهب الى ميعاد ربه على الجبل - مفصلة في سورة طه المكية التي نزلت قبل سورة البقرة المدنية ، وهنا فقط يذكرهم بها ، وهي معروفة لديهم (١) ، يذكرهم بانحدارهم الى عبادة العجل بمجرد غيبة نبيهم الذي أنقذهم باسم الله من آل فرعون يسومونهم سوء العذاب ، ويصف حقيقة موقفهم في هذه العبادة « وأنتم ظالمون » ظالمون بوضع الشيء في غير موضعه ، ومجاوزة الحد ، ووضع العبادة في غير موضعها ، وظالمون لأنفسهم بتعريضها لعقاب الله « ان الشرك لظلم عظيم » ومن

(١) مذكورة بالتفصيل في الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج من الكتاب المقدس ص ١٣٩ ، وفي الترجمة الانجليزية بعنوان The Holy Bible « نشر توماس نلسن وأولاده ، نيويورك ، طبعة ١٩٠١ ص ٩٤ . وهي مفصلة أيضا في سورة الاعراف المكية .

أظلم ممن يترك عبادة الله ووصية نبيه ليعبد عجلا جسدا ، وقد أنقذه  
الله ممن كانوا يقصدون العجول •

ومع هذا فقد عفا الله تعالى عنهم حينما تابوا لكي يشكروه على  
عفوه وصفحه بالاستمرار في طاعته ، والكف عن معصيته ، ولزوم الصراط  
المستقيم •

وتذكير بنى اسرائيل بهذه النعمة يحمل في طياته التعجيب من حالهم ،  
لأنهم قابلوا نعم الله بأقبح أنواع الكفر والجهالة حيث عبدوا في غيبة  
نبيهم ما هو مثال في الغباوة والبلادة ، وهو العجل ، وفي هذا دليل  
غبائهم وقصر نظرهم •

وفي هاتين الآيتين - كذلك - تسرية عن النبي صلى الله عليه  
وسلم - وتسلية له عما كان يشاهده من اليهود المعاصرين للدعوة  
الاسلامية ، فكأنه - سبحانه - يقول له : ان ما قام به بنو اسرائيل  
معك من أذى وحقد يشبه ما فعله آباؤهم الأقدمون مع نبيهم موسى -  
عليه السلام - فقد اتخذوا في غيبته عجلا جسدا له خوار ، دون أن  
يفطنوا الى أنه لا يكلمهم ، ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين •



**إيتاء موسى التوراة لهداية بنى اسرائيل :**

« واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلمكم تهتدون »

هذه هي النعمة الخامسة على بنى اسرائيل ، نعمة اعطاء موسى  
نبيهم - عليه السلام - التوراة ، فيها صلاح أمورهم ، وانتظام  
شؤونهم ، فيها هدى ونور ، فيها ضياء وذكر ، فيها فرقان بين الحق  
والباطل ، والحلال والحرام ، فالمراد بالكتاب والفرقان : التوراة ، وقد  
وصفت بصفتين : أنها مكتوبة في الألواح ، وأنها فارقة بين الحق والباطل ،  
فهما صفتان متغايرتان لموصوف واحد وهو التوراة ، كما وصف القرآن

الكريم أيضا بهاتين الصفتين : « انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى(١) »  
« تبارك الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (٢) » •

والمعنى : ولقد آتينا موسى التوراة مكتوبة ، وفارقة بين الحق والباطل ، لكى يهتدى بذلك بنو اسرائيل الى الحق ، ويرجعوا عما هم فيه من ضلالة •

ولكن ماذا كان موقف بنى اسرائيل من كتابهم التوراة التى أنزلها الله لهدايتهم وسعادتهم ؟ كان موقفهم منها – كما هى عادتهم – موقف الجاحد لنعم الله ، فقد امتدت أيديهم الاثيمة اليها فحرفوها ، كما شاعت لهم أهواؤهم وشهواتهم ولقد وبخهم القرآن الكريم على ذلك ، وشبههم فى ترك العمل بها ، وعدم ائتناعهم بما فيها – بالحمار الذى يحمل كتب العلم ، ولكنه لا يدرى ما فيها ، ولا ينتفع بها ، وليس له منها الا التعب والحمل :

« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين (٣) » •

### طريقة توبة اليهود :

« واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم » •

بين الله فى هذه الآية طريقة توبة اليهود من عبادة العجل ، تلك التوبة التى استعقبت العفو عنهم •

(١) من آية ٣٠ من سورة الاحقاف ، والمراد بالكتاب هنا : القرآن •

(٢) آية ١ من سورة الفرقان ، والمراد بالفرقان هنا أيضا : القرآن •

(٣) آية ٥ من سورة الجمعة •

وقد ناداهم موسى عليه السلام بقوله : « يا قوم » تلطفا في الخطاب ، ليجذب قلوبهم الى سماعه ، وليحملهم على تلقي أوامره بحسن الطاعة ، وليشعرهم بأنهم قومه ، فهو منهم ، وهم منه ، والشأن فيمن كان كذلك أن يريد لهم الخير .

انكم ظلمتم أنفسكم ، اذ عرضتموها لعقاب الله ، باتخاذكم العجل لها فعبدتم تمثاله تقربا له ، مع أنه كأصله مخلوق لله ، ولا قدرة له على شيء في نفسه ولا غيره ، فتوبوا الى بارئكم ، الى الله الذي خلقكم بريئين من النقص وخلق الخلق بريئا من التفاوت « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » فاقتلوا أنفسكم ، ليقتل البريء (١) منكم المجرم ، فذلك القتل والتوبة خير لكم عند بارئكم وخالقكم من العدم في أحسن صورة .

وهذه الآية قد تضمنت نعمة كبرى على بنى اسرائيل ، فان الله — تعالى — قد لطف بهم ، ورحمهم ، وقبل توبتهم ، وعفا عن قتلهم أنفسهم ، بعد أن صدر منهم ما يدل على صدقهم في توبتهم .

كما تضمنت — أيضا — تذكير بنى اسرائيل المعاصرين للرسول — صلى الله عليه وسلم — بنعم الله عليهم في عفوهم عن آباؤهم وبسماحة الاسلام في قبول التوبة بمجرد الندم والرجوع الى الله — سبحانه — وبرفع الاصر والاعلال التي كانت على أسلافهم ، ليؤمنوا به ، وليتبعوا رسوله ، لعلهم يرحمون .

### عنتر هشاد

(١) والقتل : ازهاق الروح ، قال سفيان بن عيينة : كانت توبة يعني اسرائيل القتل .

قال الزهري : لما قيل لهم : « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم » قاموا صفيين ، وقتل بعضهم بعضا ، حتى قيل لهم : كفوا أيديكم ، فكان ذلك شهادة للمقتول ، وتوبة للحى . أو المراد : اجعلوا أنفسكم كالمقتولة بمزيد الغم والندم والاذلال على هذه الجريمة ، واقبلوا على طاعة الله تعالى ، ومما يرشح هذا المعنى ويقويه قراءة قتادة : « فاقتلوا أنفسكم » أى : ارفعوها من هذه الورطة بالتوبة والتزام الطاعة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيَةِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم  
الصاعقة وأنتم تنظرون (٥٥) ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم  
تشكرون (٥٦) وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا  
من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٥٧)

تذكر هذه الآيات بنى إسرائيل بنعم الله تعالى عليهم : بعلاجهم  
من أثر الصاعقة التي أخذتهم حينما تمردوا ، وقالوا لموسى : « لن نؤمن  
لك حتى نرى الله جهرة (١) » وبنعمة تظليلهم بالغمام (٢) في الصحراء  
يقيهم وهج الشمس ، وشدة البرد ، ونعمة انزال المن (٣) والسلوى (٤)  
إبقاء لهم « كلوا من طيبات ما رزقناكم » .

**النعمة السابعة : نعمة علاج بنى إسرائيل من أثر الصاعقة :**

« واذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم  
الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون »

(١) جهرة : عيانا ، مصدر ، وهي في الاصل تستعمل في رفع الصوت  
ووضوحه ، من قولك : جهرت بالقول ، وبالقراءة ، وبالدعاء ، ثم استعيرت  
للمعانية ووضوحها ، لما بينهما من الوضوح والانكشاف ، الا ان الاول  
في المسوعات ، والثاني في المرثيات .

(٢) الغمام : السحاب الابيض الرقيق .

(٣) المن : مادة كالصمغ ، حلوة كالعسل .

(٤) السلوى طائر كالسماني ، أو هو السماني نفسه .

أضفى الله تعالى على بني إسرائيل الآلاء (١) السابقة ، وقابلوها بالعناد والكفر ، حتى عبدوا العجل ، ودعاهم الى التوبة ، وكف نفوسهم عن أهوائها وشهواتها ، فلما تابوا قبل توبتهم « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون (٢) » .

ومع كثرة البيّنات التي قدمها موسى باذن من الله تعالى ، حتى كانت تسع آيات تعنتوا في الطلب ، وحسبوا أن الله تعالى كالحوادث له حيز ، بحيث يمكن أن يروه جهرة في الدنيا ، فقالوا : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » وكيف نؤمن بأن الله قد كلمك ، وليس عندنا دليل سوى روايتك ؟ فغضب الله تعالى عليهم بصلفهم وعنادهم ، وأنزل عليهم عقابه ، صاعقة (٣) أهلكتهم وأمانتهم (٤) .

فالآية سيقّت لبيان تعنتهم في طلب الآيات ، وتأثرهم بما قاله سيدهم فرعون ملك مصر لها مان : « ياها مان ابن لى صرحا (٥) لعلى أبلغ الأسباب (٦) أسباب السموات فأطلع الى اله موسى (٧) » .

وفي هذا عبرة وتسليّة لنبيّنا — صلى الله عليه وسلم — فيما لقيه من تعنت اليهود « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم (٨) » .

(١) الآلاء : النعم .

(٢) الآية ٥٢ من السورة .

(٣) الصاعقة : نار من السماء ، أو صيحة منها ، ومن معاني

الصاعقة : الموت ، وكل عذاب مهلك .

(٤) الموت في الآية « ثم بعثناكم من بعد موتكم » : مفارقة الروح

الجسد بدليل ذكر البعث معه ، وقال بعض العلماء : كان موتهم همودا لا موتا حقيقيا ، كما في قوله تعالى : « ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بهميت » والمراد من البعث على هذا : إعادة النشاط والصحو لهم ، وفي رأى ثالث : موتهم هو جهلهم الذي كانوا فيه ، وبعثهم : تعليمهم أحكام التوراة ، كما في قوله تعالى : « أو من كان ميتا فأحييناه » جاهلا فعلناه .

(٥) الصرح : البناء العالى .

(٦) الأسباب : جمع سبب ، وهو كل ما يتوصل به الى شيء آخر ،

كالجبل ، والسلم .

(٧) من آيتى ٣٦ و ٣٧ من سورة فاطر .

(٨) من آية ١٥٣ من سورة النساء .

والمعنى : واذكروا أيها اليهود المعاصرون للنبي — صلى الله عليه وسلم — اذ قال أبجدادكم لموسى — عليه السلام — : « لن نؤمن لك » أى لن نسلم لك مصدقين مدعين ، راضين مطمئنين ، ( هتى نرى الله جهرة ) أى حتى نراه مشاهدة وعيانا (١) ، وأن المعنى كما روى عن ابن عباس — رضى الله تعالى عنهما : واذ قلتم جهرة وعلانية غير مباليين : ياموسى لن نؤمن من أجل قولك حتى نرى الله (٢) « فأخذتكم الساعة » استولت عليكم ، وأهلكتمكم ، لفرط عنادكم ، وطلبكم المستحيل ، « وأنتم تنظرون » تنظرون الى الساعة ، وهى تصيبكم وتهلككم .

« ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » نعمته تعالى ببعثكم بعد الموت ، وتشكرون جميع نعمه بعد ما كفرتموها ، والمراد من شكرهم له تعالى ما يعم قيامهم بما كلفوا به ، وتركهم لما نهوا عنه قبل موتهم بالساعة ، فان الله بعد موتهم بعثهم ليشكروه تعالى بالعمل بما شرعه لهم قبل صعقهم ، حتى تغفر لهم جرائمهم ، فلفظ الشكر يتناول جميع الطاعات : « اعملوا آل داود شكرا (٣) » .

وقد اشتملت الآيتان الكريمتان — أيضا — على تحذير اليهود المعاصرين للعهد النبوى من محاربة الدعوة الاسلامية ، حتى لا يصابوا بما أصيب به أسلافهم من الصواعق وغيرها .

\* \* \*

**النعمة الثامنة : نعمة تظليلهم — فى الصحراء — بالنعام ، وأنزال المن والسلوى عليهم :**

« وظللنا عليكم النعام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

- 
- (١) فالجهرة صفة للرؤية ، أى نرى الله رؤية جهرة علانية .  
(٢) فالجهرة على هذا المعنى الثانى صفة لغولهم ، لا لرؤيتهم .  
(٣) من آية ١٢ من سورة سبأ .



نعمة أخرى ، بل نعمتان ، وهما : تظليلهم بالعمام ، ومنحهم المن والسلوى ، وتظليلهم بالعمام ، وانزال المن والسلوى عليهم كان في مدة تيههم أربعين سنة في الصحراء بين مصر والشام ، التيه المشار اليه بقوله تعالى في سورة المائدة : « قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض (١) » •

لما دخل بنو اسرائيل التيه قالوا لموسى - عليه السلام - كيف لنا بما هنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن يسقط على الشجر كالندى من الفجر الى طلوع الشمس ، والسلوى تسوقه لهم ريح الجنوب ، فيمسكونه قبضا بدون تعب ، يختارون من سمانها ، ويدعون غيرها ، يأتي أحدهم فينظر الى الطير ، فان كان سمينا ذبحه والا أرسله ، فاذا سمن أتاه « كلوا من طيبات ما رزقناكم » والمراد من طيبات الارزاق مستلذاتها ، فقالوا : هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر الله - تعالى - موسى أن يضرب بعصاه الحجر ، فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، فشرب كل سبط من عين (٢) ، فقالوا هذا الشراب ، فأين الظل ؟ فظلل الله عليهم العمام (٣) •

والمعنى : اذكروا يا بنى اسرائيل - من بين نعمى عليكم - نعمة اظلالكم بالعمام ، فلقد سيرناه لحمايتكم من لهيب الشمس في صحراء سيناء ، حيث لم يكن لكم ملجأ يقيكم قيظه ولفحه (٤) ، ونعمة منحى اياكم الطعام اللذيذ المشتهى (٥) بدون تعب منكم في تحصيله ، وقلنا

(١) من الآية ٢٦ .

(٢) كما سيجىء بعد في تفسير الآية ٦٠ من السورة .

(٣) فيما نقله ابن كثير عن السدى ( مع تصرف واطافة ) .

(٤) لقد خرجت مئات الآلاف من بنى اسرائيل من مصر الى صحراء سيناء المكشوفة التي لم يكن فيها مكان يلجئون اليه من حر الشمس ، ولم تكن معهم خيام ولا ما يماثلها ليحموا انفسهم بها ، ولولا ان غطى الله تعالى بقدرته صفحة السماء بالعمام لما احتجبت الشمس ، ولهلك بنو اسرائيل من قيظها .

(٥) المن والسلوى من الاطعمة الطبيعية التي وجدها بنو اسرائيل أربعين سنة متصلة في مهجرهم . ومن فضل الله ان كانت هذه الاغذية بكميات ضخمة ، حتى أن عاش عليها شعب بأكمله أربعين سنة دون أن =

لكم : كلوا من طيبات ما رزقناكم ومستلذاتها ، واشكروا ربكم الذى رزقكم هذه النعم ، ولكنكم كفرتم بها ، فظلمتم أنفسكم دون أن ينالنا من ذلك شيء ، لان الخلق جميعا لن يبلغوا ضرى فيضرونى ، ولن يبلغوا نفعى فينفعونى .

فالآيه الكريمة قد أشارت الى جحودهم النعمة بقوله تعالى : « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ، فالمعنى : « وما ظلمونا » بتركهم لشكرنا ، واقبالهم على معصيتنا ، واقتراحهم أدنى الأرزاق . وهو العدس والبصل ... بدلا من خيرها وهو المن والسلوى (١) « ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » والتعبير عن ظلمهم لأنفسهم بكلمة ( كانوا ) والفعل المضارع ( يظلمون ) يدل على أن ظلمهم لأنفسهم كان يتكرر منهم ، كما تقول فى ذم انسان ووصفه باسائة الناس : « كان يسىء الى الناس » بمعنى أن الاسائة كانت تصدر منه المرة تلو الأخرى .

فظلم بنى اسرائيل خلق دائم فيهم ، وطبع متأصل فى نفوسهم ، فعوذ بالله من الكفر والظلم ، ونسأله الايمان والشكر ، انه ولى التوفيق .

### عنتر حشاد

تنبيه : نأسف لوقوع خطأ مطبعى سهوا فى سطر ٢ ، صفحة ٤ من العدد السابق ، وصوابه :

« تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .  
فالفعل « نزل » بفتح النون ، وتشديد الزاى المفتوحة بدون همزة من التنزيل ، لا « أنزل » من الانزال ، فلزم التنويه والتنبيه راجين تصحيحه .

### بواجه تحطا او مجاعة .

ونشير هنا الى أن أكثر الدول تحضرا فى ايماننا هذه يصعب عليها تزويد بعض مئات الملايين من المهاجرين بالمؤن والطعام وما اليه مهما أوتيت من وسائل النقل ومهما وضعت تحت امرتها كافة سبل المواصلات فى العالم أجمع .

(١) والى ذلك الاشارة فى الآيه ٦١ من السورة ، كما سيجىء ان شاء الله .

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

« واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (٥٨) فبذل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٥٩) واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٦٠) » .

لا تزال الآيات تذكر بنى اسرائيل بنعم الله تعالى عليهم ، وبموقفهم من هذه النعم : موقف التكذيب والجحود ، والكفر والكنود (١) ، تذكرهم بتمكين الله تعالى اياهم من دخول القرية ، والتمتع بخيراتها ، وتأمرهم بشكر الله على نعمته ، وتقديرهم لفضله ورحمته ، واعترافهم بذنوبهم ، والتوبة الى ربهم ، ولكنهم مع هذا كله يستمرثون العصيان ، وينغمسون في الطغيان ، فينزل عليهم العذاب « رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » وهكذا نجد سنة الله فيمن يكفر بنعمه فلا يستمع لواجب الشكر ، ولا يقوم بحق العبودية ، وينزل في أفعاله وسلوكه على حكم الشهوة والهوى ، وأن لله في كل نعمة حقا فمن آداه زاده من نعمه ، ومن قصر عنه فقد خاطر بزوال نعمته .

ثم تستمر الآيات تذكرهم بهذه النعم فضلا ورحمة ، وتذكرهم

(١) الكنود : الجحود .

كذلك — بالنقم — عظة وتأديبا : أقاموا في صحراء التيه ، وانقطع عنهم الماء ، فطلب لهم موسى السقيا من ربه ، فيأمره أن يضرب الحجر بعصاه فتتفجر منه عيون الماء ، فيأكلون ويشربون ، ويأخذ الله عليهم العهد بألا يفسدوا في الأرض : « كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين » •

**تمكين بنى اسرائيل من دخول القرية ، والتمتع بخيراتها ، وجودهم هذه النعمة :**

« واذ قلنا ادخلوا هذه القرية (١) فكلوا منها حيث شئتم (٢) رغدا (٣) وادخلوا الباب سجدا (٤) وقولوا حطة (٥) نغفر لكم

(١) القرية : المدينة من قرية بمعنى جمعت ، يقال : قرى الماء في الحوض اذا جمعه ، وسميت بذلك لأنها تجمع الناس ، وقيل : القرية : مسكن القلة من الناس ، والمدينة : مسكن الكثرة منهم ، وهذه القرية على المشهور هي بيت المقدس ، أو أريحا ، ولكننا لم نجد دليلا يؤكد هذا القول المشهور ، وفي تفسير القرآن (باللغة الاردية) للعلامة أبى الاعلى المودودى قال ما نصه : « لم تحدد هذه القرية ولا موقعها . ولان هذه الواقعة حدثت حين كان بنو اسرائيل يتيهون في سيناء وشمال الجزيرة العربية — فهناك احتمال كبير أن تكون هذه القرية واحدة من قرى هذه المنطقة آنذاك . كما ان هناك احتمالا أن تكون هي قرية شطيم Shittim على نهر الاردن في مقابل مدينة جيرتشوه Jericho ولقد فتح بنو اسرائيل هذه المدينة — على حسب ما جاء في التوراة ، سفر العدد ، الاصحاح ٢٥ — خلال السنوات الاخيرة من حياة موسى عليه السلام ، ثم اقتربوا فيها الفواحش والزنا ، وغرقوا في لجج اللذات الحسية ، وأنزل الله بهم عقابا شديدا في صورة وباء فمك بأربعة وعشرين ألفا منهم » أه . بتصريف ، ومما لحظته في الترجمة العربية بعنوان تفهيم القرآن الجزء الاول ص ٧٤ تعريب الاستاذ أحمد ادريس أن قرية شطيم على الضفة الغربية لنهر الاردن، وفي الترجمة الانجليزية بعنوان The meaning of the Quran الجزء الاول ص ٨١ أنها على الضفة الشرقية ، اذ جاء ما نصه :

Shittim on the eastern bank of the Jordan

(٢) حيث شئتم : من أى مكان شئتم .

(٣) رغدا : أكلا واسعا هنيئا ، لا عناء فيه ، كما مر في ص ٤ من عدد جمادى الاولى ١٣٩٨ هـ .

(٤) سجدا : خضعا متواضعين خاشعين ، شأن التائب من ذنبه ، كما مر في ص ٣ من عدد جمادى الاولى ١٣٩٨ هـ .

(٥) حطة : من الحط بمعنى الوضع والانزال ، والمعنى : سؤالنا يارب ان تحط عنا ذنوبنا ، وتضع عنا أوزارنا .

خطاياكم (١) وسنزيد المحسنين (٢) ، فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم (٣) فأنزلنا على الذين ظلموا (٤) رجلاً (٥) من السماء (٦) بما كانوا يفسقون »

اذكروا يا بنى اسرائيل يوم قلنا لآبائكم على لسان موسى : ادخلوا هذه القرية بعد أن ضللتكم في صحراء سيناء هائمين على وجوهكم ، وستجدون فيها كل ما تشتهون من عيش هنيء ، على أن يكون دخولكم في خضوع وخشوع من باب عينه لكم موسى ، واسألوا الله عند دخولكم أن يحط عنكم خطاياكم ، قائلين : « حطة » ، فان فعلتم ذلك غفر الله لكم ذنوبكم ، ومن كان محسناً منكم زدناه ثواباً بعد أن نغفر خطاياهم ، ولكنكم بظلمكم خالفتم أوامر الله ، ففعلتم وقتلتم غير ما أمركم الله به ، استهزأ منكم وتمردا وعصيانا ، وتحريفاً للكلم عن مواضعه ، دخلتم الباب ترحفون على أستاذكم (٧) ، وتقولون : حنطة ، دخلتم هذه القرية كما يدخل الطغاة المتغطرسون ، ولم تدخلوها كما يدخل المتقون المؤمنون الذين يخشون ربهم ، كما دخل محمد عليه الصلاة والسلام مكة يوم الفتح ساجداً على ظهر دابته ، وخالفتم عن أمر الله ، فأنزل عليكم عذابه .

وأياماً كان وجودهم في التيه ، أو في هذه القرية — فوجدوهم في

(١) خطايا : جمع خطيئة ، مثل خطيئات من آية ١٦١ من سورة الاعراف ، أو جمع خطية ، بتشديد الياء بغير همز ، خلافاً لما جاء في ص ٣٠٢ ج ١ من تفسير ابن جرير ، إذ قصرها على جمع خطية ، فقال : والخطايا : جمع خطية — بغير همز ، كالمطايا جمع مطية .

(٢) وسنزيد المحسنين على احسانهم ثواباً فوق غفران خطاياهم .

(٣) اذ قالوا : « حنطة » تحريفاً للكلمة « حطة » كما هو شأنهم في تحريف الكلم عن مواضعه .

(٤) لم يقل : فأنزلنا عليهم ، وإنما قال : « فأنزلنا على الذين ظلموا » لتأكيد الوصفهم بأقبح الاوصاف وهو الظلم ، وبياناً لسبب عذابهم .

(٥) رجلاً : عذاباً ورائه لغة بالكسر والضم ، ومنه آية ٥ من سورة المدثر : « والرجز فاهجر » أى اهجراً أسباب العذاب .

(٦) من السماء : اشعاراً بأنه لا يمكن دفعه .

(٧) أدباركم ، والاستناه : حلقات الدبر .

أيهما وجود هجرة وايواء لا وجود تملك واستيطان واستيلاء ، فلا يكتسبون به حق انتزاعه من أهله العرب ، كما يدعون •

وفي هذا يقول الله تعالى أيضا في سورة الأعراف (١) :

« واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلا من السماء بما كانوا يظلمون • »

**استسقاء موسى لقومه بنى اسرائيل ، وسقيا الله تعالى لهم :**

« واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين • »

نعمة من أجل نعم الله تعالى على بنى اسرائيل ، وهي اغاثتهم في التيه بالماء بعد أن اشتد بهم العطش •

والاستسقاء : طلب السقيا من الله تعالى عند عدم الماء ، أو انحباس المطر ، وذلك عن طريق الدعاء لله — تعالى — في خشوع وتذلل واستكانة وقد سأل موسى ربه أن يسقى بنى اسرائيل الماء بعد أن استبد بهم العطش ، عندما كانوا في التيه •

وهذه النعمة كانت نافعة لهم في دنياهم ، باغاثتهم بالماء ، ولولاه لهلكوا ، وكانت نافعة لهم في دينهم ، بدلالتها على قدرة الله عز وجل ، وعلى صدق موسى عليه السلام في نبوته •

ومعنى الآية الكريمة : واذكروا أيها اليهود يوم أن استسقى موسى لكم حين اشتد بكم العطش في التيه ، فأمرناه أن يضرب بعصاه حجرا ، فضرب ، فسال الماء من اثنتى عشرة عينا منه ، فكان لكل سبط —

(١) الآيتان ١٦١ ، و ١٦٢ •

والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب — عين يشرب منها ، وكان  
الأسباط اثني عشر ، وهم ذرية أبناء يعقوب — عليه السلام — فعلم كل  
سبط موضع شربه من تلك العيون ، حتى لا يحدث بينهم خلاف على الماء ،  
فهم أهل خلاف وشقاق • وقال الله لهم : كلوا من المن والسلوى ، واشربوا  
الماء ، فهو رزق الله تفضل به ، ولا دخل لعملكم في الحصول عليه ،  
« ولا تعثوا (١) في الأرض مفسدين » •

وفي هذا يقول الله تعالى أيضا في سورة الأعراف (٢) : « وأوحينا  
إلى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست (٣) منه  
اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم » •

وفي هذا تحذير من البطر والغرور واستعمال النعمة في غير  
مها وضعت له ، فان النعمة قد تنسى العبد حقوق خالقه ، وتجره الى  
الفساد : « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » (٤) •

نسأله — سبحانه — أن يوفقنا للشكر على نعمائه ، وأن يعيذنا من  
البطر والفساد ، انه ولى التوفيق •

### عنتر حشاد

---

(١) ولا تعثوا : ( عثى يعثى ) كرضى يرضى : من ( العثو ) : مجاوزة  
الحد مطلقا في فساد أو غيره ، ثم غلب في الفساد •

(٢) من آية ١٦٠ •

(٣) انبجست : انفجرت ، وقيل : الانبجاس : خروج الماء بقلعة ،  
والانفجار : خروجه بكثرة •

(٤) الآيتان ٦ و ٧ من سورة العلق •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيرِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٦١) .

في هذه الآية الكريمة يذكر الله تعالى بنى اسرائيل بتمردهم في طلب الماديات ، واقتراحهم بدل ذلك الرزق الناعم (١) عيشة الكدح والعناء (٢) « لن نصبر على طعام واحد » وهو المن والسلوى « فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » كما تمردوا بطلب رؤية الله من قبل « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » .

نزع وطغيان ، فهم يعلمون أنهم في صحراء لا ماء فيها ولا زرع ، ولا تنبت شيئا مما يطلبون ، ولكنه العناد والتمرد ، يذهب بصاحبه في الضلال كل مذهب ، ويطلب به الأدنى بدل الأعلى « أتستبدلون الذى

(١) المن والسلوى بدون تعب منهم في تحصيله ، كما مر في ص ٤ من العدد ١١ ، عدد شهر ذى القعدة ١٣٩٨ هـ من المجلة .

(٢) بالاكل مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، واستبدال الأدنى بالذى هو خير .



هو أدنى بالذى هو خير ؟ » ومع هذا فلکم ما سألتم : اخرجوا من النيه ، وادخلوا مصرا (١) من الأمصار تثبت لكم أرضها ما طلبتم . وقوموا بحق الله ، واستمعوا لأنبيائه ، ولكنهم يحصرون على طريقتهم : يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ويعصون أوامر الله ، ويعتدون على الحقوق والحريات ، ولا يميزون كذلك حتى يضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ، ويبيءوا بغضبه وعقابه : « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

\* \* \*

**تمرد بنى اسرائيل في طلب الماديات ، وكفرهم ، واعتداؤهم ، وانتقام الله – تعالى – منهم :**

« واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد (٢) فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها (٣) وثنائها (٤) وفومها (٥) وعدسها (٦) وبصلها (٧) » قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو

(١) بلدا من البلاد التى تثبت ما طلبتم ، والمصر : البقعة التى يجتمع فيها قري ومحال ، أى البلد العظيم ، والمراد به : أى بلد زراعى من الريف ،  
 (٢) طعام واحد : أى نوع واحد من الطعام ، وهو المن والسلوى .  
 (٣) بقلها : بقل الارض ، وهو النبات الرطب مما يأكل الناس والأنعام ، والمراد به هنا : أطيب البقول التى يأكلها الناس .  
 (٤) ثنائها : القثاء : اسم جنس لكل ما يسمى بمصر : الخيار ، والمعجور ، والفقوس ، والواحدة : قثاءة .

(٥) فومها : الفوم : القمح ، أو جميع الحبوب التى تخبز ، أو الثوم (بضم الثاء وفتحها) كما قرأ ابن مسعود : « وثومها » بضم الثاء ، وقد أبدلت ثاؤه ناء فى قراءة غيره ، وذلك كثير ، تقول العرب : الجذث ، والجذف : للقبر ، والمغائر ، والمغافر : لنوع من الصمغ ، والأثائى ، والأثافى للحجارة التى توضع تحت القدر وتفسر « الفوم » بالثوم أنسب وأوفق بالبصل والعدس ، وقد اختاره الفراء ، وعلل بأنه ذكر مع ما يشاكله .

(٦) عدسها : العدس : من الحبوب المعروفة بمصر ، وكان طعاما محبوبا لبنى اسرائيل وأنبياهم .

(٧) البصل : معروف بمصر وغيرها .

خير (١) اهبطوا (٢) مصرا (٣) فان لكم ما سألتهم وضربت عليهم الذلة (٤) والمسكنة (٥) وباعوا (٦) بغضب من الله ذلك (٧) بأهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتنون النبيين بغير الحق ذلك (٨) بما عصوا وكانوا يعتدون » •

في هذه الآية الكريمة حال آخر من أحوال بنى إسرائيل الناشئة عن العناد والبطر والشهوة ، فقد كانوا في التيه ، وقد أكرمهم الله تعالى فيه ، فجعل طعامهم أمن واسلوى ، ولكنهم بطروا هذه النعمة (٩) ، وطلبوا ما دونها من البقل والقتاء والفوم والعدس والبصل ، مما يدل على سوء اختيارهم . وشهد أدواقهم ، وأعاتتهم لنبيهم : موسى

(١) أستخدمون الطعام الذى هو أدنى وأقل قيمة بالبن والسلوى الذى هو خير وألذ ، فالباء في قوله : ( بالذى هو خير ) داخله على الذى يريدون تركه ، وهو البن والسلوى ، والقائل : « أستخدمون . . . » هو موسى عليه السلام ، قاله متعجبا من طلبهم .

(٢) اهبطوا مصرا : المراد من الهبوط : مجرد الانتقال ، فانه كما يقصد به : النزول من أعلى الى أسفل ، يقصد به أيضا مجرد الانتقال من مكان الى آخر ، كما مر في تفسير قوله تعالى : « وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو » من الآية ٣٦ ، وارجع الى هامش ٢ ص ٦ من العدد ٥ من المجلد السادس جهادى الاولى ١٣٩٨ هـ ويجوز أن يراعى المعنى الاصلى : وهو النزول من أعلى الى أسفل ، بأن يكون التيه أعلى مكانا من مصر ، وهو نزول حسى ، أو أن يراعى نزولهم من أعلى الى أدنى في الرتبة ، تبعا لطلبهم الأدنى من الطعام بدل أرقاه وأعلاه ، وهو نزول معنوى ، قيل : وهذا هو الانسب بالمقام .

(٣) مصرا من الأمصار ، وقد مضى شرحه ، وليس المقصود به مصر فرعون ، إذ لم يصرح أحد من المفسرين والمؤرخين أنهم هبطوا من التيه الى مصر ، وقد رجح ذلك ابن كثير .

(٤) الذلة : الصغار والهوان .

(٥) المسكنة : الضعف النفسى .

(٦) وباعوا بغضب من الله : رجعوا به مستحقين له .

(٧) ذلك : إشارة الى ضرب الذلة والمسكنة عليهم ، واستحقاقهم غضب الله سبحانه .

(٨) ذلك : إشارة الى الكفر بآيات الله وقتل النبيين بغير الحق .

(٩) بطروا النعمة : استخفوها فكفروها .

— عليه السلام — ومكرهم وخبثهم (١) ، لأنهم — وهم في الغية — يعلمون أنهم في صحراء : لأن نبت ما طلبوا ، ولذلك لم يتجه موسى الى أن يطلب من الله أن يخرج لهم هذا النبات معجزة في أرض الصحراء ، بل وبخهم بقوله : أتختارون الذي هو أقل قيمة وفائدة ، وأدنى لذة ، وتتركون المن والسلوى ، وهو خير مما تطالبون لذة وفائدة ؟ انزلوا الى مصر من الأمصار فانكم تجدون به ما طلبتموه من البقول وأشباهاها ، وقد أمرهم بذلك لخلو الصحراء منه .

وقيل : المراد بمصر : مصر فرعون (٢) ، وسواء أكانوا في التيه أم المص فوجودهم في أيهما : وجود هجرة وايواء ، لا وجود تملك واستيطان واستيلاء ، فلا يكتسبون به حق انتزاعه من أهله العرب ، كما يدعون .

وكان جزاء فجورهم ، وتمردهم أن ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وأحيطوا بهما من كل جانب احاطة الخيمة بمن ضربت عليه .  
والذلة : الصغار وانضعة ، ويقابلها العزة والاباء ، والمسكنة هنا : فقر النفس .

والفرق بينهما أن الذلة تجيء أسبابها من الخارج كأن يغلب المرء على أمره نتيجة انتصار عدوه عليه ، فيذل لهذا العدو .

والمسكنة تنشأ من داخل النفس وضعفها نتيجة بعدها عن الحق واستيلاء المطامع والشهوات عليها ، وتوارث الذلة قرونا طويلة يورث هذه المسكنة ، ويجعلها كالطبيعة الثابتة في الشخص المستذل .

(١) يحتالون بطلب ذلك ، ليعودوا الى مصر ، فقد حنوا اليها والى ما كانوا يأكلونه فيها .

(٢) وتنين كلمة « مصر » لا يمنع من أن تكون : مصر فرعون ، فان العلم المؤنث المنوع من الصرف ( التنوين ) يجوز تنوينه اذا كان ثلاثيا ساكن الوسط ، كهند ودعد ، ويدل عليه قراءة الحسن وطلحة وغيرهما : « مصر » بدون تنوين ، ومع ذلك فقد استبعده بعض الفسرين ، ورجحوا الاول لما سبق أن ذكرته في الهامش .

ولقد عاش اليهود قرونا وأحقابا طويلة مستعبدين لمختلف الأمم، فأكسبهم هذا الاستعباد ضعفا نفسيا جعلهم لا يفرقون بين الحياة الذليلة والكريمة ، بل انهم يفضلون الأولى على الثانية ما دامت تجلب لهم غرضا من أغراض الدنيا ، ومهما كثر المال في أيديهم فانهم لا يتحولون عن فقرهم النفسى ، وظهورهم أمام الناس بمظهر البائس الفقير •

وكان جزاؤهم — كذلك — أن باعوا بغضب من الله بسوء أعمالهم •  
( ذلك ) العقاب الدنيوى والاخرى ( بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ) •  
أما كفرهم بآيات الله فهو كفر مستمر ، وخلق دائم فيهم ، كان يتكرر منهم — بكل الآيات الكونية ، والتنزيلية ، كما يدل عليه التعبير بقوله سبحانه « كانوا يكفرون بآيات الله (١) » •

فمن كفرهم بالآيات الكونية : جحودهم بمعجزات موسى عليه السلام ، ومن جمعتها : العصا ، واليد ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وفلق البحر ، وتظليل الغمام ، وانزال المن والسلوى ، وتفجير العيون من الحجر •  
ومن كفرهم بالآيات التنزيلية : اخفاء آية الرجم فى التوراة ، ونعت محمد -- صلى الله عليه وسلم -- فى كتابهم •

وأما قتلهم النبيين بغير الحق ، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عددا من أنبيائهم ، كما فعلوا مع أشعياء ، وزكريا ، ويحيى عليهم السلام ، وهى أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين •  
وفائدة تقييد قتلهم بأنه بغير الحق — مع أن قتل الأنبياء يستحيل أن يكون بحق — للإيدان بأنهم قتلوهم عمدا معتقدين أنهم يرتكبون اثما فى دينهم ، فقد كتب عليهم ( أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد

---

(١) ونظير ذلك فيما سبق « كانوا أنفسهم يظلمون » من الآية ٥٧ ، مما وضحته ومثلت له فى ص ٥ من العدد ١١ من السنة السادسة عدد ذى القعدة ١٣٩٨ هـ من المجلة .

في الأرض نكأنا قتل الناس جميعا (١) « فهذا القيد للاحتجاج عليهم بأصول دينهم ، وتخليد مذمتهم ، وتقبيح جرمهم .

وقد فرق بعض المفسرين بين تعريف الحق بأل في هذه الآية : « ويقتلون النبيين بغير الحق » وتنكيره « بغير حق » في آية آل عمران : « ويقتلون الأنبياء بغير حق (٢) » قائلين : ان الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل حدا أو قصاصا يتجلى في حديث : « لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احسان ، وقتل نفس بغير حق » فالذكر هنا ، المعرف بأل ( الحق ) اشارة الى هذا . وأما المذكور في آل عمران منكرا « حق » فالمراد به تأكيد العموم ، أى لم يكن هناك أى حق يستندون اليه ، لا هذا الذى يعرفه المسلمون ، ولا غيره ألبتة .

وما حملهم على هذا الكفر والقتل الا غلوهم في العصيان والاعتداء ، كما يفصح عنه قوله تعالى : « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » أى ذلك الكفر منهم بآيات الله ، وقتلهم للنبيين بغير الحق بسبب أنهم درجوا على العصيان ، ومداومة الاعتداء (٣) ، ومجاورة الحدود ، حتى قست قلوبهم فاجترعوا على الكفر بآيات الله ، وقتلوا النبيين ، وتنكروا للهداة ، فان الاستمرار على صغار المعاصي يؤدى الى الاجترار على كبارها ، كما أن الاستمرار على الطاعات يستتبع تحرى كبارها (٤) .

لهذا ينبغى تخول الناس بالموعظة ، ونهى العصاة عن المنكر — أولا فأولا — حتى لا يصير عندهم — بطول الممارسة — مرضا يستعصى علاجه ، والله الهادى الى سواء السبيل .

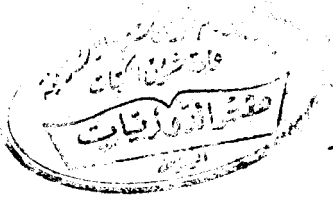
## عنتر حشاد

(١) من الآية ٣٢ من سورة المائدة .

(٢) من الآية ١١٢ .

(٣) يفهم مداومة الاعتداء من اسلوب « وكانوا يعتدون » كما مر في « كانوا انفسهم يظلمون » و « كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق » .

(٤) ارجع الى ص ٦ من العدد الخامس للمجلد الخامس ، وص ٤ من العدد الثامن للمجلد الخامس لترى سنة الله فيمن أمر على الباطل .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّفْسِيرِ

يقدمه : عنتر أحمد حشاد

٤ - سورة البقرة

ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) .

رأينا فى تفسير الآية السابقة ما شهدته تاريخ بنى اسرائيل من قسوتهم وجحودهم ، واعتدائهم وتنكرهم للهداة ، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عددا من انبيائهم بغير الحق - وهى أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين - وقد كفروا أشنع الكفر ، واعتدوا أشنع الاعتداء ، وعصوا أبشع المعصية . وكان لهم فى كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل « كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

ومع هذا كله فقد كانت لهم دعاوى عريضة عجيبة ، كانوا دائما يدعون أنهم هم وحدهم المهتدون ، وهم وحدهم شعب الله المختار ، وهم وحدهم الذين ينالهم ثواب الله « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا (٢) » وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن فضل الله لهم وحدهم دون

(١) من الآية ٦١ من السورة .

(٢) من الآية ١١١ «وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى» قالت اليهود : لن يدخل الجنة الا من كان هودا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة الا من كان نصارى .

شريك ، فالدار الآخرة عند الله خالصة لهم من دون الناس — بزعمهم — وهنا يكذب القرآن هذه الدعوى العريضة ، ويقرر قاعدة من قواعده الكلية ، التي تتخلل القصص القرآني ، أو تسبقه ، أو تتلوه .

يقرر أن فضل الله ليس حجرا محجورا على عصبية خاصة ، فأساس النجاح والفلاح ليس في النسبة الى رسول ما دون اتباعه والاختذ بأحكامه وارشاداته ، وإنما النجاح والفلاح في صدق الأيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، فمن يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ، ويعمل صالحا « فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وفي هذا ارشاد الى أن القيم الرفيعة لا تحفظ عند الله بالاحساب ، ولا بالانساب ، وإنما تحفظ بمعان فاضلة تملأ القلب . وتظهر آثارها الطيبة في الحياة « ان أكرمكم عند الله أتقاكم (١) » والمؤمنون الذين يعملون الصالحات — هم المأجورون عند ربهم . أيا كان جنسهم ، وعقيدتهم التي كانوا عليها قبل هذا الايمان .

« ان الذين آمنوا (٢) والذين هادوا (٣) والنصارى (٤)

(١) من الآية ١٣ من سورة الحجرات .

(٢) آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وهم المنافقون ، وقد سبق الحديث عنهم في تفسير الآيات من ٨ — الى ٢٠ ولعل هذا هو الراي الراجح بدليل نظمهم في سلك الكفرة ، وبدليل قوله سبحانه في آخر الآية : « من آمن بالله واليوم الآخر » فان المقصود به طلب الايمان من هذه الفرق الاربعة المذكورة في الآية ، والى هذا الراي ذهب سفيان الثوري رضى الله عنه .

(٣) الذين هادوا : اليهود ، من هاد يهود هودا ( بفتح الهاء وسكون الواو ) — مثل : قال يقول قولاً — بمعنى : نشأ في اليهودية أو دخل فيها ، وفي آية ١٤٦ من سورة الانعام : « وعلى الذين هادوا حرمانا كل ذى ظفر » فهو هائد ، وهم هود « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا » « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى » وقد سموا باليهود ، إما نسبة الى « يهوذا » أكبر أولاد يعقوب ، بقلب الذال دالا في التعريب ، أو لانهم تابوا من عبادة العجل ، من هاد بمعنى تاب ، ومنه قوله تعالى : « انا هدنا اليك » أى تبنا ، كما سموا أيضا : اليهود .

(٤) النصارى : جمع نصران بمعنى نصراني ، كندامى وندمان ، =

والصائبين (١) من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم (٢) عند ربهم (٣) ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٤) .  
 من فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن فتح لهم باب التوبة على مصراعيه « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا (٥) » حتى من الكفر والشرك : « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (٦) » .

بنو اسرائيل اليهود الذين باءوا بغضب من الله بسبب كفرهم ، وقتلهم النبيين بغير الحق ، وعصيائهم واعتدائهم ، واستحقوا عقوبته — تشعروهم هذه الآية برفع غضب الله وعقابه عنهم ، وحلول الرضا محل الغضب ، وفوزهم بالاجر الجزيل بلا خوف من عقاب ، ولا حزن على فوت ثواب — ان هم آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحا .  
 وقد شاء ربنا واسع المغفرة ألا يحرم غيرهم هذه النعمة ، فعم بها المنافقين ، والنصارى ، والصائبين ، ويدخل في حكم هذه الفرق الاربعة من دان بأى دين آخر . أو لم يكن له دين أصلا ، فكل من آمن بعد كفر ،

= والياء في « نصراني » للمبالغة في الوصف بالنصرانية ، كما بالغوا في الوصف بالحمرة ، فقالوا : « أحمرى » في « أحمر » وقد سموا بالنصارى في الاصل لانهم نصروا المسيح عيسى عليه السلام .

(١) الصائبين : جمع صابىء ، وهو الخارج من دين الى دين . يقال : صبأ الناب ، صبأ النجم اذا طلع . والمراد بهم : الخارجون من الدين الحق الى الدين الباطل ، وهم قوم يعبدون الكواكب أو الملائكة ، ويزعمون انهم على دين صابىء بن شيث بن آدم .

(٢) من فى : « من آمن » لفظها للمفرد ، ومعناها للجمع ، فباعتبار اللفظ عاد عليها الضمير مفردا فى :

« من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا » وباعتبار المعنى عاد عليها الضمير جمعا فى « فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

(٣) « عند ربهم » هذه العندية يفهم منها عظم الاجر وكرم الثواب .

(٤) « ولا خوف عليهم » فى المستقبل من سوء « ولا هم يحزنون » على

فوت محبوب ، بل يستمرون على السرور والابتهاج والامن والطمأنينة ،

فالخوف مما يستقبل ، والحزن على ما مضى ، كما مر بك فى تفسير آية

٣٨ ، من صلب ص ٦ وهامشها ، عدد جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ من المجلة .

(٥) آية ١١٠ من سورة النساء .

(٦) من آية ٣٨ من سورة الانفال .



**وعمل صالحا — فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .**

واليهود والنصارى مطلوب منهم الايمان بالله واليوم الآخر ، لان ايمانهم بالله مخلوط بشرك ، اذ قالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وفيهم من وصفه بما ينتزه عنه كرام الناس ، كالخطأ فيما يصنع ، والندم على الخطأ ، وكمصارعة الله للبشر طول الليل ، ووصفه أيضا بالتعب ، والبخل والفقير ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

كما أن ايمانهم بالله مشوب بكفرهم بخاتم المرسلين محمد — صلى الله عليه وسلم — ومن كفر برسول ربه فقد كفر بربه ، كما أن ايمانهم باليوم الآخر ليس على النحو المقرر في الشرائع السماوية الحقة ، ولذا سقط هذا الايمان من حيز الاعتبار ، اذ لا فرق بينهم وبين المشركين .

والآية تقرر أن من آمن بالله من جميع الطوائف ايمانا لا يشوبه شرك ، ولا تجسيم ، ولا ادعاء ولد له سبحانه ، وآمن أيضا باليوم الآخر ، وما فيه من بعث وحشد وحساب وجزاء ، وضم الى هذا الايمان العمل الصالح فلهم أجرهم اللائق بايمانهم — عند ربهم — ولا خوف عليهم من عقاب ، ولا هم يحزنون من فوت ثواب ، فان الايمان يغفر ما سبقه من الكفر .

والخلاصة أن هذه الآية — بهذا التوجيه — تدعو تلك الطوائف الى اعتناق الاسلام ، فهو الذى قرر الايمان بالله على الوجه الخالص من الشرك وشوائب النقص ومثابهة البشر ، كما قررت الايمان باليوم الآخر وما فيه من العدل الكامل لله ، فلا تمييز فيه بين انسان وانسان ، ولا بين طائفة وأخرى ، ولا بين ذرية الانبياء وغيرهم ، « يا فاطمة بنت محمد اشترى نفسك من الله لا أغنى عنك من الله شيئا » « ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » فلا يحق لطائفة أن تدعى أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن النار لن تمسهم الا أياما معدودات ، ولا غير ذلك من الدعاوى المناقضة لعدل الله ، أو المنافية لما قرره الاسلام من شؤون الحياة الاخرية وأحداثها .

كما قررت الآية وجوب العمل الصالح على نحو ما قرره الاسلام  
 « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره (١) » .  
 وقد أساء فهم هذه الآية بعض الملحدين ، فزعموا أنه يمكن تحقيق  
 الايمان من هذه الفرق غير المسلمة ، مع بقائها على دينها ، وهذا الزعم  
 باطل ، لانها جميعا كافرة في نظر الاسلام لما تقدم ، والله تعالى يقول:  
 « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها  
 أولئك هم شر البرية (٢) » .

والايمان لا يتحقق الا بالايمان بالله وجميع رسله وفيهم محمد صلى  
 الله عليه وسلم ، لقوله تعالى : « ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون  
 أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون  
 أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين  
 عذاباً مهيناً (٣) » فالايمان كل لا يتجزأ ، ومن صفات المؤمنين أنهم  
 لا يفرقون بين أحد من رسله ، كما وصفهم الله سبحانه بقوله في آخر  
 سورة البقرة : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن  
 بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا  
 وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير (٤) » ومن هذا يتحدد الايمان المطلوب،  
 وهو الايمان بالدين الاسلامي ، فلا بد من اعتناقه . وجمع بين الايمان  
 بالله واليوم الآخر ، لأهمية الايمان باليوم الآخر في تثبيت دعائم الايمان  
 بالله واتقان العمل الصالح ، ولو لم يؤمن المكلف باليوم الآخر وما فيه  
 من حساب وجزاء لما اهتم بالايمان بالله والعمل الصالح ، فان النفس  
 البشرية لا يوقظها من غفلتها الا الجزاء ، فالايمان بالله واليوم الآخر  
 هو أساس العمل الصالح .

ولهذا الجمع بين الايمان بالله واليوم الآخر نظائره التي مرت  
 بك في وصف المتقين بايقانهم بالآخرة بعد وصفهم بايمانهم بالغيب وبما

(١) الآيتان ٧ و ٨ من سورة الزلزلة .

(٢) الآية ٦ من سورة البينة .

(٣) الآيتان ١٥٠ و ١٥١ من سورة النساء .

(٤) الآية ٢٨٥ .

أنزل الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — وما أنزل من قبله (١) وفي ادعاء المنافقين الايمان : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٢) » .

وقد بين سبحانه عاقبة المؤمنين الذين يعملون الصالحات بقوله :

« فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

والاجر : الجزاء على العمل ، وسمى الله ما يعطيه للمؤمن العامل

أجرا ، مع أنه محض فضل من الله عز وجل ، فقد قال صلى الله عليه

وسلم : « لن يدخل أحدا عمله الجنة . قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟

قال : ولا أنا ، الا أن يتغمدنى الله بفضله ورحمة (٣) » ولذلك لما قرأ

ابن عباس — رضى الله عنهما — قوله تعالى : « ان الله اشترى من

المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة (٤) » قال : نعمت الصفقة ،

أنفس هو خالقها ، وأموال هو رازقها ، ثم يمنحنا عليها الجنة ! حقا

نعمت الصفقة الرابعة (٥) .

وقال : « عند ربهم » ليدل على عظم الثواب ، لان ما يكون عند

الله من الجزاء على العمل لا يكون الا عظيما ، ولان المجازى لهم هو

ربهم واسع الكرم والرحمة والعطاء .

والمعنى : ان هؤلاء الذين آمنوا بالله عن تصديق واذعان ، وقدموا

العمل الصالح الذى ينفعهم يوم لقاءه — هؤلاء لهم أجرهم العظيم

عند ربهم ، ولا يفزعون من هول يوم القيامة كما يفزع الكافرون ، ولا

يفوتهم نعيم فيحزنوا عليه كما يحزن المقصرون .

نسأل الله — سبحانه — أن يزيدنا ايمانا ، وأن يوفقنا للعمل

الصالح ، ويتغمدنا بفضله ورحمته ، انه سميع الدعاء ، وهو — على

عنتر حشاد

ما يشاء — قدير .

(١) فى الآيات ٢ و ٣ و ٤ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٨ من سورة البقرة .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب المرضى .

(٤) من آية ١١١ من سورة التوبة .

(٥) من ص ١١٩ ج ٤ صفوة صحيح البخارى ، اختيار وشرح الشيخ

عبد الجليل عيسى أبو النصر ، الطبعة الرابعة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيرِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

سورة البقرة

وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (٦٣) ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين (٦٤) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (٦٥) فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين (٦٦) .

تعود الآيات الى تعداد النعم ، فتذكر بنى اسرائيل بأخذ الميثاق عليهم أن يعملوا بالتوراة ، وأن يأخذوا أحكامها بقوة ، وأن يتجهوا الى اصلاح أنفسهم بها لعلهم يتقون .

وتذكرهم بآية من آيات الله (١) ، كان جديرا بهم أن يعتبروا بها ، وأن يعلموا أن القادر عليها قادر على أن يقلب الارض عليهم ، فيصبحوا بها هامدين صرعى لا حراك بهم ، ولكنهم ظلوا — بعد هذه الآية — على شأنهم من الاعراض والعناد والمكابرة ، ومع هذا فقد امتدت اليهم رحمة الله ، وعاملهم بفضله واحسانه ، ولم يشأ أن يعجل

(١) هي رفع الجبل فوقهم ، كما سيأتى — ان شاء الله — توضيحه .

لهم العذاب ، بل قبل توبتهم وأمهلم : « فلولا فضل الله عليكم ورحمته  
لكنتم من الخاسرين » •

ثم تذكروهم بما كان من بعض أسلافهم حينما خالفوا عن أمر الله ،  
ولم يتفرغوا لعبادته يوم السبت — كما أمرهم — واحتالوا — بطريقة  
عجيبة — لصيد السمك الذي حرمة الله تعالى عليهم في هذا اليوم ،  
فضرب الله عليهم الخزي ، وسلبهم خصائص الانسانية الفاضلة ،  
وملأ قلوبهم بالطمع والشهه ، شأن القرده ، وكانت تلك عقوبة ظاهرة  
فيهم ، وفي أسلافهم من بعد : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في  
السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلناها نكالا لما بين يديها وما  
خلفها وموعظة للمتقين » •

وبعد هذا الاجمال نعود الى تفسير الآيات بشيء من التفصيل :

### ( أ ) نقض بنى اسرائيل الميثاق ، واستمرار اعراضهم :

« واذ أخذنا ميثاقكم (١) ورفعنا فوقكم الطور (٢) خذوا ما آتيناكم  
بقوة (٣) واذكروا ما فيه لعلمك تتقون ، ثم توليتم من بعد ذلك فلولا  
فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » •

طلب بنو اسرائيل من موسى أن يأتيهم بكتاب من عند الله ،  
فلما جاءهم بالتوراة ليهتدوا بها ، ورأوا ما فيها من تكاليف — عز عليهم  
أن يقوموا بها ، ورفضوها ، وأبوا قبولها ، فأمر الله جبريل بقلع الطور ،

---

( ١ ) الميثاق : العهد الموثق المؤكد ، وقد أخذ الله على بنى اسرائيل —  
في عهد موسى — أن يعملوا بالتوراة .

( ٢ ) الطور : الجبل المعروف بسيناء ، وهو جبل المناجاة الذي أنزلت  
فيه التوراة على موسى ، ورفع : نزعه واعلاؤه عن مقره ، وهو المقصود  
بنتقته المذكور في آية ١٧١ من سورة الاعراف : واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه  
ظلة وظنوا انه واتع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلمك تتقون » •

( ٣ ) بقوة : بجهد واجتهاد .

ورفعه فوقهم كأنه ظلة (١) ، حتى قبلوا ، لأنهم ظنوا أنه واقع بهم • وقد أمرهم الله أن يأخذوا الكتاب بقوة ، وأن يعملوا بما فيه بجد واجتهاد ، وقد فسّر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قوله تعالى : « خذوا ما آتيناكم بقوة » بقوله : « أى قلنا لهم : خذوا ما آتيناكم بجد واجتهاد مع حسن النية والاخلاص » •

وايمان بنى اسرائيل ، وعملهم بالتوراة لم يكن بالالغاء والاكراه ، فهذا مما ينافى التكليف الذى يقوم على الاختيار ، ويكون العقيدة الصحيحة المبنية على الاقتناع ، كما قال تعالى : « لا اكراه فى الدين (٢) » وإنما أمروا بالايمان عن اختيار ، فلما لم يمتثلوا كانت آيات التخويف لهم بمنزلة مشروعية القتال للكفار ، لاصلاح حالهم مع الله تعالى ، فان الحكمة تدعو الى الأخذ بالقوة اذا فشل النصح والارشاد ، ولهذا ينبغى أن يؤدب الموالد بالقوة ابنة المعوج فى السلوك ، اذا لم يجده تكرر النصح ، حتى لا يستمر فسادة •

وقد أمرهم الله عز وجل بعد أخذ الكتاب بقوة أن يذكر ما فيه ليكونوا من المتقين : « واذكروا ما فيه لعلمكم تتقون » أى ادرسوا ما فيه ، وداوموا على تذكره ، حتى يرسخ فى قلوبكم ، فانكم ان فعلتم ذلك قويت صلحتكم بربكم ، وكنتم من المتقين •  
وفى الآية دليل على أن مجرد العلم غير كاف ، بل لا بد من الدراسة والمتابعة •

ولكن بنى اسرائيل — بعد هذا الميثاق ، وبعد ما رأوا الآيات — غلبت عليهم جبلتهم ، فعادوا مرة أخرى الى الاعراض ، ونبذ الميثاق ، ونقض العهد بعد قبولهم اياه ، ومع ذلك لم يؤاخذهم الله بما كسبوا ، ولم يعاقبهم بما كفروا وأذنبوا ، وانما عاملهم برحمته ، وشملهم بفضله واحسانه ، وقبل توبتهم ، ولولا ذلك لكانوا من الخاسرين المالكين •

(١) الظلة فى الاصل : كل ما اظلك من سقف او غمامة ، او نحوها .  
(٢) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة •

## (ب) اعتداء بنى اسرائيل في السبت ، ومسخهم قرده :

« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت (١) فقلنا لهم كونوا قرده خاسئين ، فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين » .  
ملخص قصة اعتداء بنى اسرائيل في يوم السبت : أن الله تعالى أخذ عليهم عهدا بأن يتفرغوا لعبادته في ذلك اليوم ، وحرم عليهم الاصطياد فيه ، وقد أراد الله سبحانه - أن يختبر استعدادهم للوفاء بهذا العهد ، فابتلاهم بتكاثر الحيتان في يوم السبت ، اذ كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا (٢) ، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم على هذا النحو (٣) ، فلما رأوا ذلك خالفوا النهي ، واصطادوا السمك يوم السبت ، كما قاله الحسن ، أو احتجزوه من يوم السبت الى يوم الاحد ببعض الحيل كما قال غيره ، ولما كان احتجازه من يوم السبت الى الاحد لا يفترق عن صيده في يوم السبت من جهة المقصود اعتبر اعتداء في السبت .

والحديث عن أصحاب السبت قد جاء ذكره مفصلا في سورة الاعراف : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر (٤) اذ يعدون (٥) في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ... » الآيات ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ .  
كما جاءت الاشارة اليه في سورتي النساء والنحل : « كما لعنا

---

( ١ ) السبت : هو اليوم المعروف من أيام الأسبوع ، واعتداؤهم في السبت : تجاوزهم الحد بالصيد فيه ، وقد نهوا عنه ، وأمرؤا بالنجود فيه للعبادة ، والاعتداء والتعدى : مجاوزة الحد ، يقال : اعتدى وتعدى اذا ظلم ، والظالم لغيره ، أو لنفسه : مجاوز للحد والحق .  
( ٢ ) ظاهرة على وجه الماء كثيرة  
( ٣ ) لا تظهر الحيتان على وجه الماء في سائر أيام الأسبوع غير يوم السبت .

(٤) حاضرة البحر : تربية من البحر ، مشرفة عليه ، وهو البحر الاحمر ، والاكثرون على أن هذه القرية : أيلة ، وقيل : مدين ، وقيل : طبرية .  
(٥) عدا يعدو ، واعتدى يعتدى ، وتعدى يتعدى كلها بمعنى واحد ، وهو تجاوز الحد في الظلم كما سبق .

« أصحاب السبب (١) » « انما جعل السبب على الذين اختلفوا فيه (٢) » •  
وسواء أكان اعتداؤهم بالصيد فعلا في يوم السبت ، أو بالاحتيال  
على استحلال ما حرم الله ، فقد عاقبهم الله بمسخهم قردة •

روى النسائي عن صفوان بن عسال قال : قال يهودى لصاحبه :  
اذهب بنا الى هذا النبى ، فقال له صاحبه : لا تقل : نبى ، لو سمعك ،  
فان له أربعة أعين ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسألاه  
عن تسع آيات بينات ، فقال لهم : « لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ،  
ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا تمشوا  
ببيريء الى سلطان ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تتذفوا المحصنة ،  
ولا تولوا يوم الزحف ، وعليكم - خاصة يهود - أن لا تعدوا فى  
السبب » • فقبلوا يديه ورجليه ، وقالوا : نشهد أنك نبى • قال :  
« فما يمنعكم أن تتبعونى ؟ » قالوا : ان داود دعا بألا يزال من ذريتى  
نبى ، وانا نخاف ان اتبعناك أن تقتلنا يهود •

وأخرجه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح •

والاعتداء فى السبب كان من بعضهم ، ولم يكن من الكل ، ولذلك  
قال تعالى : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت » فمن : فى  
قوله : « منكم » للتبويض ، والخطاب لليهود المعاصرين للنبى صلى  
الله عليه وسلم ، والمعتدون هم آباؤهم ، والمعنى : قد علمتم هؤلاء  
المعتدين بأعيانهم ، أو علمتم منهم اعتداءهم •

واختلف فى العقوبة المفهومة من قوله تعالى : « فقلنا لهم كونوا  
قردة خاسئين » فجمهور المفسرين على أنهم مسخوا - حقيقة - قردة ،  
ثم ماتوا - بعد ذلك - بوقت قصير ، وعن مجاهد : لم تمسخ صورهم ،  
ولكن مسخت قلوبهم ، فلم تقبل وعظا ، ولم تع زجرا ، وصاروا كالقردة  
فى شرورها وافسادها لما تصل اليه أيديها ، وذلك كما مثلوا بالحمار فى

(١) من الآية ٤٧ من سورة النساء •

(٢) من الآية ١٢٤ من سورة النحل •



قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا (١) » والقردة من أخس الحيوان وأدنته .

ولا شك أن الانسان الذي ينفق لشهواته ، وليس له وازع من دينه يمسخ قلبه ، فيصبح كالحيوان أو أضل : « ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا (٢) » .

ومعنى « فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » : فقلنا لهم : كونوا أذلاء محتقرين كالقردة ، واليهود كذلك في المجتمعات الفاضلة ، ولذا وصفهم بالخسوء وهو الذلة والاحتقار والطرده ، من خساً الكلب : بعد وطرده ، وهم — أيضا — مبعدون عن رحمة الله .

ولا شك أن هذه العقوبة ، ومسخ اليهود قردة فيها نكال (٣) لما بين يديها (٤) وما خلفها (٥) من الامم وموعظة للمتقين .

فمعنى قوله تعالى : « فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين » : فجعلنا هذه العقوبة عبرة زاجرة ، وعظة رادعة لمن عاصر هؤلاء المعتدين ، ومن جاء بعدهم ، وموعظة للمتقين الذين ينتفعون بالعظات ويعتبرون بالمثالات .

نسأل الله أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأن يعيذنا من عذابه ، وأن يعمنا بفضله ورحمته وكريم ثوابه ، انه ولى التوفيق ، سميع الدعاء .

**عنتر حشاد**

(١) من الآية ٥ من سورة الجمعة .

(٢) من الآية ٤٤ من سورة الفرقان .

(٣) عبرة ، يقال نكل به تنكيلا : اذا صنع به صنيعا يحذر غيره ، والاسم النكال ، وهو ما نكلت به غيرك ، اى عاقبت به عقوبة فيها عبرة وعظة ، من النكل ( بكسر الكاف ) وهو القيد الشديد ، وحديدة اللجام ، لكونهما ما نعمن ، وجمعه أنكال : « ان لدينا أنكالا . . . » وسميت العقوبة نكالا ، لأنها تحذر غير من نزلت به ان يرتكب ما اوجبها .

(٤) ما بين يديها : ما عاصرها من الامم لا ما تقدمها من الامم ، فما وقع من ذلك فى التفسير الوسيط للقرآن الكريم الحزب الأول — الطبعة الأولى — سهو ، تداركته الطبعة الثانية .

(٥) ومن بعدها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه : عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

« واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا  
اتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين (٦٧) قالوا ادع  
لنا ربك بين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان  
بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون (٦٨) قالوا ادع لنا ربك بين لنا  
مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (٦٩)  
قالوا ادع لنا ربك بين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء  
الله لمهتدون (٧٠) قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض  
ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبوها  
وما كادوا يفعلون (٧١) واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج  
ما كنتم تكتمون (٧٢) فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى  
ويريكم آياته لعلكم تعقلون (٧٣) ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي  
كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان  
منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما  
الله بغافل عما تعملون (٧٤) » .

تذكر هذه الآيات بنى اسرائيل بموقف من مواقف العناد التي  
وقفها آباؤهم من قبل ، وكانت سببا في التشديد عليهم :

تقع فيما بينهم حادثة قتل لا يعرف فيها القاتل ، ويختلفون على  
أنفسهم فيه ، كل يدرأ (١) الجناية عن نفسه ، وينتهم بها غيره ، فيلتجئون  
الى موسى - عليه السلام ، ويطلبونه بمعرفته ، فيأمرهم - بناء على

(١) يدرأ : يدفع .

ارثياد ربه — أن يذبحوا بقرة ، فيقابلوا الامر بالاستهزاء ، ويسألوا عنها : في سنها ، في لونها ، في ثأنها كله ، حتى ضيقوا على أنفسهم ، ولم يعثروا عليها الا بعد شدة ، فتذبح البقرة ، ويضرب القتيل بجزء منها ، فيحيا ، ويخبر بقاتله ، ومع هذه الآية الواضحة القوية تظل قلوبهم قاسية ، فهي كالحجارة ، أو أشد قسوة « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما ييشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (١) » .

سوء ظن بنى اسرائيل برسولهم موسى عليه السلام ، وتلكؤهم في تنفيذ أوامر الله تعالى :

« واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (٢) قالوا أنتخذنا هزوا (٣) قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (٤) ، قالوا ادع لنا ربك (٥) بين لنا ما هي (٦) قال انه يقول انها بقرة لا فارض (٧) ولا

(١) ارجع الى ص ٤ وما بعدها من العدد ١٢ — المجلد الثالث — ذو الحجة ١٣٩٥ هـ من المجلة .

(٢) يأمركم أن تذبحوا بقرة أى بقرة ، وتضربوا القتيل ببعضها فيحيا باذن الله ، ويخبر بقاتله .

(٣) أنتخذنا هزوا : انهزأ بنا وتسخر منا .

(٤) أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين : التجيء الى الله ، وأستجير به أن أكون من السفهاء الهازئين ، و ( الجاهلين ) : من الجهل وهو السفه وسوء الأدب ، لا من الجهل ضد المعرفة والعلم ، كما في قوله تعالى : « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » من الآية ٦٣ من سورة الفرقان ، وأما ما جاء من ترجمة « الجاهلين » بـ « ignorant people » فسهو وقع في كتابي :

The koran interpreted لترجمه آرشرج . آربرى Arther J. Arberry و The Meaning of the Quran, Vol. 1 للعلامة محمد

أكبر مترجم كتاب « تفهيم القرآن » للمفسر العلامة أبى الاعلى المودودى من اللغة الأردية الى اللغة الإنجليزية .

(٥) « ادع لنا ربك » كأنها الله تعالى رب موسى لاربيهم ، كما قالوا : « فاذهب أنت وربك » وفي هذا من سوء الأدب ما فيه .

(٦) ما هي ؟ : للسؤال عن الماهية ، وحقيقة البقرة ، وفي هذا السؤال انكار واستهزاء ، فالبقرة معروفة لهم ، وهنا يردهم موسى الى الجادة والحق ، فيسلك معهم في الاجابة طريقا غير طريق السؤال ، انه لا يجيبهم بانحرافهم في صيغة السؤال كى لا يدخل معهم في جدل شكلى ، انما يجيبهم كما ينبغي أن يجيب المعلم الربى من بينليه الله بهم من السفهاء المنحرفين ، يجيبهم عن صفة من صفات البقرة : « انها بقرة لا فارض ولا بكر » .

(٧) فارض : عجوز مسنة .

بكر (١) عوان (٢) بين ذلك (٣) فافعلوا ما تؤمرون » •

انفردت سورة البقرة بذكر حادثة قتل وقعت في بنى اسرائيل على عهد موسى عليه السلام ، وكان للبقرة — وهى الحيوان المعروف الذى اتخذه بنو اسرائيل لها في وقت ما يعبدونه من دون الله — شأن الهى عجيب في هذه الحادثة •

وقعت الجناية ، وقتل القتيلى ، واختلف أهل الحى — الذى لوثت أرضه بدم الجناية — فى القاتل : من هو ؟ وأخذ كل يدفع الجناية عن نفسه ، ويتهم بها غيره ، وفيهم من يعلم عين الجانى ويكتم أمره « واذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها (٤) والله مخرج ما كنتم تكتمون (٥) » وترافع القوم الى موسى عليه السلام ليحكم فى هذه الجناية التى خفى مرتكبها ، فأمرهم — صلوات الله وسلامه عليه — عن ربه — جل وعلا — أن يذبحوا بقرة ، وأن يضربوا القتيلى ببعضها ، فيحيا باذن الله ، ويخبر بقاتله ، ولما طبع عليه بنو اسرائيل من العناد والتكبر فى تنفيذ الاوامر — وقفوا كالساخرين الهائزين من الامر بذبح البقرة فى هذا المقام ، حتى لقد قالوا لموسى : « أتتخذنا هزوا ؟ » وما كان لنبى الله أن يسخر أو يهزأ ، أو يكذب على الله ، ويخبر عنه بما لم يأمر به ، قال : أعود بالله أن أكون من الجاهلين ، ولكنها القلوب المتوية تتصرف عن الحق وتعاقد فى قبوله ، فما كان من بنى اسرائيل — قوم موسى عليه السلام — الا أن راحوا يستفسرون عن تفصيلات كثيرة ، ليجدوا

(١) بكر : فتية صغيرة لم يلحقها الفحل •

(٢) عوان بين ذلك : نصف بين السنين ، بين الكبر والصغر ، فليست مسنة ، ولا فتية ، وانما هى وسط ، يقال : حرب عوان : اذا لم تكن أول حرب •

(٣) « ذلك » : لا تضاف الا الى متعدد ، وأضيفت هنا الى اسم الإشارة : « ذلك » لانه مشار به الى الفارض المسنة ، والبكر الفتية ، وهما متعدد •

(٤) ادارأتم فيها : تخاصمتم أو تدافعتم فى شأن هذه النفس التى قتلت ، فالقى كل منكم تهمة القتل على الآخر •

(٥) مخرج ما كنتم تكتمون : مظهر ما كنتم تكتمونه ببيان القاتل •

لهم ثغرة ينفذون منها ويروغون ، سألوا عن البقرة ، قالوا : « ادع لنا ربك يبين لنا ما هي » « ادع لنا ربك يبين لنا مالونها » « ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا » أكثروا من السؤال ، وشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم جزاء تنطعهم وتلكهم في تنفيذ الامر ، شأنه مع كل متشدد متنطع (١) ، وحددها لهم في دائرة ضيقة من السن ، واللون ، والعمل : « انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » « انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » « انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها » .

وأخيرا وبعد حيرة ومشقة عثروا عليها « فذبحوها وما كادوا يفعلون » ثم ضربوا القتل بجزء منها ، فأحياه الله ، وأنبأهم بالمجرم الجاني « كذلك يحيى الله الموتى ويريككم آياته لعلكم تعقلون » .  
انفردت هذه السورة بذكر تلك القصة ، ومن أجلها سميت « سورة البقرة » .

(١) فلو أنهم قصدوا الى ادنى بقرة وذبحوها لكتهم ، ولكنهم شددوا فشدد الله تعالى عليهم ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انها أمروا بأدنى بقرة ، ولكنهم لما شددوا شدد الله عليهم . أيم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم . . . » الحديث . والمقصود باستثنائهم قولهم : « ان شاء الله » كما جاء في الآية : « وانما ان شاء الله لمهتدون » . ومن ادب الاسلام في ذلك ما رواه الامام أحمد - بسنده - عن علي قال : « لما نزلت هذه الآية : ( ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ) - قالوا : يا رسول الله ، أفى كل عام ؟ فسكت ، فقالوا : أفى كل عام ؟ فسكت . ثم قالوا : أفى كل عام ؟ فقال : لا . . . ولو قلت : نعم ، لوجبت . . . ولو وجبت لما استطعتم » . فأنزل الله تعالى : « بأيتها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حلیم ، قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » . الأيتان ١٠١ و ١٠٢ من سورة المائدة .

وفي هذا تحذير من السؤال عن أشياء : يكون من شأن ابدائها حرج للمسلمين .

أما السؤال لغرض التفقه او معرفة الحكم في أمر ديني - فلا مانع منه ، كما وقع في شأن تحريم الخمر بعد نزول آية البقرة : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » من الآية ٢١٩ فقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكرر المسألة : « اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا » حتى انتهى التشريع الى تحريم الخمر .

وموضوع قصة البقرة موجود عندهم في التوراة في الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التثنية : ١ - ٩ ، وفي الاصحاح التاسع عشر من سفر العدد : ١ - ١٠ ، لكن التوراة لا تحكى لنا كيف حاول اليهود التملص والمراوغة وتحاشى ذبح البقرة عن طريق اثاره الاسئلة الثقافية غير الضرورية .

### الصفة الثانية من صفات البقرة :

بعد أن بين موسى عليه السلام - بوحي من ربه - سن البقرة ، وأنها بين الفارض والبكر - عقب على هذا البيان بنصيحة أمرة حازمة « فافعلوا ما تؤمرون » تجديدا للامر السابق « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » وتأكيدا له ، وتبنيها لهم على ترك التعنت والمراجعة ، فانها ليست في مصلحتهم ، ومع ذلك فقد أبوا الا تنطعا ، واستقصاء في السؤال ، فأخذوا يسألون عن لونها بعد أن عرفوا سنها ، فقالوا كما حكى القرآن عنهم :

« قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » .  
والمعنى : قال بنو اسرائيل لنبيهم ، مشددين على أنفسهم ، مضيقين عليها دائرة الاختيار : سل لنا ربك يبين لنا مالونها ، فأجابهم بقوله : انه - تعالى - يقول : ان البقرة التى أمرتكم بذبحها صفراء فاقع لونها ، شديد الصفرة ، تسر الناظرين بلونها ومرآها .

والفقوع : تأكيد للصفرة ، كما قالوا في تأكيد الالوان : أبيض فاصع ، وأسود حالك ، وأحمر قانىء ، وأخضر ناضر .  
والى هنا يكونون قد عرفوا وصف البقرة من حيث سنها ، ووصفها من حيث لونها ، فهل أغنتهم هذه الاوصاف ؟ لا ، لم تغنهم ، فقد أخذوا يسألون للمرة الثالثة عما هم في غنى عنه ، كما سنرى في العدد القادم ان شاء الله .

والله نسأل أن يجنبنا اللجاجة والجدل ، ونعوذ به أن نكون من

عنتر حشاد

الجاهلين .

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

واذ قال موسى لقومه ان الله يامرکم ان تذبحوا بقرة قالوا انتخذنا  
هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين (٦٧) قالوا ادع لنا  
ربك بين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان  
بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون (٦٨) قالوا ادع لنا ربك بين لنا ما لونها  
قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (٦٩) قالوا  
ادع لنا ربك بين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله  
لمهندون (٧٠) قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثر الارض ولا تسقى  
الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها  
وما كادوا يفعلون (٧١) واذا قتلتم نفسا فادارآتم فيها والله مخرج  
ما كنتم تكتمون (٧٢) فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى  
ويريكم آياته لعلكم تعقلون (٧٣) ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي  
كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة ما يتفجر منه الانهار  
وان منها ما يشقق فيخرج منه الماء وان منها ما يهبط من  
خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (٧٤) .

هذه الآيات الكريمة في قصة البقرة التي سميت السورة باسمها ،  
وهي تذكر بنى اسرائيل بموقف من مواقف العناد التي وقفها آباؤهم  
من قبل ، وكانت سببا في التشديد عليهم :

تقع فيما بينهم حادثة قتل فلا يعرف القتال ، ويختلفون على  
أنفسهم فيه ، كل منهم يدرأ (١) عن نفسه تهمة القتل أو يتهم بها غيره  
« واذا قتلتم نفسا فادارآتم فيها » (٢) فيلتجئون الى موسى — عليه

(١) يدرأ عن نفسه تهمة القتل : يدفعها عن نفسه .

(٢) ادارآتم فيها : تخاصمتم ، أو تدانعتم في شأن هذه النفس التي

قتلت ، فألقى كل منكم تهمة القتل على الآخر .

السلام — ويطلبونه بمعرفة القاتل ، فيأمرهم — بارشاد من ربه — أن يذبحوا بقرة ، ويضربوا القاتل بجزء منها ، فيحيا ويخبر بقاتله ، ولو أنهم عمدوا الى أية بقرة فذبحوها لكفتهم — كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم (١) ، ولكنهم تلوأوا في تنفيذ الامر ، وأكثروا من السؤال وشددوا على أنفسهم ، فشدد الله عليهم جزاء تنطعهم وعنادهم ، سألو عن البقرة : في سنها ، في لونها ، في شأنها كله ، حتى ضيقوا على أنفسهم ، ولم يعثروا عليها الا بعد شدة « فذبحوها وما كادوا يفعلون » (٢) ثم ضربوا القاتل بجزء منها ، فأحياه الله ، وأنبأهم بالمجرم الجاني « كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » .

ومع هذه الآية الواضحة القوية تظل قلوبهم قاسية ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يثقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » .

وقد رأينا — في المقال السابق — الوصفين الأولين من أوصاف البقرة : من حيث سنها ، ولونها • (٣)  
لم يكتب بنو اسرائيل بمعرفة سن البقرة ، ولونها ، وانما سألو سؤالاً ثالثاً ، فأجابهم عن عملها :

« قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهندون ، قال انه يقول انها بقرة لا ذلول (٤) تثير الارض (٥) »

(١) ارجع الى هامش ١ ص ٤ من عدد جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ  
(٢) وما كادوا يفعلون : وما قربوا من أن يذبحوها لعنادهم ، أو لغلاء ثمنها ، أو خوف الفضيحة بمعرفة الجاني ، أو لعبادتهم البقر ، وعدم ذبحه ، والامتناع عن اكله .

(٣) ارجع الى عددي جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ — وذى الحجة ١٣٩٥ هـ من المجلة لقرى ذلك مفصلاً .

(٤) لا ذلول : ليست مذلة بالعمل ولا متمرنة عليه .

(٥) تثير الارض : لا تثيرها ، واثارة الارض : حرثها وقلبها للزراعة ، فجملة ( تثير الارض ) بيان لكلمة ( ذلول ) ، وكل منهما صفتان منفيتان .



ولا تسقى الحرث (١) مسلمة (٢) لا شية فيها (٣) قالوا الآن جئت  
بالحق فذبوها وما كادوا يفعلون » •

كرروا سؤالهم الاول ( ما هي ؟ ) لطلب الاستكشاف الزائد ، وبينوا  
سبب هذا التكرار بقولهم « ان البقر تشابه علينا » ان البقر الموصوف  
بالعوان ، وبالصفرة الفاقعة كثير ، فاشتبه علينا أمر تلك البقرة التي  
تويدنا أن نذبها •

وقولهم بعد هذا : « وانا ان شاء الله لمهدون » الى البقرة المطلوب  
ذبها ، أو الى معرفة القاتل بسببها •

وفي استثنائهم هذا ، واتيانهم بالمشيئة تخفيف لصورة عنادهم ،  
وتحسين الظن بهم • وفي الحديث « لو لم يستثنوا — أى بقولهم ان  
شاء الله — لما بينت لهم صفتها الى آخر الابد » • (٤)

وقد أجابهم موسى عليه السلام — عن ربهم — بقوله :

« قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث  
مسلمة لا شية فيها » •

أنها بقرة صعبة ، غير ميسرة لحرث الارض ، وسقى الزرع ،  
يقال : بقرة ذلول ، أى هينة سهلة الانقياد • قال ابن قتيبة : يقال  
في الدواب : دابة ذلول : بينة الذل ( بكسر الذال ) ، وفي الناس : رجل  
ذليل : بين الذل ( بضم الذال ) •

ولفظ ( لا ) في ( لا ذلول ) بمعنى : غير •

« وتثير الأرض » تقلبها للزراعة ، ولهذا يقال للبقرة : المثيرة •  
وصفات البقرة الثلاث : الذل ( بكسر الذال ) واثارة الأرض ،

---

(١) ولا تسقى الحرث : لا تسقى الزرع ، والحرث : الزرع من نبات  
وشجر ، أو هو الارض المهية للزراعة ، والمعنى : ان هذه البقرة التي  
أمروا بذبها لا تستطيع حرث الارض ولا سقيها ، لانها لم تدرب على  
العمل .

(٢) مسلمة : لا عيب فيها .

(٣) لاشية فيها : ليس فيها بقعة من لون آخر يخالف لونها العام ،  
وهو الصفرة .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة .

وسقى الحرث كلها منفية ، فلا وقف على كلمة « ذلول » كما قال الفراء ، ولا عبرة لما حكى عن أبى حاتم السجستاني من اجازة الوقف ، واثبات اشارة الأرض للبقرة ، لانفيها عنها ، فان البقرة التى تثير الأرض لا يعدم منها سقى الحرث ، وكذلك متى أثارت الارض كانت ذلولاً .

ومن صفات هذه البقرة كذلك أنها « مسلمة » من العيوب « لا شية فيها » ليس فيها لون يخالف لون جلدها من بياض أو سواد أو غيرها ، بل هي صفراء كلها .  
فماذا كان موقف هؤلاء السائلين ؟

« قالوا الآن جئت بالحق » جئتنا بحقيقة وصف البقرة ، فقد ميزتها عن جميع ما عداها : من جهة السن ، واللون ، وكونها من السوائم (١) لا العوامل (٢) ، ولا وجه لنا في طلب الايضاح بعد ذلك .  
« فذبحوها » فجاءوا بالبقرة الموصوفة ، فذبحوها .

« وما كادوا يفعلون » وما قاربوا أن يفعلوا الذبح ، ونفى مقاربة الفعل أبلغ من نفي الفعل نفسه ، كما في قوله تعالى « لا يكادون يفقهون حديثاً » (٣) ، وكما جاء في النهى عن الزنى ، وأكل مال اليتيم النهى عن انقرب من الزنى ومال اليتيم : « ولا تقربوا الزنى » (٤) « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن » (٥) . فالمقصود هنا — والله أعلم — المبالغة في تباطئهم ، وتعمدهم اطالة الزمن ، بكثرة المراجعات في وصف البقرة .

ولعل اكثرهم من المراجعات في أوصافها ، رجاء الوصول الى تعيين وصف يتعذر وجوده في أبقارهم ، فيعفون من ذبح البقرة التى سنكتشف لهم الجانى ، سترا لفضيحتة ، وتجنبنا لقتله ، أو لأنهم لا يريدون ذبح

(١) السوائم : جمع سائمة ، والماشية السائمة : التى ترعى حيث شاعت .

(٢) العوامل : جمع عاملة ، وهى ما تستعمل في الحرث والسقى ودرس الزرع من البقر والابل .

(٣) من آية ٧٨ من سورة النساء .

(٤) من آية ٣٢ من سورة الاسراء .

(٥) من آية ١٥٢ من سورة الانعام . ومن آية ٣٤ من سورة الاسراء .

البقر الذى يعبدون ، أو لأن طبيعتهم اللجاجة والتعنت ... الى آخر ما مر بك تفصيلا فى الهامش .

« واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ، فقلنا أضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلمكم تعقلون » .

والمعنى : واذكروا يابنى اسرائيل اذ قتلتم نفسا فادارأتم وتدافعتم فى ثسانها ، فكان كل منكم يدفع التهمة عن نفسه ، حتى لا يقتل فى المقتول .

وأسند الفعل ( قتلتم ) اليهم جميعا ، لأن المسؤولية فى القتل مشتركة بين الجميع ، حتى يعرف القاتل .

كما أسند القتل — أيضا — الى اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ، لانهم من سلالات هؤلاء القتلة — وكثيرا ما يستعمل القرآن الكريم هذا الاسلوب كما عرفت فيما سبق — للتنبيه على أن الخلف قد سار على طريقة السلف فى الانحراف والضلال .

وهذه الجناية الآثمة هى السبب فى الأمر بذبح البقرة ، لتكون وسيلة لمعرفة شخص القاتل ، ومعجزة لموسى عليه السلام .

وكان من حق السبب وهو القتل أن يقدم على المسبب ، وهو الامر بذبح البقرة ، وأن يقال — مثلا — : « واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها ، فقلنا اذبحوا بقرة ، واضربوه ببعضها ... » أو قول نحو ذلك . فما للقصة لم تقص على ترتيبها ؟

والجواب : أنه قدم قصة الذبح أولا ، للأمور اقتضتها بلاغة القرآن :

الاول : تصوير مخالفتهم ، وما تعودوه من عنف ومعارضة لنبيهم موسى ، ليسجل عليهم حرصهم على العناد ، ولو كان فيما أمر به مصلحة لهم ، وقصة الذبح ظاهرة فى ذلك .

والثانى : أن تقديم قصة الذبح يهيء النفوس لاستطلاع السبب ،

فيكون ذكر السبب - بعد ذلك - أوقع في النفس ، فنتقبلها بشغف واهتمام .

الثالث : في قصص بنى اسرائيل تعديد لما وجد منهم من الجنايات ، وتقريع لهم عليها ، وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع ، وان كانتا متصلتين متحدتين ، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك ، والآخرى للتقريع على قتل النفس المحرمة ، فلو قدم قصة القتل على الأمر بذبح البقرة لكانت قصة واحدة ، ولذهب الغرض من تشية التقريع .

« والله مخرج ما كنتم تكتمون » مظهر ما كنتم تكتمونه من اخفاء.

• شخص القاتل

« فقلنا اضربوه ببعضها » اضربوا القاتيل بجزء منها ، فضربوه بجزء منها ، فأحياء الله تعالى ، ونطق باسم القاتل ، ثم مات بعد أن أخبر به .

« كذلك يحيى الله الموتى » مثل ذلك الاحياء الذى رأيتموه يحيى

الله تعالى الموتى ، ويبعثهم من قبورهم للحساب والجزاء .

« ويريكم آياته لعلكم تعقلون » لكى تعقلوا وتؤمنوا بالبعث بعد

الموت ، فان من قدر على احياء هذا القاتيل قدر على احياء غيره .

سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله

كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :

أما مررت بوادى قومك ممحلاً<sup>(١)</sup> ؟ قال بلى . قال : ثم مررت به يهتز

خضرا ؟ قال : بلى ، قال فكذلك يحيى الله الموتى<sup>(٢)</sup> .

« ثم قست<sup>(٣)</sup> قلوبكم من بعد ذلك<sup>(٤)</sup> فهي كالحجارة أو أشد

قسوة وان من الحجارة ما يتفجر<sup>(٥)</sup> منه الانهار وان منها ما

(١) جدبا .

(٢) رواه أحمد .

(٣) القساوة : الغلظ مع الصلابة ، فهي من صفات الحجارة ، وقد

وصفت بها القلوب مجازا .

(٤) من بعد ذلك : من بعد احياء القاتيل ، أو من بعد جميع ما تقدم

من الآيات التى تلين القلوب وترققها .

(٥) التفجر : التفتح بسعة وكثرة ، والمعنى : من الحجارة ما يتفجر

ويخرج منه الانهار .

يشقق (١) فيخرج منه الماء وأن منها لما يهبط من خشية الله (٢) وما الله بغافل عما تعملون» •

ثم قست قلوبكم من بعد احياء القتيل ، ومن بعد هذه الآيات: مسخ القردة والخنازير ، ورفع الجبل ، وانفجار العيون من الحجر • الخ ، وما كان يتوقع منكم ذلك بعد ما تقدم من آيات تلين القلوب وترققها • و (ثم ) لاستبعاد قسوة قلوبهم بعد العظات السابقة الموجبة لرققتها ، ونظير ذلك قوله تعالى في الآية الأولى من سورة الأنعام : « الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (٣) » •

والحجارة التى يقيس قلوبهم اليها ، فاذا قلوبهم منها أجذب وأقسى • • هى حجارة لهم بها سابق عهد ، فقد رأوا الحجر تنفجر منه اثنتا عشرة عينا ، ورأوا الجبل يندك حين تجلى له ربه وخر موسى صعقا ، ولكن قلوبهم لا تلين ولا ترق ، ولا تخشى الله وتتقيه ، فهى قاسية مجدبة كافرة ، ومن ثم يجيء هذا التهديد « وما الله بغافل عما تعملون» • يمهلكم ولا يهلككم ، ومن لم تنفعه صنوف النعم ، يعاقبه الله بضروب النقم •

وبهذا يختم هذا الشطر من الجولة مع بنى اسرائيل فى تاريخهم الحافل بالكفر والتكذيب ، والاتواء واللجاجة ، والكيد والدس ، والقسوة والجذب ، والتمرد والفسوق •

والله نسأل أن يرقق قلوبنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، انه سميع الدعاء ، ولى التوفيق •

### عنتر حشاد

(١) يشقق : يتشقق والتفجر أقوى من التشقق ، فالتفجر ناشئ عن ضغط بالغ منتهى القوة ، بسبب كثرة الماء ، وشدة ضغطه ، ولذا خرجت بالتفجر الأنهار ، أما التشقق فناشئ عن ضغط يسير للماء ، ولذا خرجت به مياه العيون •

(٢) يهبط من خشية الله : ينقاد لأمر الله وقوانينه ، فيشمل ذلك تشققها وتحطمها ، وتأثرها بأى سبب جعله الله لذلك •

(٣) بربهم يعدلون : يسوون بربهم غيره مما لا يقدر على شيء من ذلك •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

« أفنطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (٧٥) » .

استبعاد ايمان اليهود ، واستجابتهم للمسلمين ، وأسبابه :

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يطمعون في أن يسارع اليهود بالمدينة المنورة الى الايمان به ، وذلك نظرا الى أنهم أهل كتاب ، وأهل دين سماوى ، أصوله هى أصول رسالة الاسلام ، وكتابهم - التوراة - يبشر بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ويذكر أوصافه ، ولكن الله - عزوجل - يعلم منهم خلاف ذلك ، فهم سلالة أولئك الذين يحتفظ لهم التاريخ بكثير من المساوىء الدينية ، ومواقف العناد والمكابرة والاعتداء والقتل لرسولهم ، ولم يعمل هؤلاء الخلف على تطهير نفوسهم مما كان عليه الاسلاف ، وقد قص الله - تعالى - على نبيه والمؤمنين - فيما سبق - كثيرا من مساوئهم ، كما ذكر لهم كثيرا من النعم التي كان يعالجهم بها ، المرة بعد الاخرى (١) .

وفي هذا القسم ( من الآية ٧٥ ) يذكر مساوىء اليهود المعاصرين للبعثة النبوية ، ويقص علينا - في تفصيل - من منكرات أفعالهم

(١) ارجع الى الآيات السابقة من سورة البقرة ( من آية ٤٠ - الى آية ٧٤ ) ، وتفسيرها فيما مضى من أعداد المجلة ، لترى هذه النعم والمساوىء مفصلة .

وأقواويلهم زهاء عشرين سببا لا تبقى مطمعا لطامع في ايمانهم ، سواء منها ما كان مختصا بهم ، وما كان يشاركهم فيه غيرهم من أسلافهم ، أو النصارى ، أو الوثنيين ، ثم لا يترك زعما من مزاعمهم الكاذبة الا رد عليه ، وفنده (١) ، وأبطله .

### تفسير الآية :

« أفنطمعون (٢) أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق (٣) منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه (٤) من بعد ما عقلوه (٥) وهم يعلمون (٦) » .

المخاطبون — بهذه الآية الكريمة — « أفنطمعون أن يؤمنوا لكم » هم الانصار ، أهل المدينة ، المؤمنون الجدد (٧) ، الذين لم يكن قد مضى على اسلامهم غير وقت قليل ، وكانوا صدقوا الرسول — صلى الله عليه وسلم — وآمنوا به ، لانهم سمعوا من جيرانهم اليهود — أهل الكتاب — أحاديث عن : الوحي ، والنبوة ، والملائكة ، والشريعة ، ونحو ذلك ، وعرفوا منهم أنهم يرتقبون ظهور نبي جديد قد أظل زمانه ، سوف يظهر أتباعه على العالم كله ، وهذا ما دفع أهل المدينة الى تصديق محمد عليه الصلاة والسلام ، والدخول في دين الله أفواجا .

ولقد كان أهل المدينة ينتظرون من هؤلاء اليهود ، أهل الكتاب ، الذين يتحدثون بألسنتهم عن مبعث هذا النبي — أن يكونوا أول المؤمنين

(١) التفنيذ : تضعيف الراى .

(٢) الطمع : تعلق النفس بالحصول على شىء مرغوب تعلقا قويا .

(٣) فريق منهم : هم أبحار اليهود وعلماؤهم وأئمتهم .

(٤) التحريف : تغيير النص المسموع ، أو المكتوب ، وتبديله ، أو تأويله تأويلا فاسدا ، وعلماؤ اليهود لم يكتفوا بتأويل وتحريف وفساد تفسير الكتب المقدسة التى أنزلت اليهم ، وإنما امتدت أيديهم الى النص الأسمى والفاظه فعبثت بها ، وعملت فيها بالتغيير ، والحذف ، والكتمان ، واللى بألسنتهم وسأضرب أمثلة لذلك — ان شاء الله — مستشهدا لها بما جاء فى القرآن الكريم .

(٥) عقلوه : فهموا كلام الله على وجهه الصحيح .

(٦) وهم يعلمون : يعلمون أنهم — بهذا التحريف — يكذبون على الله تعالى ، أو يعلمون ما يستحقه محرف كلام الله من الخزي والعذاب الاليم .

(٧) هناك آراء متعددة فى تعيين المخاطبين بهذه الآية ، اخترت منها

هذا الراى .

به ، وأن يمدوا له يد العون . ويؤازروه ، فلما لم يفعلوا ذلك مشى الانصار اليهم ، ودعوهم الى الاسلام ، لكن اليهود لم يستجيبوا لهم ، فما كان من المعارضين للاسلام من أهل المدينة : المنافقين ( عبد الله بن أبي ابن سلول ) وغيرهم الا أن رأوا فرصة مواتية لصد الناس عن دين الله ، متخذين رفض اليهود دليلا ضد الاسلام ، قائلين : لو كان محمد ( عليه الصلاة والسلام ) رسولا من الله حقا لما أنكره هؤلاء المتدينون ، المتعلمون ، يعنون ( اليهود ) .

ولدفع الأذى الذى قد ينجم عن هذه المغالطة ، وتفنيد هذا الزعم ، ودحض هذه الفرية ، وتثبيت المؤمنين ، وتثبيتهم من ايمان اليهود ، واستجابتهم لهم — أورد القرآن الكريم تاريخهم الماضى ( تاريخ أسلافهم (١) ) ، وتاريخهم الحاضر ( تاريخ المعاصرين منهم للبعثة النبوية (٢) ) ليبين للناس أن لا خير يرجى من مثل هؤلاء ، فكان ذلك منه تحذيرا للمسلمين الأوائل من أن يأملوا فى ترحيب يهود مدينتهم جميعا بظهور محمد — عليه الصلاة والسلام — على أنه النبى الذى جاءت بنبوته كتبهم التى فيها يدرسون ، وتحذيرا لهم — كذلك — من أن يتوقعوا هذا من قوم كان تاريخهم كذا وكذا ، وما زال شأنهم كذا وكذا .

ولقد كان ذلك ضروريا ، لأن المؤمنين الجدد كانوا عرضة للتراخي وفتور الهمة بسبب رفض اليهود دعوة الاسلام ، والكيد لها .

وقد غدا اليهود — وقتئذ — على انحطاط ووحشية وقسوة حالت دون تأثرهم بالآيات القرآنية التى صهرت أغلظ القلوب : قلوب المشركين الوثنيين الذين اعتادوا وأد بناتهم ، وقتلن أحياء .

لهذا أخبر الله — تعالى — المسلمين المتحمسين وقتذاك ، الطامعين فى ايمان اليهود ، واستجابتهم للمسلمين — أن عليهم أن يفهموا وضع اليهود ، وطبيعتهم ، وهم الذين شوهوا الحقيقة وأفسدوها ، وبدلوا

(١) فى الآيات السابقة من آية ٤٩ الى آية ٧٤ التى فسرت فيما مضى .  
(٢) فى هذه الآيات التى سنشرحها من الآية ٧٥ .



التوراة ، لتناسب أهواءهم وشهواتهم ، ثم حرفوا الدين ، وجعلوه ميدانا تسقط فيه انعكاسات أحلامهم وأمانيتهم . . . الى آخر ما كان منهم ، وما يتصفون به ، مما ستفصله الآيات بعد .

### أمثلة من تحريف اليهود كلام الله ، وكتمانهم ما في التوراة :

حرف اليهود التوراة ، وكتموا ما فيها ، على علم منهم بالحق ، وبعاقبة فعلهم ، كما جاء في القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، نجد ذلك واضحا في كثير من الشواهد :

١ - يقول سبحانه في أهل الكتاب من اليهود والنصارى : « وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب (١) لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٢) » .

روى الضحاك عن ابن عباس : أن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا ، وذلك أنهم حرفوا التوراة والانجيل ، وألحقوا بكتاب الله تعالى ما ليس منه .

وكما وقع التحريف في القراءة وقع في الكتابة أيضا .

٢ - ويقول عز وجل في اليهود : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه (٣) » .

وفي هذا بيان لنوع من أنواع ضلال أهل الكتاب : الذين ائتمروا بالضلالة ، فانهم يتأولون الكلام على غير تأويله ، ويفسرونه بغير مراد الله تعالى كذبا منهم ، وافتراء ، وتضليلا للمسلمين .

٣ - ويقول تعالى في الذين هادوا : « يحرفون الكلم من بعد

---

(١) يلوون ألسنتهم بالكتاب : يميلونها بالكتاب ، عدولا به عن الحق تحريفا أو تأويلا ، واللى : الميل . يقال : لوى برأسه : اذا أماله . والكتاب : التوراة والانجيل .

(٢) الآية ٧٨ من سورة آل عمران .

(٣) من الآية ٤٦ من سورة النساء .

مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا (١) » •  
 وفي سبب نزول هذه الآية ٤١ من سورة المائدة — روى أحمد  
 ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب قال : « مر (٢) على النبي صلى الله  
 عليه وسلم بيهودي محمم (٣) مجلود ، فدعاهم ، فقال : هكذا تجدون  
 حد الزانى فى كتابكم ؟ فقالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال :  
 أنشدك (٤) بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، هكذا تجدون حد الزانى  
 فى كتابكم ؟ فقال : لا والله ، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك ، نجد  
 حد الزانى فى كتابنا الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا ، فكتنا اذا زنى الشريف  
 تركناه ، واذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا : تعالوا حتى نجعل  
 شيئا نقيمه على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد ،  
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم انى أول من أحيا أمرك اذ أماتوه ،  
 فأمر به فرجم ، فأنزل الله الآية : « يأيها الرسول لا يحزنك الذين  
 يسارعون فى الكفر » •

• وفى هذا ما فيه من تبديل اليهود آية الرجم فى التوراة •

٤ — وكذلك — بكتمانهم ما فى التوراة — نزل قوله تعالى (٥) :  
 « ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس  
 فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » •

وفى سبب النزول أخرج جماعة عن ابن عباس قال : سأل معاذ بن  
 جبل ، وسعد بن معاذ ، وخارجة بن زيد نفرا من أخبار يهود عن بعض  
 ما فى التوراة ، فكتموهم اياه ، وأبوا أن يخبروهم ، فأنزل الله — تعالى —  
 هذه الآية •

(١) من الآية ٤١ من سورة المائدة •

(٢) مر : بضم الميم ، فعل مبنى للمجهول ، أى : جىء اليه بيهردى ...

(٣) محمم : مطلى وجهه بالسواد •

(٤) أنشدك : بفتح الهمزة ، أى أسألك بالله . . .

(٥) الآية ١٥٩ من سورة البقرة ، وستأتى فى التفسير مفصلا ، ان شاء  
 الله تعالى •

## لمحات فنية في الآية (١) :

١ - هذه الآية الكريمة ( آية ٧٥ ) افتتحت الحديث معنا - نحن المؤمنين - في شأن اليهود المعاصرين للبعثة النبوية ، بعد أن انتهى الحديث مع هؤلاء اليهود في شأن أسلافهم ، وكان الحديث معهم بأسلوب الخطاب ، كما هو واضح في الآيات من ٤٠ - الى ٧٤ : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ... » « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ... » « واذا نجيناكم من آل فرعون » « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى » « واذا قلت يا موسى لن نصبر على طعام واحد » « واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلمك تتقون » •

وأراد القرآن أن يصل حاضرهم بماضيهم فانظر كيف وضع بينهما حلقة الاتصال في هذه الآية التى ختم بها القسم الاول : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » ، فقوله : « من بعد ذلك » كلمة حددت مبدأ تاريخ القسوة ، ولم تحدد نهايته ، كأنها بذلك وضعت عليه طابع الاستمرار ، وتركته يتخطى العصور والاجيال فى خيال السامع ، حتى يظن أن الحديث قد أشرف به على العصر الحاضر ، ثم لم يلبث هذا المظن أن ازداد قوة بصيغة الجملة الاسمية التى تفيد الثبوت والاستمرار ( فهى كالحجارة ) دون أن يقول : فكانت كالحجارة •

وفى وصف قلوبهم بهذه القسوة الثابتة المستمرة توطئة وتمهيد لتغيير الاسلوب فيهم ، وترك خطابهم ، فان من يبلغ قلبه هذا الحد من القسوة يصبح استمرار الخطاب معه بعيدا عن الحكمة ، ويصير جديرا بصرف الخطاب عنه الى غيره ممن له قلب سليم • وهكذا انتقل الكلام من الحديث معهم الى الحديث عنهم ، ومن خطاب اليهود الى خطاب المسلمين : « أفتمطمعون أن يؤمنوا لكم » •

(١) بعد الانتهاء من تفسير الآية اردت أن اقدم هذه اللمحات لمن اراد ان يندوق جمال التعبير القرآنى الكريم ، وبلاغته .

وهذا الانتقال هو ما يسميه علماء البلاغة ( الالتفات ) وقد مر بك عند تفسير قوله تعالى : « اياك نعبد و اياك نستعين » الآية ٤ من سورة الفاتحة ، وفي تفسير قوله تعالى : « كيف تكفرون بالله » من الآية ٢٨ من سورة البقرة (١) •

٢ — « أفطمعون أن يؤمنوا لكم » هذه الجملة تفصل بين تاريخين لليهود : تاريخ أسلافهم الماضى القديم الذى تحدثت عنه الآيات الى آية (٧٤) كما رأينا ، وتاريخهم الحديث : تاريخ المعاصرين منهم للبعثة النبوية ، ابتداء من هذه الآية ( آية ٧٥ ) كما سنرى ان شاء الله •

وهى جملة طريفة ، فريدة فى أسلوبها ، تختلف عما قبلها ، وعما بعدها ، فهى جملة استفهامية ، أما ما قبلها وما بعدها فسرد اخبارى لمساوىء اليهود فى تاريخهم القديم والحديث •

وهذه الجملة : « تطمعون أن يؤمنوا لكم » يكتنفها (٢) حرفان عجيبان : الفاء من قبلها ، والواو من بعدها : « أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم ... » ( الفاء ) تعيد الى الذاكرة ما مضى من تاريخ الاسلاف ، و ( الواو ) تفتح الباب لكل ما يأتى من حوادث اليهود المعاصرين للرسول — صلى الله عليه وسلم — وتقع الجملة « تطمعون أن يؤمنوا لكم » بين التاريخين القديم والحديث موقع العبرة المستنبطة ، والنتيجة المقررة ، بين أسباب مضت ، وأسباب تأتى للتأسيس من ايمان اليهود : « أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » •

فهذه ( الفاء ) تقول لنا : « أبعد كل ما قصصناه يطمع طامع فى ايمان هؤلاء القوم ، وهم الوارثون لذلك التاريخ الملوث ؟ » •

---

(١) ارجع الى ص ٥ من العدد ٣ المجلد السادس من المجلة ، عدد شهر ربيع الأول ١٣٩٨ هـ .

(٢) يكتنفها : يحيط بها من قبلها ومن بعدها ، يسبقها ويتلوها .

وهذه (الواو) تقول: « هذا ، ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وما زالوا في طغيانهم يعمهون (١) » .

٣ — همزة الاستفهام في الآية : « أفقتطمعون أن يؤمنوا لكم .. » لانكار طمع المؤمنين في ايمان اليهود بعد ما علموا حالهم ، أى : « لا تطمعوا أيها المسلمون في ايمان هؤلاء اليهود ، واستجابتهم لكم بعد ما عرفتم حالهم في تاريخهم القديم والحديث » .

والنهي عن الطمع في ايمانهم لا يقتضى عدم دعوتهم الى الايمان ، فالؤمنون مأمورون بدعوتهم اليه ، لاقامة الحجة عليهم في الدنيا عند اجراء أحكام الكفر عليهم ، ولقطع عذرهم في الآخرة (٢) . وكذلك قد تصادف الدعوة الى الاسلام نفوسا منصفة تستجيب لدعوة الحق ، وتهتدى الى الصراط المستقيم ، وهذا هو ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم — هو وأصحابه من بعده معهم ، وان كان اليهود — في جملتهم — قد صموا آذانهم عن الحق بعد ما عرفوه .

٤ — في قوله سبحانه : « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » زيادة تشنيع عليهم ، اذ أنهم حرفوا كلام الله بعد فهمهم له عن تعمد وسوء نية ، وارتكبوا هذا الفعل الشنيع ، رغم علمهم بما يستحقه مرتكبه من عقوبة دنيوية وأخروية « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضلله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٣) » .

ففى هذين القيديين : « من بعد ما عقلوه » « وهم يعلمون » من

---

(١) ارجع — ان شئت — الى ص ١٠ من العدد ٣ ، المجلد الرابع ، عدد شهر ربيع الأول ١٣٩٦ من المجلة ، لترى ذلك في العرض العام للسورة .

(٢) ونظير ذلك ما قدمته عن تفسير قوله تعالى : « ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » الآية ٦ من سورة البقرة ، فارجع الى ص ٥ وص ٦ من العدد ٥ المجلد الخامس من المجلة ، عدد شهر جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ .

(٣) آية ٢٣ من سورة الجاثية .

النعمى عليهم ما لا مزيد عليه ، حيث أبطل بهما عذر الجهل والنسيان ،  
وسجل عليهم تعمد الكفر والفسوق والعصيان •

عبرتنا من هذه الآية :

يكشف الحديث في هذه الآية وما بعدها دسائس اليهود وكيدهم  
بوسط الصف المسلم ، لتدرك الجماعة المسلمة طريقة اليهود في العمل  
والكيد والادعاء ، على ضوء ما وقع منهم في تاريخهم القديم •

وما تزال الأمة المسلمة تعاني من دسائس اليهود ومكرهم ما عاناه  
أسلافها من هذا المكر ، ومن تلك الدسائس ، غير أن الأمة المسلمة  
لا تنتفع — مع الأسف — بتلك التوجيهات القرآنية ، وبهذا الهدى الالهي ،  
الذي انتفع به أسلافها ، فغلبوا كيد اليهود ومكرهم في المدينة ، والدين  
نائشي ، والجماعة المسلمة وليدة •• وما يزال اليهود — بلؤمهم ومكرهم —  
يضللون هذه الأمة عن دينها ، ويصرفونها عن قرآنها ، كي لا تأخذ منه  
أسلحتها الماضية ، وعدتها الواقية • وهم آمنون ما انصرفت هذه الأمة  
عن موارد قوتها الحقيقية ، وينابيع معرفتها الصافية • وكل من يصرف  
هذه الأمة عن دينها وعن قرآنها فانما هو من عملاء يهود ، سواء عرف  
أم لم يعرف ، أراد أم لم يرد ، فسيظل اليهود في مأمن من هذه الأمة  
بما دامت مصروفة عن العقيدة الايمانية ، والمنهج الايماني ، والشريعة  
الايمانية •

هذا هو الطريق ، وهذه هي معاملة ، والله نسأل أن يبصرنا بالحق ،  
وأن يرزقنا التمسك به ، انه ولى التوفيق •

## عنتر حشاد

تهنئء مجلة التوحيد الأمة الاسلامية في كل أنحاء العالم بحاول  
شهر رمضان المبارك •

ونسأل الله أن يعيده علينا وقد أقيمت شريعته في ربوع المسلمين •

## التوحيد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيرِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

« واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون (٧٦) أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون (٧٧) ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون (٧٨) فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (٧٩) » .

تذكر الآيات بعض خلال اليهود ، حتى لا يطمع المسلمون في ايمانهم واستجابتهم لهم :

ففى الآية السابقة : « أفتمطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » رأينا فريقا من اليهود يسمعون كلام الله فى التوراة ، ويفهمه على وجه الصحيح ، ثم يحرفه ، ويصرفه الى غير وجهته .

وفى هاتين الآيتين : « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ، أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » - نرى فريقا آخر ينافق المؤمنين (١) : يظهر لهم الايمان ، ويذكر ما يجده

(١) ينافق المؤمنين : يظهر لهم الايمان ، ويبطن فى قلبه الكفر ، يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، وقد مر بك توضيح النفاق ، وأنواعه ، وخطره فى

تفسير الآيات ( من آية ٨ - الى آية ٢٠ من سورة البقرة ) .

في التوراة من أوصاف محمد ، وأخذ الميثاق عليهم أن يؤمنوا به ، وإذا خلا هؤلاء المنافقون الى من لم ينافق من اليهود عاتبهم غير المنافقين ، ولا موهم لتحديثهم المؤمنين بما في التوراة ، وقالوا : « أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ، أفلا تعقلون » جاهلين أن الله عليم بكل شيء ، لا تخفى عليه خافية ، عليم بما يسرون ، تحدثوا به أم لم يتحدثوا ، وأن الحجة قائمة عليهم بما عندهم في التوراة ، أسروه أم أعلنوه : « أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » .

ثم نرى فريقا ثالثا : جهلاء أميين ، هم أسارى الأمانى والأوهام ، وضحايا التضليل والتلبيس الذي يأتيه علماؤهم ، لا يعلمون التوراة الا تلقفا من أفواه الاحبار والرؤساء على حسب ما أرادوا لها من التحريف والكذب والتدليس ، هؤلاء الرؤساء الذين يكتبون الكتاب للناس بأيديهم على حسب أهوائهم ، وينشرونه عليهم « ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » فمن ذا الذي يطمع في صلاح أمة جاهلها مضلل (١) مخدوع يأخذ باسم الدين ما ليس بدين ، وعالمها مضلل (٢) خادع يكتب الكتاب بيده ، ويقول : هذا من عند الله ؟

### منافقو اليهود :

« واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض (٣) »

(١) مضلل : بفتح اللام الأولى المشددة ، اسم مفعول .

(٢) بكسر اللام الأولى المشددة اسم فاعل .

(٣) خلا بعضهم الى بعض : خلا بعض اليهود من هؤلاء المنافقين ببعض آخر لم ينافق ، وهذا المعنى في تفسير البعض في كلا الموضعين أولى عندي — والله أعلم بمراده — وأرجح مما جاء في ص ١١٧ ، الحزب الثاني من التفسير الوسيط ، مجمع البحوث الإسلامية ، اذ جاء العكس ، ونصه : « واذا فرغ وخلا بعض اليهود — وهم الذين لم يظهروا النفاق — الى بعض آخر — وهم المنافقون منهم — . . . »

وانما رجحت ما ذهب اليه ، وما جاء في تيسير التفسير للشيخ عبد الجليل عيسى لسببين :

الاول : مطابقته لاسلوب الآية ١٤ في المنافقين : « واذا خلوا الى شياطينهم » .

الثاني : لأن الحديث — أساسا — في هذه الآية (٧٦) عن المنافقين . ولم أجد فيما اطلعت عليه من كتب التفسير من وضع المقصود بـ (بعض) في كلا الموضعين — سوى هذين المرجعين المشار اليهما آنفا ، و ( تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ) .



قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم (١) ليحاجوكم به عند ربكم (٢) أفلا تعقلون (٣) ، أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » .  
ومن صفات اليهود التي تدعو الى اليأس من ايمانهم أيضا : أنهم منافقون ، فقد ضموا الى رذيلة التحريف رذيلة النفاق .

كان فريق من منافقى اليهود اذا لقوا الذين آمنوا ايمانا صادقا قالوا : آمننا بأنكم على الحق ، وأن محمدا هو النبي الذى بشر به فى النوراة ، ونجد نعته فيها ، وأن الله قد أخذ الميثاق بالايمان به ، فاذا ما رجعوا الى اخوانهم اليهود الذين لم ينافقوا عاتبوهم ولاموهم قائلين لهم : « أتحدثونهم بما فتح الله عليكم » من أبواب العلم التى كتبتها عنهم من البشارة بالنبي وعلاماته ، وأخذ الميثاق على أنبيائهم بالايمان به ، وتبليغ أممهم أن يؤمنوا به ، وأن ينصروه ان أدركوه — أتحدثونهم بذلك — ليقيموا به الحجة عليكم عند ربكم .

كانوا اذا التقوا همس بعضهم لبعض ، وحذر بعضهم بعضا أن يفصحوا للمسلمين عما هو مسطور فى كتابهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ونبه كل منهم الآخر الى خطورة تعريف المسلمين بآيات التوراة التى يخشون أن تفصح حقيقة موقفهم ، بل انهم كانوا يخافون أن يستخدم المسلمون هذه الحجج ضدهم عند الله يوم الدين ، وهذا دليل على تصورهم لعلم الله ، فقد كانوا يظنون أن لو نجحوا فى اخفاء الحقيقة فى هذه الدنيا فلن تكون لله عليهم حجة .

---

(١) أتحدثونهم بما فتح الله عليكم : أتخبرون المؤمنين بما بينه الله لكم خاصة فى التوراة من نعت محمد وصفته ، من قولهم : فتح الله على فلان علم كذا : أى رزقه ذلك ، وسهله له . أو أتخبرونهم بما حكم الله به عليكم فى التوراة وقضاه من أخذ الميثاق على أنبيائكم بالايمان بمحمد ونصرته ، من الفتح بمعنى الحكم والقضاء ، ومنه : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » من آية ٨٩ من سورة الاعراف ، أى احكم بيننا وبينهم بالحق .

(٢) ليحاجوكم به عند ربكم : ليجعلوا ما جاء فى التوراة حجة ضدكم يوم القيامة ، فقوله « عند ربكم » معناه « يوم القيامة » وقد فسر أيضا بـ « شرع ربكم » كما فى قوله تعالى : « فأولئك عند الله هم الكاذبون » أى فى شرعه ، من آية ١٣ من سورة النور .

(٣) أفلا تعقلون خطر هذا الفعل علينا وعليكم ، وهو من بقية مقولهم للمنافقين .

وهذا هو السبب في أن الله وجه هذا السؤال (١) اليهم بهذه الآية الاعتراضية (٢) : « أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ؟ » •

وفي هذه الآية الكريمة توبيخ وتجهيل لليهود الذين عاتبوا المنافقين منهم على تحديث المؤمنين بما في توراتهم مما يؤيد صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً صادقاً باحاطة علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم لما نهوا اخوانهم عن تحديث المؤمنين بما فيها، ولعلموا أن الحجة قائمة لله عليهم كتموا أم بينوا •

ومثل اليهود في جهلهم مثل المشركين الذين لا يعلمون ، اذ قال هؤلاء المشركون ، بعضهم لبعض : أسروا قولكم لا يسمعكم اله محمد ، فنزل قوله تعالى : « وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور (٣) » •

### أميو اليهود ، وعلماؤهم :

« ومنهم أميون (٤) لا يعلمون الكتاب (٥) الا أمانى (٦) وان هم

(١) وسواء أكان الاستهزام في الآية للانكار ( كما جاء في بعض الكتب ) أو للتقرير ( كما جاء في البعض الآخر ) فالمدى واحد ، وهو تجهيل اليهود ، وبيان سعة علم الله ، وأنه محيط بكل شيء علما .

(٢) اعتراضية : اعترضت الحديث عن خلال اليهود وصفاتهم .

(٣) آية ١٣ من سورة الملك .

(٤) أميون : جمع أمى ، وهو من لا يحسن القراءة والكتابة ، نسبة

للأم ، اذ أنه ما زال على حالته التي خرج بها من بطن أمه ، من الجهل ، ومثله كالطفل الذي ما زال يعتمد على أمه في كسب المعرفة .

(٥) الكتاب : التوراة .

(٦) أمانى : جمع أمنية ، وهى ما يتمناه الانسان ، أو بمعنى أكاذيب ،

كما سيتضح ذلك في المعنى الإجمالى ، والاستثناء في ( الا أمانى ) استثناء منقطع ، لأن المستثنى وهو ( الامانى ) ليس من جنس المستثنى منه وهو

( الكتاب ) فالأنا بمعنى لكن ، والمعنى : لكن يعلمون أكاذيب ليست من

الكتاب ، ونظائر ذلك في القرآن الكريم كثيرة : « لا يسمعون فيها لغوا الا

سلاما » من آية ٦٢ من سورة مريم و « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن

تكون تجارة عن تراض منكم » من آية ٢٩ من سورة النساء فأكل أموال

التجارة ليس من جنس اكل الأموال بالباطل .

الا يظنون (١) ، فويل (٢) للذين يكتبون الكتاب بأيديهم (٣) ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » •

ومن اليهود فريق جهلة ، يجهلون التوراة ، وهم العامة الاميون ، الذين لم يطلعوا على التوراة ، وانما تلقوها عن رؤسائهم وأخبارهم ، أمانى مدسوسة ، وأكاذيب باطلة ، وعملوا بها تقليدا لهم •

ومن هذه الامانى والاكاذيب أن آباءهم الانبياء يشفعون لهم ، وأن الله — سبحانه — يعفو عنهم ويرحمهم ، وان كفروا بمحمد — صلى الله عليه وسلم — وأن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا ، وأن النار لمن تمسهم الا أياما معدودة ، وأنهم صفوة الانسانية ، وشعب الله المختار لعمارة الارض ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن السيطرة على الناس لهم ، وأنه لا سبيل عليهم في الاميين ان أخذوا أموالهم (يقصدون بالاميين : العرب ) ، فهؤلاء الاميون ضلوا باضلال أخبارهم اياهم •

وعلماء اليهود لم يكتفوا بتحريف كتابهم المقدس ، وتأويله تأويلا فاسدا ليلائم أمزجتهم وأهواءهم ، كما سبق (٤) ، بل خلطوا نصه الاصلى بتفسيرهم الخاص ، وتاريخهم القومى ، وخرافاتهم ، وفلسفاتهم ، وقوانينهم ، ونظرياتهم ، التى صاغوها بأنفسهم ، ثم قدموا هذا المزيج كله فى الشكل الحالى للكتاب المقدس على أنه من عند الله ، بحيث ان كل قصة تاريخية ، وكل أسطورة ، وكل تفسير ، وكل عقيدة مبتدعة ، وكل قانون محلى دون فى الكتاب المقدس ، وحشر فيه حشرا أصبح عندهم

---

(١) وان هم الا يظنون : ليس لهم من علم فى هذه الاكاذيب الا اتباع الظن والكذب .  
(٢) ويل : عذاب اليم ، أو فضيحة ، أو حسرة ، أو هلكة ، أو واد فى جهنم ، وهو فى الاصل مصدر لا فعل له من لفظه ، مثل ويح ، ولا يثنى ، ولا يجمع .

(٣) قيد الكتابة بالأيدي مع أنها لا تكون الا بها ، لتأكيد أنهم قد باثروها بأنفسهم ، ولم يأمرؤا غيرهم بكتابتها ، وزيادة فى تشبيح أفعالهم ، كما فى قوله تعالى : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » من آية (٥) من سورة الكهف .

(٤) فى الآية ٧٥ .

من صلب كلام الله ، فرض على كل يهودى أن يؤمن به كذلك ، والا رموه  
بالردة والخروج •

فكيف ينتظر من أمثال هؤلاء العلماء ، وأولئك الاميين أن يستجيبوا  
للحق ، وأن يستقيموا على الهدى •

كتم علماءهم الآيات وبدلوها خثية الايمان بالرسول — صلى  
الله عليه وسلم — وضياع رياستهم في قومهم ، وأن تفوتهم الهدايا  
والرسوم • وما كانوا يأخذونه من العامة أجرا لتعليم دينهم من زرع  
وضرع ، وما دروا أن هذا المتاع — وان جل — قليل بجانب ما يخسرونه  
من رضا الله بعصيانهم ، وما ينتظرهم من ويل وهلاك ، فالويل والهلاك  
لهم مما كتبت أيديهم ، وكذبت على الله ، والويل والهلاك لهم مما  
يكسبون بهذا التزوير والاختلاق •

نحمد الله أن تكفل بحفظ القرآن الكريم ، ونسأله سبحانه أن  
يوفقنا للتمسك بكتابه ، انه ولى التوفيق •

## عنتر حشاد

### رحمة الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
— لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتى  
تغلب غضبى •

### ( رواه البخارى ومسلم )

— ان الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق  
ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف  
الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض ، فاذا كان يوم  
القيامة أكملها بهذه الرحمة •

### ( رواه مسلم )

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يُقدمه: عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

« وقالوا لن تمسنا النار الا ايما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون (٨٠) بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون (٨١) والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون (٨٢) » .

كان اليهود يلقون كلماتهم المسمومة على مسامع الناس ليشككهم في صدق الدعوة الى الاسلام ، ويصدوهم عن الاستجابة لها ، والايامن بها ، شأن المبطلين في محاربة الحق في كل عصر ، وفي كل مكان ، كانوا يقولون : « نحن أبناء الله وأحباؤه (١) » و « لن تمسنا النار الا ايما معدودة » وكانوا يقولون : « قلوبنا غلف (٢) » مقفلة ، لا تدرك شيئا مما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا تتجه اليه ، « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا (٣) » فيرد الله عليهم بأن الثواب أو العقاب، وتأقيت العذاب أو خلوده لا يعرف الا من جهته سبحانه ، فهل أنزل عليكم فيه وحيا ، وأخذتم به عليه عهدا ، « أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ » . وليست المسألة عند الله مسألة محاباة بحب أو بنوة (٤) ، وإنما

(١) من الآية ١٨ من سورة المائدة .

(٢) من الآية ٨٨ من سورة البقرة ، ومن الآية ١٥٥ من سورة النساء .

(٣) من الآية ١١١ من سورة البقرة .

(٤) سبحانه الله أن يكون له ولد .

هي ذات مبدأ عام ، وحكم عام ، ان تحقق المبدأ تحقق الحكم ،  
وبنو اسرائيل وغيرهم في المبدأ والحكم سواء : « من كسب سيئة وأحاطت  
به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا  
الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » .

هذا هو المبدأ والحكم ، وسنرى - في المقال التالي ان شاء الله -  
تطبيقه على حالة اليهود ، كما بينته الآيات الكريمة الآتية : « واذ أخذنا  
ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبوالوالدين احسانا » . . . « واذ  
أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » . .  
**فرور اليهود ، وزعمهم الفاسد :**

« وقالوا لمن تمسنا النار (١) الا أياما معدودة (٢) ، قل أتخذتم  
عند الله عهدا (٤) فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون » .  
رأينا - في الآيات السابقة - تقسيم اليهود الى فريقين : علماء  
يحرفون كلام الله ، ويتواصون بكتمان ما عندهم من العلم ، لئلا يكون

---

(١) وقالوا لن تصيبنا نار الآخرة وننوق حرها ، فالمس : اتصال احد  
الشيئين بالآخر على وجه الاحساس والاصابة .

(٢) أياما معدودة : أياما قليلة ، وجمع غير العاقل ، مثل : « الايام »  
يجوز معاملته معاملة المفرد المؤنث ، فيقال : « أيام معدودة ، وهذه الايام » ،  
ويجوز معاملته معاملة الجمع ، فيقال : « أيام معدودات » ، كما في قوله  
تعالى : « أياما معدودات » من آية ١٨٤ من سورة البقرة ، ومن آية ٢٤ من  
سورة آل عمران ، ويقال : « أولئك الايام » كما جاء في قول الشاعر :

ثم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الايام

(٣) « أتخذتم عند الله عهدا » : جملة استهامية للانكار والتوبيخ ،  
دخلت همزة الاستفهام ، وهي همزة قطع مفتوحة على : « اتخذ » المبدوء  
بهمزة الوصل المكسورة ، فحذفت همزة الوصل ، كما في قوله تعالى : « أطلع  
الغيب » ؟ من آية ٧٨ من سورة مريم ، وذلك بخلاف المبدوء بهمزة الوصل  
المفتوحة ، مثل : لفظ الجلالة ( الله ) و ( الآن ) فانها لا تحذف ، وانما تقلب  
الفا للبد « آله انن لكم » ؟ من آية ٥٩ من سورة يونس ، و « الآن وقد  
عصيت قبل وكنت من المفسدين » ؟ من آية ٩١ من سورة يونس أيضا .  
(٤) عهدا : ميثاقا بعدم عذابكم وخطوكم في النار .

حجة عليهم بحسب زعمهم ، وجهلاء أميين هم أسارى الامانى والواهام ،  
وضحايا التضليل والتلبيس الذى يأتية علماءهم .

وهذه الآيات تثنى ببيان منشأ اجترائهم على كل موبقة ، ألا وهو  
غرورهم ، بزعمهم أن النار لن تمسهم الا أياما معدودة .

كانوا يؤمنون بأنهم لن يدخلوا النار رغم فساد عقائدهم ، وسوء  
أعمالهم ، لا لشيء سوى أنهم « يهود » وكانوا يخدعون أنفسهم بأنهم  
لن يعاقبوا يوم القيامة ، وان عوقبوا فلأيام قليلة ، ثم يبعث الله بهم  
بعدها الى الجنة .

ولقد دعاهم هذا الغرور أيضا الى اعراضهم عن تحميم كتاب الله  
( التوراة ) حينما دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اليه ،  
كما جاء في قوله تعالى

« ألم تر لى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله (١)  
ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم مالوا  
لن تمسنا النار الا أياما معدودات وقرهم (٢) في دينهم ما كانوا يفترون ،  
فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم  
لا يظلمون (٣) » .

ولقد أمر الله - عز وجل - نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن  
يوسع هذا الزعم دحضا وابطالا ، وأن يتدرج معهم في هذه المجادلة  
على درجات المنطق السليم ، والبحث المستقيم ، فيبدأ بمطالبتهم

---

(١) دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى التوراة ، لتحكم  
بينهم ، حينما ادعوا ان ابراهيم - عليه السلام - كان يهوديا . ( أخرجه  
ابن اسحق وجماعة عن ابن عباس ) .

(٢) قرهم : اطمعهم .

(٣) الآيات من ٢٢ - الى ٢٥ من سورة آل عمران .

بالبرهان على ما زعموا : « قد احذرن عند الله عهداً فمن يخلف الله عهده  
 أم تقولون على الله ما لا تعلمون » أم تفترون على الله الكذب ؟ ثم  
 ينقضه ببيان مخالفته لقانون العدل الالهي الذي لا يعرف شيئاً من الظلم  
 ولا المحاباة لأحد ، بل الخلق أمامه سواء : كل امرئ رهين بعمله ، ومن  
 يعمل سوءاً أو حسناً يجز به .

### قانون العدل الالهي :

« بلى (١) من كسب سيئة (٢) وأحاطت (٣) به خطيئته (٣) فأولئك

(١) بلى : حرف جواب ، يجاب به النفي خاصة ، ويفيد ابطاله ، سواء  
 اكان هذا النفي مع استفهام ، أم دونه ، قال تعالى : « زعم الذين كفروا أن  
 لن يبعثوا ، قل : بلى وربي لتبعثن ... » من الآية ٧ من سورة التباين ،  
 و : « ألم ياتكم نذير ؟ قالوا : بلى قد جاءنا نذير » من الآيتين ٨ و ٩ من  
 سورة الملك ، و : « أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن  
 يخلق مثلهم ؟ بلى » من الآية ٨١ من سورة يس « أولست بربكم ؟ قالوا بلى »  
 أي : « انت ربنا » ، ولو قالوا : « نعم » لكفروا ، لان المعنى حينئذ — عند  
 الجواب بنعم — يكون : « لست بربنا » .

ولا تستعمل « بلى » بعد الاثبات ، فلو قلت : « هل سافر على ؟ »  
 كان الجواب بـ « نعم » للاثبات ، وبـ « لا » للنفي ، ولا تستعمل « بلى »  
 حينئذ .

و « بلى » بهذا الاستعمال بعد النفي ، وبهذا المعنى ، وهو ابطال النفي  
 واثبات ما بعده — لا يقابله حرف جواب مماثل استعمالاً ومعنى في اللغة  
 الانجليزية .

وانما يقابله في اللغة الفرنسية حرف الجواب : « Si » وبمائه  
 استعمالاً ومعنى .

والنفي الذي سبق « بلى » في هذه الآية — ذكر المفسرون انه في قول  
 اليهود : « لن تمسنا النار الا أياماً معدودة » . ولكنني أرى أن هذه الجملة  
 مثبتة ، لانتقاض النفي المستفاد من : « لن » بالا : أداة الاستثناء ، إذ أن  
 « الا » تفيد النفي أيضاً ، ونفي النفي اثبات ، والمعنى ستمسنا النار أياماً  
 معدودة فقط ، فالنفي الذي جاءت « بلى » جواباً عنه ، هو ما يستفاد من  
 كلام اليهود ، فكانهم قالوا : « لن نخلد في النار » .  
 (٢) السيئة ، والخطيئة هنا في هذه الآية : الكفر ، لانه هو الذي يوجب  
 الخلود .

(٣) أحاطت به خطيئته : أحاطت به كما يحيط السرادق بمن في داخله ،  
 ومات على ذلك قبل أن يتوب الى ربه .



أصحاب النار هم فيها خالدون . والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » •

بنى : تدخلون النار خالدين مخلدين فيها أبدا ، فالقانون الالهي انعادل الذي وضعه رب العالمين : أن من كفر بالله ، وعمل السيئات ، واستولت عليه الخطايا حتى صار لا يخلو عمله منها ، ومات قبل أن يتوب فأولئك أصحاب النار الملازمون لها في الآخرة ، هم فيها خالدون لا يبرحونها . والذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح – أولئك هم أصحاب الجنة ، الجديرون بدخولها ، فضلا من الله ونعمة – كما وعدمهم – ينعمون فيها بكل ما يشتهون •

وفي الآيتين تحذير شديد من ارتكاب السيئات ، فانها تؤدي الى التمادي في الباطل ، وترك الطاعات ، وقد يبلغ به ذلك حد الكفر – والعياذ بالله – وقد جاء في هذا من الاحاديث النبوية ما معناه : « واياكم والكذب ، فان الكذب يهدى الى الفجور » « ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل (١) » فعلى من يرتكب سيئة أن يبادر بالتوبة منها ، فان من لم يبادر بها – أحاطت الخطيئة بقلبه ، فأصبح مظلما لا ينفذ اليه النور ، ولا يجد الهدى اليه سبيلا ، وانعياذ بالله تعالى •

قال صلى الله عليه وسلم : « ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت كتته سوداء في قلبه ، فان تاب ونزع واستعتب صقل قلبه ، وان زاد زادت حتى تعلق قلبه ، فذلك الران الذي قال الله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (٢) » •

---

(١) ذكره الشيخ أحمد مصطفى المراغى في كتابه : « تفسير المراغى » ج ٢٩ ، عند تفسير قصة أصحاب الجنة من سورة القلم .

(٢) ساق ابن جرير الطبرى هذا الخبر بسنده عن أبى هريرة عند تفسيره الآية السابعة من سورة البقرة . أرجع الى ص ٨ من عدد جمادى الاولى سنة ١٣٩٧ من مجلة التوحيد ، حيث ضبطت وشرحت بعض كلمات هذا الحديث .

وفيها - أيضا - ما يؤذن بأن العمل الصالح لا بد منه مع الإيمان  
ليثاب العبد بالجنة والخلود فيها ، فالعمل الصالح دليل صدق الإيمان  
وقوته وحياته ، كما أن أغصان الشجرة وثمارها دليل حياة الشجرة  
وقوتها •

نسأل الله - عز وجل - أن يقوى إيماننا ، ويوفقنا للعمل الصالح ،  
ويعيذنا من سوء العمل ، انه ولى التوفيق •

**عنتر بحشاد**

### حكم غالية

من حكم أبي بكر رضى الله عنه :

صنائع المعروف تقي مصارع السوء • الموت أهون مما بعده •  
وأشد مما قبله • أصلح نفسك يصلح لك الناس • اذا استشرت فاصدق  
الحديث تصدق المشورة •

ومن حكم عمر رضى الله عنه :

من كتم سره كان الخيار في يده • مر ذوى القربات أن يتراوروا  
ولا يتجاوروا • أشكو الى الله ضعف الأمين ، وخيانة القوى •

ومن حكم عثمان رضى الله عنه :

انى متبع ولست بمبتدع • ان الدنيا فانية وان المصير الى الله •  
خذوا من دار ممركم ( أى الدنيا ) الى دار مقركم ( أى الآخرة ) •

ومن حكم على رضى الله عنه :

الناس أعداء ما جهلوا • قيمة كل امرئ ما يحسن • أغنى الغنى  
العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأكرم الحسب حسب الخلق • من لا صبر  
له لا إيمان له • لا خير في قراءة الا بتدبر ، ولا في عبادة الا بتفكر •

**جمعها : محمد على عبد الرحيم**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

« واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالله الدين  
احسانا وذى القربى واليتامى والمسكين وقولوا للناس حسنا  
واقموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم  
معرضون (٨٣) » .

رأينا فى الآيات السابقة أمانى اليهود الباطلة ، وادعاءاتهم الكاذبة ،  
وزعمهم أن النار لن تمسهم الا أياما معدودة ، ومخالفة ذلك لقانون  
العدل الالهى الذى لا يعرف شيئا من الظلم ولا المحاباة لأحد ، فالخلق  
أمامه سواء ، لا فرق بين جنس وجنس : كل امرئ بما كسب رهين ،  
من يعمل سوءا أو حسنا يجز به « من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته  
فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات  
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » .

ونحن اذا جئنا نطبق هذا القانون على حالتهم وجدناهم قد أخذ  
الله عليهم الميثاق أن يعتقدوا الحق ، وأن يفعلوا الخير : « واذ أخذنا  
ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالله الدين احسانا » . فتولوا  
وأعرضوا ، كما أخذ عليهم الميثاق ألا يفعلوا الشر ، وألا يقتربوا المحرم  
« واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من

دياركم » •• فخالفوا عن أمر الله ، وارتكبوا المحرم ، لم يأتروا بأوامر الله ، ولم يجتنبوا ما نهى عنه ، وانما نقضوا العهدين ، واذن فبحكم المبدأ والقانون حق عليهم الخزي في الحياة الدنيا ، وأشد العذاب يوم القيامة : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب » • « فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » •

### الميثاق الاول : ميثاق الاوامر :

« واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل (١) لا تعبدون الا الله (٢) وبالوالدين احسانا (٣) وذى القربى واليتامى (٤) والمساكين (٥) وقولوا

(١) الميثاق : العهد الموثق المؤكد الذى اخذه الله عليهم في التوراة ، وقد سبقت الإشارة الى هذا الميثاق في الآيتين ٦٣ و ٦٤ في معرض تذكير بنى اسرائيل بنقضه : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ، ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » . وفي هذه الآية ( آية ٨٣ ) نجد شيئا من التفصيل لبعض نصوص هذا الميثاق .

(٢) لا تعبدون الا الله : المقصود منه نهيه عن عبادة غيره تعالى ، فهو نفى واخبار بمعنى النهى ، اى ( لا تعبدوا الا الله ) ، وقد قرئ به ( بحذف النون ) وذلك كتوكيد لشخص : « تذهب الى فلان وتقول له كذا » والمعنى : اذ هب اليه وقتل له كذا ، والدليل على هذا عطف الاوامر عليه : « وقولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة » والاوامر لا تعطف الا على طلب ( أمر او نهى ) ولا تعطف على خبر .

ونظير ذلك ما جاء في رواية مسلم : « لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبته » برفع الفعلين : « يبيع ، ويخطب » لأن لا نافية ، لا ناهية ، فهو نهى في صورة الخير ، وقوله تعالى : « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين » والمعنى (والله أعلم) : (ارضعن - أيتها الوالدات - اولادكن حولين كاملين ) ، فهو أمر في صورة الخير ، والخبر في هذه الشواهد والامثلة كلها أبلغ من صريح الامر والنهى ، فكان الامر والنهى قد امتثلا ، والمقصود الاخبار عن الوقوع بالفعل ، لا الامر ولا النهى ، وفي ذلك ايدان بوجوب المسارعة الى الامتثال بالانتماء والانتهاؤ .

(٣) اى « وتحسنون بالوالدين احسانا » او « واحسنوا بالوالدين احسانا » يقال : « أحسنت به » كما يقال « أحسنت اليه » .

(٤) اليتامى جمع يتيم ، او يتيمة ، واليتيم من الانسان : الصغير الذى فقد أباه قبل أن يبلغ ، فاذا بلغ لا يعد يتيما ، والعجى : الذى تموت أمه ، واللطيم : الذى يموت أبواه .

(٥) المساكين : المحتاجين .

للناس حسنا (١) وأقيموا الصلاة (٢) وآتوا الزكاة (٣) ثم توليتهم  
الا قليلا منكم وأنتم معرضون » .

هذه الآية تتيس جماعة المسلمين من ايمان اليهود ، حتى لا يطمعوا  
فيه بعد أن رأوا عصيانهم والتواءهم ؛ ونكولهم عن العهد ، ونقضهم  
للميثاق ، فهي تحدث المسلمين عن حال اليهود ومواقفهم ، وتواجه اليهود  
بهذه المواقف على مشهد من المسلمين .

### والمضى اجمالا :

واذكروا - أيها المسلمون (٤) - نقض بني اسرائيل للميثاق الذي  
أخذه الله عليهم في ظل الجبل ، والذي أمروا أن يأخذوه بقوة ، وأن  
يذكروا ما فيه . . ذلك الميثاق الذي تضمن القواعد الثابتة لدين الله ،  
هذه القواعد التي جاء بها الاسلام أيضا مصدقا لما معهم ، ففتكروا لها  
وأنكروها . فكيف تطمعون في ايمانهم .

وأخذ الله ميثاق بني اسرائيل بهذه الامور : توصيتهم بالعمل  
بها توصية مؤكدة في التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام .

والميثاق بالتوحيد وغيره من العقائد وأمهاث الاخلاق والفضائل  
مأخوذ على جميع الامم كما أخذ على بني اسرائيل ، وانما الخلاف بين  
الامم في فروع الشرائع التي تختلف باختلاف الازمنة والامكنة ، رعاية  
لمصلحة البشر بحسب التطور الانساني .

واليك - أيها القارئ - كلمة عن كل وصية :

( أ ) توحيد الله بالعبادة : « لا تعبدون الا الله » :

(١) قولوا لهم قولا حسنا ، وهو ما تطيب به النفوس ، ومنه الامر  
بالمروف والنهي عن المنكر في غير عنف ولا خشونة ، والنصيحة ، والدعوة  
الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٢) اقام الصلاة : أداؤها تامة مستوفية الشروط والاركان .

(٣) ايتاء الزكاة : اعطاؤها لمستحقيها ، والصلاة التي أمر بنو اسرائيل  
باتمامها ، والزكاة التي أمروا باتيائها هما : الصلاة والزكاة المشروعتان في  
ديانتهم .

(٤) فالخطاب في الآية الكريمة للمسلمين ، وقيل : انه لليهود .

وهو أعلى الحقوق وأعظمها ، حق الله تبارك وتعالى أن يعبد وحده ، وقد أمر بذلك جميع خلقه : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون (١) » « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (٢) » .

فعلى كل انسان أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا : يعبده لانه مدين له بالخلق والايجاد ، مدين له بالهدى والارشاد ، مدين له بكل نعمة من نعم هذه الحياة ، في صحته ، في ماله ، في أهله وولده ، في جوارحه ، في شعوره وادراكه ، في عواطفه واحساساته ، في منامه ويقظته ، في حله وترحاله ، فمن آمن بالله على هذا النحو ، وتمثله حين يعبده منعما بهذه النعم وغيرها فهو جدير بأن يمتلىء به نفسا ، وأن يطمئن اليه قلبا ، وألا يشرك به أحدا .

والشرك بالله عنوان فساد العقل الذى هو نعمة الله على الانسان في هذه الحياة .

والشرك بالله له صور وألوان : فعبادة غير الله شرك ، ونسيانه في الملمات والتوجه فيها الى أحد من خلقه شرك ، وابتغاء خديعة الناس ومراءاتهم بعمل الخير وفعل الطاعات شرك ، وتعظيم الناس بما يعظم به الله من أقوال وأفعال شرك . الحلف بغير الله شرك ، النذر للولياء والطواف بقبورهم ، والاستغاثة بأسمائهم شرك .

والشرك في جميع صورته وألوانه قاضى على الفضيلة ، مميت لعاطفة الخير ، سبيل للتردى في الهاوية : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق (٣) » .

ب — الاحسان بالوالدين : « وبالوالدين احسانا » :

بدأ الميثاق بالاهم وهو توحيد الله بالعبادة ، ثم عطف عليه الامر

(١) آية ٢٥ من سورة الانبياء .

(٢) من آية ٣٦ من سورة النحل .

(٣) من آية ٣١ من سورة الحج ، وأرجع — في عبادة الله وتوحيدهم الى ما مضى من تفسير الآية الخامسة من سورة الفاتحة : « اياك نعبد و اياك نستعين » ، ومن تفسير الآية الحادية والعشرين ٢١ من سورة البقرة : « يا ايها الناس اعبدوا ربكم » .

بالاحسان الى العباد قولاً وعملاً . ولما كانوا متفاوتين في ذلك بدأ بأحقهم وهما الوالدان ، ثم أتبعهما ذوى القربى رعاية لحق القرابة ، ثم اليتامى لضعفهم ثم المساكين سدا لحاجتهم ، ثم سائر الناس . فأولى المخلوقين بالاحسان الوالدان ، ولذلك قرن سبحانه بين حقه وحق الوالدين في كثير من الآيات : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً (١) » « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً (٢) » « أن اشكر لى ولوالديك (٣) » وفي الصحيحين عن ابن مسعود قنت : يارسول الله أى العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أى ؟ قال « بر الوالدين » . قلت ثم أى ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » .

ويكفى المرء منا ليعرف حقوق أبويه عليه أن يرجع الى قلبه وعواطفه . ويستعيد شيئاً من ذكريات طفولته . وما كان من أبويه معه : في يقظته ومنامه . في صحته ومرضه ، في رضاه وغضبه ، في غيابه وحضوره . وأن يتابع تطورات حياته منذ كان جنيناً في ظلمات الرحم الى أن أصبح رجلاً قويا ذا كيان مستقل : من احتمله وهنا على وهن ؟ من وضعه كرها ؟ من رعاه ؟ من أطعمه وسقاه ؟ من علمه ورباه ؟ من بذل راحته لينها ؟ وضحى بسعادته ليسعد ، واحتمل العناء في ماله وجسمه وصحته وأعصابه ليوافر له حياة الرغد والامن والاستقامة ؟ ألا انه لا يوجد في الحياة من يعتبر بحق مثال التضحية الصامته للصابرة المثابرة الراضية المطمئنة كالوالدين بالنسبة لولدهما ، لذلك كان برهما والاحسان اليهما مقتضى الفطرة ، لانه شكر للنعمة . واعتراف بالجميل « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » .

ج - الاحسان بذى القربى : « وذى القربى » :

يوصينا الله عز وجل بالاحسان - كذلك - الى ذوى القربى ،

(١) من آية ٣٦ من سورة النساء .

(٢) من آية ٢٣ من سورة الاسراء .

(٣) من آية ١٤ من سورة لقمان .

وهم من تجمعك بهم صلة القرابة من جهة الأب ، والام ، فالاخوة  
والاخوات ، وأولادهم ، والاعمام والعمات ، وأولادهم ، والاقوال  
والخالات ، وأولادهم — من ذوى القربى .  
والاحسان اليهم هو : القيام بما يحتاجون اليه بقدر الطاقة ، قال  
تعالى : « وآت ذا القربى حقه (١) » .

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
الرحم معلقة بالعرش ، تقول : « من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى  
قطعته الله » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك  
وتعالى « أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من  
اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي بعثنى بالحق لا يقبل  
الله صدقة من رجل وعنده قرابة محتاجون لصدقته ويصرفها الى غيرهم ،  
والذى نفسى بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة » .  
وقد رتب القرآن الكريم على قطيعة الرحم سوء العاقبة ، وغضب  
الله ولعنته ، فقال : « فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض  
وتقطعوا أرحامكم ؟ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم (٢) » .  
وفى صلة الرحم ، والاحسان الى الاقارب ، وايتائهم حقوقهم  
تقوية للروابط فى الاسرة ، وتماسك لها ، ومن لا خير فيه لذوى قرابته  
فلا خير يرجى منه لغيرهم .

د — الاحسان باليتامى : « واليتامى » :

ما أجدد اليتيم بالرعاية والعطف ، والشفقة والبر . انه نبات  
فائىء بحاجة الى السقى والتعهد ، انه انسان صغير فقد أباه فى مطلع  
حياته ، انه طفل لا يصلحه الا السرور والمرح والهدايا والبشاشة  
والرحمة ، ولكنه حرم ذلك كله . انه يرى الاطفال من حوله مدللين

(١) من آية ٢٦ من سورة الاسراء .

(٢) آيتا ٢٢ و ٢٣ من سورة محمد .



يُجِدُّونَ آبَاءَهُمْ فَيَلْبُونَ دَعَاءَهُمْ ، وَيَسَارِعُونَ إِلَى تَحْقِيقِ رَغْبَاتِهِمْ ، أَمَا هُوَ  
غَيِظَلُّ وَحِيداً مُشَارِدُ الْفِكْرِ ، إِنْ كَانَ فَقِيراً جَفَاهُ الْإِقْرَبُونَ وَالْأَبْعَدُونَ ،  
وَإِنْ كَانَ غَنِيّاً تَرَبَّصَ لَأَمْوَالِهِ الْإَوْصِيَاءَ وَالطَّامِعُونَ .

وقد ذكرت أحكام اليتيم الذي فقد أباه في سورتي البقرة والنساء  
وغيرهما من السور المدنية ، كما أوصت بالاحسان إليه ، وحذرت من  
الإساءة إليه كثير من السور المكية .

ومن الاحسان الى اليتامى حفظ أموالهم واثميرها ، والقيام برعايته  
وإصلاح شأنه في كافة أحواله : في نفسه ، في خلقه ، في تربيته وتعليمه  
« ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير (١) » « ولا تقربوا مال اليتيم  
إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده (٢) » .

هـ — الاحسان الى المساكين : « والمساكين »

« انما المؤمنون اخوة » وهذه الاخوة بينهم تقتضيهم التعاطف  
والاحسان وأن يبذل الاغنياء لآخوانهم الفقراء عيال الله — مما آتاهم  
الله من فضله .

أبحث عن تلميذ عاجز عن متابعة دراسته لفقره ، تصدق على بائع  
صغير ذى عيال تقدر تجارته بدراهم معدودة ، أنقذ مدينا لا يجد ما  
يقضى به دينه ، أعن على دواء مريض محتاج ، احمل ابن سبيل قد  
انقطع به الطريق ، فمن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن نفس  
عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كربات يوم  
القيامة .

و — القول الحسن : « وقولوا للناس حسنا » :

على الانسان أن يكلم أخاه كلاما طيبا ، وأن يلين له جانبا ويدخل  
في ذلك نصيحة الناس ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وذلك  
صدق .

(١) من آية ٢٢٠ من سورة البقرة .

(٢) من آية ١٥٢ من سورة الانعام ، ومن آية ٣٤ من سورة الاسراء .

والاسلام صلة بين أهله يوجب عليهم أن يعتبروا أنفسهم وحدته  
متماسكة متعاونة ينصح بعضها بعضا ، ويرشد بعضها بعضا .

والتناصح بين الاخ وأخيه هدية ، لهذا وجب أن يقدم النصح في  
لطف وحسن ذوق واحتشام ، كما هو شأن الهدية ، لا أن يلتقى به في وجه  
صاحبه في غلظة وجفوة واجترأ ، فكم من نصيحة غالية يرفضها من  
قدمت له غير آسف عليها ، لانها قدمت له في ثوب كريه ، وبصورة تمجهل  
الافواق السليمة ، والطباع المستقيمة .

والله تعالى يقول : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة  
الحسنة » (١) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : « ما أهدى المرء المسلم لآخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده  
الله بها هدى ، أو يرده بها عن ردى » .

وعن الامام أحمد بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« لا تحقرن من المعروف شيئا ، وان لم تجد فالق أخاك بوجه منطلق »  
ح ، وط — اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة : « وأقيموا الصلاة  
وآتوا الزكاة » :

الصلاة والزكاة عبادتان : بدنية ، ومالية ، تنهى الصلاة عن الفحشاء  
والمنكر ، وتطهر الزكاة صاحبها من داء الشح والبخل « ومن يوق شح  
نفسه فأولئك هم المفلحون » (٢) .

(١) من آية ١٢٥ من سورة النحل .

(٢) من آية ٩ من سورة الحشر ، ومن آية ١٦ من سورة التغابن .  
وارجع الى ما مر في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة « ويقومون الصلاة  
ومما رزقناهم ينفقون » .

وبعد ، فهذا هو الميثاق الذي جاءت به التوراة ، ثم جاء به القرآن  
صدقاً لها ، فهل قبله اليهود ، وهل وفوا به ؟

انهم تولوا عنه ، فمن عادتهم الاعراض ، والتكذيب والعناد •  
كعرضوا عنه وفيه سعادتهم ، وحياتهم الهادئة الهنيئة ، فهم الذين  
جبلوا على لؤم الطبع ، وحب المادة ، فلن نرى منهم احسانا ولا خيرا •  
لما القليلون منهم فانهم التزموا بالميثاق ونفذوه ، وهم المخلصون في  
ايمانهم من اسلافهم ، قبل أن تنتسخ شريعتهم ، ومن آمن منهم بالرسول  
محمد صلى الله عليه وسلم ، وحافظ على هذا الميثاق الموجود في سائر  
الرسالات ، كعبد الله بن سلام ، وزيد بن سعدة •

اللهم وفقنا للتمسك بكتابك ، والاهتداء بسنة نبيك محمد صلى  
الله عليه وسلم ، انك ولى التوفيق •

عنتر حشاد

#### لا حق لأحد في فضل

عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينما نحن في سفر  
مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل على راحلة له ، فجعل  
يصرف بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
( من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان  
له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له ) فنكر من اصناف المال  
ما نكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل . رواه مسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيرِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

• - سورة البقرة

« ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٩٢) واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين (٩٣) »

لا تزال الآيات تخاطب بنى اسرائيل المعاصرين للنبي - صلى الله عليه وسلم - تفند مزاعمهم ، وتدحض دعواهم الايمان بالتوراة ، معددة خطاياهم ، مبينة جرائمهم ، مما لا يستقيم معه ايمان •

وقد رأينا في الآية السابقة أنهم كفروا بالقرآن - وهو الحق مصدقا لما معهم - وقتلوا أنبياء الله من قبل ، فكيف يصدقون في قولهم : « نؤمن بما أنزل علينا » يعنون التوراة • « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » •

وفي هاتين الآيتين نرى طائفة أخرى من جرائمهم ، فقد حفظ لهم التاريخ أنهم عبدوا العجل في غيبة موسى ، وأنهم عصوه ، وخالفوا

عن أمر الله ، ونقضوا الميثاق الذى أخذه الله عليهم فى التوراة :  
« ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم  
ظالمون » ثم يختم الرد عليهم بقوله : « قل بئسما يأمركم به إيمانكم  
ان كنتم مؤمنين » .

### عبادة بنى اسرائيل العجل :

« ولقد جاءكم موسى بالبينات (١) ثم اتخذتم العجل (٢) من  
بعده (٣) وأنتم ظالمون (٤) » .  
لقد جاءكم — يا بنى اسرائيل — نبيكم موسى بالآيات البينات،

---

(١) البينات : الآيات البينات ، والمقصود بها المعجزات التى أظهرها  
الله على يد موسى عليه السلام ، وأيده بها فى دعواه الرسالة ، وهى الآيات  
التسع المذكورة أجمالاً وتفصيلاً فى سور : النمل ، والاسراء ، والأعراف ،  
ومنها : العصا ، واليد ، والمن والسلوى ، والحجر . . . الخ ، وليس منها  
التوراة ، إذ أنها جاءتهم بعد أن عبدوا العجل ، وموسى غائب عنهم لتلقيها  
من ربه ، وقد غلط من عد التوراة منها ، ومن ذلك ما جاء فى كتاب «المختصر  
فى تفسير القرآن » لابن صمارح التحبيبي ، عنى بتنقيحه وتحريره الدكتور  
عدنان زرزور ، مؤسسة الرسالة ، طبع على نفقة سمو الشيخ زايد  
ابن سلطان آل نهيان ، إذ فسر البينات فى قوله تعالى : « ولقد جاءكم موسى  
بالبينات » بالتوراة ، وهو وهم لا يتفق مع الترتيب التاريخى للأحداث .  
(٢) اتخذتم العجل : صنعتم الذهب على شكل العجل ،  
أو جعلتموه الها .

(٣) من بعده : من بعد موسى ، أى فى غيبته ، وأما ما وقع فى ص ١٤٣  
الحزب الثانى من التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، بإشراف مجمع البحوث  
الإسلامية بالأزهر ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م مما يوهم غير  
ذلك فعمله سهو غير مقصود ، إذ جاء ما نصه : ( ثم اتخذتم العجل من  
بعده ) : أى ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء موسى بالبينات على رسالته ،  
وصحة ما دعاكم إليه من توحيد الله بالعبادة ، فهو يخالف ما جاء فى  
ص ١٠٠ ، الحزب الأول من الكتاب نفسه ، وما يكاد يجمع عليه المفسرون ،  
والترجمون . . .

(٤) وأنتم ظالمون : التعبير عن شركهم وظلمهم بالجملة الاسمية التى  
تعيد الثبات والدوام والاستمرار — يفيد أنهم قوم عادتهم الظلم .

والدلائل القاطعات على صدقه في دعوته ، كالعصا ، واليّد ، وهذه  
البحر (١) ، وتظليل الغمام (٢) .

ولكنهم بعد أن نجاهم الله تعالى ، وأغرق عدوهم أمام أعينهم  
طلبوا من نبيهم موسى أن يأتيهم من عند الله بكتاب ، ليعلموا أحكامه ،  
فوعده — سبحانه — أن يعطيه التوراة بعد أربعين ليلة ينقطع فيها  
للعبادة ، يصوم نهارها ، ويقضى ليلها في العبادة .

وفي غيبة موسى لتلقى التوراة اتخذ بنو إسرائيل العجل : اتخذوا  
تمثالا على صورة العجل — ولد البقرة الصغير — صنعه لهم السامري  
من الحلى ، ووضعه في مستقبل الريح ، فاذا دخلته أحدثت صوتا  
كخوار العجل ، فعبدوه لهذا ، واتخذوه لها من دون الله .

وقصة اتخاذ بنى إسرائيل للعجل ، وعبادته في غيبة موسى عليه  
السلام — عندما ذهب الى ميعاد ربه على الجبل — مفصلة في سورتي:  
طه ، والأعراف المكيّتين اللتين نزلتا قبل سورة البقرة المدنية ، وهنا  
فقط يذكرهم بانحدارهم الى عبادة العجل بمجرد غيبة نبيهم الذي  
أنقذهم باسم الله من آل فرعون يسومونهم سوء العذاب ، ويصف  
حقيقة موقفهم في هذه العبادة « وأنتم ظالمون » ظالمون بوضع الشيء  
في غير موضعه ، ومجاورة الحد ، ووضع العبادة في غير موضعها ،  
وظالمون لأنفسهم بتعريضها لعقاب الله : « ان الشرك لظلم عظيم »  
ومن أظلم ممن يترك عبادة الله ووصية نبيه ليعبد عجلا جسدا ، وقد  
أنقذه الله ممن كانوا يقصدون العجول .

\* \* \*

---

(١) ارجع الى تفسير الآية ٥٠ السابقة من السورة : « واذا فرقتنا  
بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون » .  
(٢) ارجع الى تفسير الآية ٥٧ السابقة من السورة : « وظللنا  
عليكم الغمام » .

## عصيان بنى اسرائيل بنقض الميثاق :

« واذ أخذنا ميثاقكم (١) ورفعنا فوقكم الطور (٢) خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا (٣) وأشربوا في قلوبهم العجل (٤) بكفرهم (٥) قل بئسما (٦) يأمركم به إيمانكم ان كنتم مؤمنين » .

حينما جاء موسى الى بنى اسرائيل بالتوراة - رأوا ما فيها من التكاليف الشاقة ، فعز عليهم أن يقوموا بها ورفضوها ، مع أنهم هم الذين طلبوا من موسى أن يأتيهم بكتاب من عند الله كما تقدم ، فرفع الله فوقهم الطور ، حتى صار كأنه ظلة تظلمهم ، وظنوا أنه واقع بهم ، وطلب منهم حينئذ أن يأخذوا ما آتاهم الله من الشرع بقوة ، بأن يسمعه سماع تدبر وفهم وقبول ، وأن يعملوا بما جاء فيه من التكاليف بحزم وعزم .

(١) الميثاق : العهد الموثق المؤكد ، وقد مضى تفصيل شيء منه في آيات ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ .

(٢) الطور : الجبل المعروف في شبه جزيرة سيناء .

(٣) سمعنا وعصينا : الاكثرون من المفسرين على أنهم قالوا هذا القول حقيقة ، وهو الأظهر والأولى .

(٤) وأشربوا في قلوبهم العجل : أشربوا في قلوبهم حب عبادة العجل ، وقد حذف المضافان ( حب ) و ( عبادة ) للعلم بهما ، وللمبالغة كان قلوبهم أشربت العجل نفسه ، وأصل الأشراب : مخالطة المائع للجامد ، ثم اتسع فيه ، حتى قيل في الألوان ، نحو : أشرب بياضه خمرة ، ومن عادة العرب إذا أرادوا التعبير عن مخامرة حب أو بغض استعاروا له اسم الشراب .

(٥) بكفرهم : بسبب كفرهم ، وهو دليل على أن محبتهم للعجل ناشئة عن كفر سابق ، وجود متاصل ، فهو كفر على كفر .

(٦) بئسما : اتفق علماء الرسم على وصل ( ما ) بـ ( بئس ) إذا لم تسبق ( بئس ) باللام ، كما مضى في ( بئسما اشترى به أنفسهم ) وعلى قطعها أن دخلت اللام على بئس في مثل قوله تعالى : « لبئس ما كانوا يعملون » « لبئس ما كانوا يصنعون » من آيتي ٦٢ و ٦٣ من سورة المائدة . راجع ص ٢٨ و ص ٢٩ من « كتاب منار الهدى في بيان الوقف والابتداء » للأشموني ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم .

والسياق هنا يلتفت من الخطاب الى الغيبة ، يخاطب بنى اسرائيل بما كان منهم ، ويلتفت الى المؤمنين – والى الناس جميعا – فيطلبهم على ما كان منهم من عصيان ونقض للميثاق ، واشراك بالله ، فقد اختلط حب عبادة العجل بقلوبهم ، تقليدا لسادتهم من الفراعنة : الذين كانوا يعبدونه ويقدمونه ، ولم ينتفعوا بتحرير الله لهم من ذل العبودية والقتل ، بشق البحر لهم وانجائهم •

ثم يلقي الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يجبههم بالترذيل والتبشيع لهذا اللون من الايمان العجيب الذى يدعونه ان كان يأمرهم بكل هذا الكفر الصريح : « قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » • أى ان كنتم – فيما اقترفتم من الشرك والمعاصى – مؤمنين بالتوراة ، عاملين بما فيها كما تدعون ، فبئسما يأمركم به ايمانكم المزعوم ، ولستم بمؤمنين ، لأن الايمان الصادق لا يأمر بما اقترفتموه من الشرك والمعاصى ، والتوراة ليس فيها اباحة شئ من ذلك •

وذكر قصة عبادة العجل هنا بعد ذكرها فيما سبق من قوله تعالى : « واذا واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون » • بيان لخيانتهم ، وتسجيل لسوااتهم ، وأما ذكرها هناك ففى معرض تذكيرهم بنعم الله عليهم حيث عفا عنهم وقبل توبتهم ، وبهذا ينتقى تكرار القصة دون غرض جديد •

نسأل الله أن يفقهنا فى الدين ، وأن يعلمنا التأويل ، وأن ينفعنا بما يعلمنا ، انه ولى التوفيق •

عنتر حساد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ مَا فِي النَّفْسَيْنِ

يَقْدُمُهُ : عَنْ تِرَا حَمْدٍ جَشَادُ

• - سورة البقرة

قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون  
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين (٩٤) ولن يتمنوه ابدا بما  
قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين (٩٥) ولتجدنهم احرص  
الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدثهم لو يعمر الف  
سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما  
يعملون (٩٦) •

من مزاعم اليهود الباطلة قولهم : « ان الدار الآخرة خالصة لنا ،  
لا يقال نعميها احد سوانا ، ولن يدخل الجنة الا من كان هودا » فقل  
لهم : « انتم » فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » في زعمكم ، والآيات  
تتحدثهم بما لا يعجزون عنه ، وهو مطالبتهم بتمنى الموت ، فتظهر  
مناقضتهم لأنفسهم في ذلك بكراهتهم الموت وشدة حرصهم على الحياة :  
« ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم » • « ولتجدنهم احرص الناس  
على حياة ومن الذين اشركوا » • ثم تكشف الآيات عن واقع أمرهم :  
« يود احدثهم لو يعمر الف سنة » خوفا من العذاب الذي يلاقونه ،  
ولكن ليعلموا ان التعمير في الدنيا مهما طلل أمده لا يبعدهم عن عذاب

الله . فهو لاحق بهم لا محالة . ولكل بداية نهاية . ولكل أجل كتاب .  
« والله بصير بما يعملون » .  
من ادعاءات اليهود :

« قل ان كانت لكم الدار الآخرة (١) عند الله (٢) خالصة (٣) من  
دون الناس (٤) فتمنوا الموت (٥) ان كنتم صادقين » .

ما أكثر مزاعم اليهود . وادعاءاتهم الباطلة الكاذبة : قالوا : « نحن  
أبناء الله وأحبائه » . وقالوا « لن تمسنا النار إلا أياما معدودة »  
أربعين يوما . مدة عبادتهم العجل . وزعموا أنهم أولياء لله من دون  
الناس . وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا . كما مر في الآيات  
السابقة . وكما سنرى فيما يأتى من الآيات الكريمة .

وفي هذه الآية الكريمة يبطل الله دعواهم أن الدار الآخرة ، وما  
فيها من نعيم خالصة لهم . خاصة بهم من دون الناس جميعا ، فيأمر  
رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : ان كانت الجنة التي  
في الدار الآخرة خالصة لكم . وخاصة بكم من دون الناس ، فتمنوا  
الموت . الذى يوصلكم اليها . ويخلصكم من منغصات هذه الحياة .  
فان من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب اليه من الحياة الدنيا .  
لما يصير اليه من نعيم الجنة ، ويزول عنه من أذى الدنيا وثقلاتها .  
والتمنى : وهو الرغبة القوية فى الشيء ، يقصد به هنا : أن  
يقولوه بالسنتهم .

**كراهة اليهود للموت ، وحرصهم على الحياة أى حياة :**

- 
- (١) الدار الآخرة : ما فيها من الجنة ونعيمها .
  - (٢) عند الله : فى حكمه وكتبه .
  - (٣) خالصة لكم : خاصة بكم ، يقال : خلص لى فلان ، بمعنى : صار  
لى وحدى . وصفا لى ، وخلص لى هذا الشيء ، فهو يخلص خلوصا  
وخالصة ، وخالصة : مصدر ، مثل العاقبة ، والطافية ، والباقية .
  - (٤) الناس : جميع الناس ، فال للجنس .
  - (٥) التمنى : فى الأصل الرغبة القوية فى الشيء ، والمراد به هنا ان  
يقولوا بالسنتهم : اننا نتمنى الموت .

« ولن يتمنوه أبدا بما (١) قدمت أيديهم (٢) والله عليم بالظالمين (٣) ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا (٤) يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو (٥) بمزحزحه (٦) من العذاب أن يعمر (٧) والله بصير بما يعملون » .

ولن يتمنوا الموت — حتى بالسنتهم — أبدا . بسبب ما ارتكبوه من الإثام ، واقترفوه من الجرائم والذنوب ، لشدة خوفهم من العقاب ، لأنهم يعرفون أنهم عاصون ، مقترفون للذنوب التي يستحقون عليها العقوبة في الدار الآخرة ، ولذلك يستأجلون ولا يستعجلون ، ولعلمهم بأنهم ان فعلوا فالموت نازل بهم ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخبرهم خبرا إلا كان حقا كما أخبر ، فهم يحذرون أن يتمنوا الموت خوفا من أن يحل بهم عقاب الله جزاء ما قدمت أيديهم من الذنوب ، وما اجتروه من السيئات .

وقد صحح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه » وقال ابن جرير في تفسيره : « وبلغنا أن النبي صلى

- (١) بما قدمت أيديهم : بسبب الذى قدمته أيديهم ، وبسبب ما ارتكبوه من الذنوب : الكفر والفسوق والعصيان ، وتحريف التوراة ، وقتل الأبرياء ، وخاصة الأنبياء ، وتولييتهم عن أئمتنا ، وعبادتهم العجل ... الخ ، فالباء للسببية ، وما اسم موصول .
- (٢) قدمت أيديهم : عبر بالأيدي لأن معظم الأعمال تتم بالأيدي .
- (٣) عليم بالظالمين : عليم بهم ، فالتعبير بالظالمين : الاسم الظاهر ، دون الضمير : « بهم » لوصفهم بظلم أنفسهم وغيرهم بما ارتكبوه .
- (٤) الوقت « على أشركوا » لا « على حياة » وهذا ما يراه الأكثرون ، وهو الراجح عندي ، فالحديث عن اليهود ، لا عن المشركين .
- (٥) وما هو : وما أحدهم ، فالضمير يعود على ( أحدهم ) في الجملة السابقة : « يود أحدهم لو يعمر ألف سنة » والمعنى : وليس بمنحى أحدهم من العذاب تعميره ، وهذا الذى أرجحه ، وقد قال أكثر المفسرين كثيرا غير ذلك .
- (٦) بمزحزحه : ببعده ومنحيه ( بالحاء ) .
- (٧) أن يعمر : التعمير ، وهو فاعل مزحزح . ويعمر : يطول عمره .

الله عليه وسلم - قال : « لو أن اليهود تمنوا الموت لماوتوا ، ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو فرج الذين يياهلون (١) رسول الله صلى عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا » .

فقوله سبحانه : « ولن يتمنوه أبدا » من المعجزات ، لأنه اخبار بالغيب الذى تحقق ، فانهم لم يتمنوا الموت ، ولو تمنوا لنقل ذلك عنهم ، كما نقلت سائر الحوادث ، وكان ناقلوه - من الحريصين على الطعن فى الاسلام والقرآن - أكثر من الذر ، كما فى قوله تعالى بعد أن تحدى المشركين بأن يأتوا بسورة من مثل القرآن : « فان لم تفعلوا - وان تفعلوا - فأتقوا النار (٢) » .

ويكفى فى تحقيق هذه المعجزة ألا يصدر تمنى الموت عن اليهود الذين نحداهم النبى - صلى الله عليه وسلم - بذلك ، وهم الذين كانوا يضعون المرافيل فى طريق دعوته ، ويصرون على جحود نبوته ، فلا يقدر فى هذه المعجزة أن ينطق يهودى بعد العهد النبوى بتمنى الموت وهو حريص على الحياة ، لأن المقصودين بالتحدي هم اليهود المعاصرون لعهد النبوى .

وفى قوله تعالى : « والله عليم بالظالمين » تهديد ووعيد لهم ، فهو عليم بهم ، ومجازيهم بأعمالهم .

« ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا »  
فى هذا ، وفى الآية السابقة ابطال لزعم اليهود ، وبيان لحقيقة

---

(١) المباهلة والابتهاال : من البهلة ( بضم الباء وفتحها ) وهى : اللعنة ، وتباهل وتبتهل مثل تقاتل واقتتل فى كون كل منهما يقع بين جانبين أو أكثر ، ثم شاع فى كل دعاء مجتهد فيه وان لم يكن التعاننا ، ولما حاج نصارى نجران النبى صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى المباهلة امتنعوا ، وقالوا : انه والله النبى المبشر به فى التوراة والانجيل ، ولو باهلناه لم يبق نصرانى على وجه الأرض ، وفى ذلك نزلت الآية ٦١ من سورة آل عمران : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم تبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » فكذلك آيتنا وقد تضمنت دعوى اليهود أن المؤمنين لا نصيب لهم فى الآخرة دعواهم الى المباهلة بأن يقف الفريقان ويدعوا الله بهلاك الكاذب منهما .

(٢) فى الآية ٢٤ من سورة البقرة .

حالمهم : من الاخلاذ الى الحياة الدنيا . فهم أشد الناس حرصا عليها ، وعلى التمسك بأهدابها .

وتتكبر «حياة» بدلا من تعريفها «الحياة» لتحقيرهم ومهانتهم ، فهم أحرص الناس على حياة ، أى حياة ، وان لم تكن حياة عزيزة كريمة، وان كانت حياة الديدان والحشرات . حياة والسلام ، فانها يهود فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها سواء ، وما ترفع رأسها الا حين تغيب المطرقة . فاذا وجدت المطرقة نكست الرعوس ، وغنت الجباه جنبنا وحرصا على الحياة . . . . أى حياة .

انهم أشد حرصا على حياة من الناس جميعا ، حتى من الذين أشركوا الذين لا يؤمنون بالدار الآخرة . وقد خص « الذين أشركوا » بالذكر . بعد اندراجهم فى الناس . لأنهم لا يؤمنون بحياة أخرى بعد هذه الحياة ، ويقولون : « ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين (١) » فجىء بهم لتأكيد حرص اليهود على الحياة الدنيا ، وفى هذا زيادة توبيخ وتعنيف لليهود ، فقد صاروا أسوأ من المشركين . ولعل نظير ذلك ما جاء فى الآية الأخيرة من سورة الممتحنة (٢) من نهى المؤمنين عن موالاته اليهود الذين غضب الله عليهم ويثسوا من الآخرة ، كما يثس الكفار من عودة أصحاب القبور الى الدنيا ، أو بعثهم الى حياة جديدة : « ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يثسوا من الآخرة كما يثس الكفار من أصحاب القبور » (٣) والله أعلم . فالمعنى : ولتجدن اليهود أحرص من الناس جميعا على حياة ومن الذين أشركوا .

« يود أحدهم لو يعمر (٤) ألف سنة (٥) » فقد بلغ من غلوهم وشددة

(١) الآية ٣٧ من سورة « المؤمنون » .

(٢) الممتحنة : بفتح الحاء وكسرها .

(٣) الآية ١٣ .

(٤) لو يعمر : لو مصدرية ، فهى والفعل فى تاويل مصدر ، أى

« التعمير » .

(٥) ألف سنة : كناية عن المدة الطويلة التى يود أحدهم ان يحيها،

كما تذكر العرب الألف ، وتريد الكثرة ، لا خصوص العدد .

حرصهم على الحياة أن الواحد منهم يتمنى أن يعيش أسنين كثيرة ،  
ولوتجاوزت الحد الذي يبلغه الانسان في العادة .

« وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر » ولكن لن ينحى أحدهم  
من العذاب تعميره ، لأنه لا بد من الموت والعرض على الله ، والحساب،  
والجزاء .

« والله بصير بما يعملون » عالم بأعمالهم ، محيط بها ، لا تخفى  
عليه خافية ، ومجازيهم عليها بما أعدّه لهم من العقاب وفي هذا تهديد  
ووعيد لهم .

وعبر بالمضارع « بما يعملون » بدلا من المصدر « بأعمالهم »  
لتصوير عملهم بأنه يتجدد آتبعده آن .

ومن هذا العرض للآيات الكريمة نرى أنها قد زدت على اليهود في  
دعواهم أن الجنة خالصة لهم . ردا يبطل حجّتهم . ويفضح مزاعمهم ،  
ويكبت نفوسهم . ويخرس ألسنتهم ، ويعلن أن الجنة انما هي لمن أسلم  
وجهه لله وهو محسن . وهم ليسوا من هذا النوع من الناس ، ولذا  
حرصوا على انحية . وفزعوا من الموت ، لأنهم يعلمون أن من ورائهم  
النار . وبئس القرار . بسبب ما ارتكبوا من سيئات ، واقترفوا من آثام،  
واقترفوا من أكاذيب .

ولعل نظير ذلك قوله تعالى « قل ياأيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم  
أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ، ولا يتمنونه  
أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ، قل ان الموت الذي تفرون  
منه فانه ملائكتكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم  
تعملون » (١) .

اللهم جنبنا العرور والزلل ، ووفقنا للإيمان وعمل الصالحات ، انك  
ولى التوفيق .

عنتر هشاد

(١) الآيات من ٦ - الى ٨ من سورة الجمعة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بَابُ التَّقْسِيمِ

يقدمه: عن تراجم حشاد

٤ - سورة البقرة

« قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ( ٩٧ ) من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ( ٩٨ ) ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون ( ٩٩ ) أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ( ١٠٠ ) » .

كان من كلمات اليهود في عدم الايمان برسول الله - محمد صلى الله عليه وسلم - قولهم : ان الذى ينزل عليه بالوحي هو جبريل ، وان جبريل بينه وبينهم عداوة ، وقد رد الله عليهم بأن جبريل ما هو الا ملك رسول ، نزل القرآن باذن الله على قلب محمد (١) ، وبأن ما نزل

(١) ونظير ذلك ايضا ما جاء في الحديث عن المشركين الكاذبين للقرآن الكريم : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين ، وانه لفى زبر الاولين ، أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل » . الآيات من ١٩٢ - الى ١٩٧ من سورة الشعراء ، « ونزل به الروح الأمين » بفتح الزاى المخففة في ( نزل ) ورفع ( الروح ) فاعل ( نزل ) ، وفى قراءة : ( نزل ) بتشديد الزاى المفتوحة ، ونصب ( الروح ) والفاعل هو الله ، والروح الأمين : جبريل عليه السلام .

به جبريل لم يكن مخالفا لما عندهم ، بل كان مصدقا له ، وكان هاديا ومنقذا من الضلال ، ومبشرا للمؤمنين ، واذن فعداوة جبريل عداوة لمن نزله ، عداوة لله ، وعداوة لوحى الله ، وتكذيب منهم لما عندهم ، وكراهة للهداية ، والعاقل لا يرفض الهداية أيا كان مصدرها •

ثم يوضح الله الحق في هذا الشأن ، وهو أن ما نزل به جبريل أو غيره من الملائكة على محمد أو على غيره من الأنبياء هو في حقيقته من الله وبأمر الله ، فمن اتخذ أحدا منهم عدوا فقد عادى الله ، ومن عادى الله عاداه الله : « قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » •

ثم أخذ يطمئن النبي صلى الله عليه وسلم بأن ما أنزله عليه من آيات بينات واضحات لا يكفر بها الا من فسد طبعه ، وزاغ عن فطرته، فلا تكثرت يامحمد بكفر هؤلاء الذين فسقوا عن أمرنا ، وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ، وهذا شأنهم في العهود ، وهو كشأنهم فيما ينزل مصدقا لما معهم ، وتكذيبهم لما يصدق ما معهم تكذيب لما معهم ، وبهذا يصيرون كأنه لم ينزل عليهم شيء ، وكأنهم لا يعلمون •

### عداوة اليهود لجبريل ، ولوحى الله ، والله :

« قل من كان عدوا (١) لجبريل فإنه (٢) نزله (٣) على

---

(١) عدو : ضد الولي والصدیق ، يكون للواحد والاثنين والجمع ، والأنثى والذكر ، تقول : هو عدو ، وهما عدو ، وهم عدو « هم العدو فاحذرهم » وهى عدو ، وما جاء من قولهم : « هذه عدوة الله » فنادر ، وقد جمعوا العدو على أعداء ، كما فى قوله سبحانه : « ان يتفقوكم يكونوا لكم أعداء» من الآية ٢ من سورة المتحنة ، ولذا جاز تفسير قوله تعالى : « قل من كان عدوا لجبريل .... » بقولك : ( قل من كانوا أعداء لجبريل .... )

(٢) فانه : فان جبريل .

(٣) نزله : نزل القرآن .



قلبك (١) باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين » •

سبب نزول هاتين الآيتين الكريمتين أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : انه ليس نبي من الأنبياء الا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة وبالوحي ، فمن صاحبك حتى نتابعك ؟ قال : « جبريل » ، قالوا : ذاك الذى ينزل بالحرب وبالقتال ، ذاك عدونا ، لو قلت : ميكائيل الذى ينزل بالقطر (٢) وبالرحمة تابعناك ، فأنزل الله هاتين الآيتين (٣) •

ولا شك أن هذا المنطق السقيم من اليهود يدل على مبلغ غيظهم من أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، والا فما بالهم يعادون جبريل ؟ وجبريل ليس بشرا يعمل معهم أو ضدهم ، أو يعمل بتصميم من عنده أو تدبيره ، انما هو عبد الله يفعل ما يأمره ولا يعصى الله ما أمره •

« قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله » •

فما كان له من هوى شخصى ولا ارادة ذاتية فى أن ينزل القرآن على قلبك ، انما هو منفذ لارادة الله واذنه فى تنزيل هذا القرآن على قلبك •

نزله على قلبك ••• « مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين »

(١) على قلبك : خص القلب بالذكر ، فهو موضع التلقى ، وهو الذى يفقه بعد التلقى ، ويستقر فيه هذا الكتاب ويحفظ ، وجواب (من) محذوف ، والتقدير : من كان عدوا لجبريل « فهو عدو لوحي الله ولله » لأن جبريل انما نزل القرآن عليك باذن الله . فقوله سبحانه : « فانه نزله على قلبك » ليس جواب الشرط (من) وانما هو دليل الجواب ، كما فى قوله سبحانه يخاطب حفصة وعائشة بعد أن أحبنا ما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل : « ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما » أى فقد زاغت ومالت قلوبكما عن الحق ، فجواب الشرط (ان) محذوف للعلم به أى : ان تتوبا كانت التوبة خيرا لكما ، وليس ( الصغو ) جواب الشرط ، لأن هذا الصغو كان سابقا للتوبة •

(٢) القطر : المطر •

(٣) أخرج سبب النزول الترمذى •

فالقُرآنُ مصدقٌ في عمومهِ لما سبقهُ من الكتبِ السماويةِ ، ومصدقٌ لكتابهِم نفسهُ ، وهو هدىٌ وبشرىٌ للمؤمنين الذين يستجيبون له •  
 واليهود — كعادتهم في تفريق الدين ، والتفريق بين الله ورسله — قد فرّقوا بين ملائكة الله ، فقالوا : انهم على صداقةٍ مع ميكائيل ، أما مع جبريل فلا ، وغاب عنهم أن من عادى أحداً من الملائكة فقد عاداهم جميعاً ، وعادى الله سبحانه ، فعاداه الله ، فهو من الكافرين :  
 « من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » •

### فسق اليهود بكفرهم بآيات الله البينات :

« ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون » •  
 وفي هذه الآية — كما قال ابن عباس رضى الله عنهما — جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل عليك من آية بينة فننتبعك بها ، فأنزل الله هذه الآية •

والقرآن الكريم بهذا يكشف عن علة كفر بنى إسرائيل به ، وبما فيه من آيات بينات ، وهى الفسوق والخروج عن طاعة الله وانحراف الفطرة ، فالطبيعة المستقيمة لا يسعها إلا الإيمان بتلك الآيات ، فاذا كفر بها اليهود — أو غيرهم — فلأنهم فاسدو الفطرة فاسقون •  
 والفسق — وهو الخروج عن طاعة الله — كما يكون بالمعصية يكون أيضاً — بالكفر ، ومنه قوله تعالى : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون (١) » •

وفي قوله سبحانه : « وما يكفر بها إلا الفاسقون » تهديد لليهود ، ووعد لهم على كفرهم وفسقهم •• فهم الكافرون الفاسقون •• كفروا بمحمد ، وفسقوا عن دينهم الذى كانوا عليه ، أى خرجوا عن دينهم ، حين أنكروا ما فيه من أمر محمد — صلى الله عليه وسلم — ورسالته •

(١) آية ١٨ من سورة الم السجدة .

## نبذ اليهود العهد :

« أو كلما عاهدوا عهدا نبذه (١) فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون » •  
الى جانب ماتقدم من سمات اليهود : سمة الغيظ والحقد ، وسمة  
الكفر والفسق — نجدهم يتسمون أيضا بنبذ العهود ، ونقض المواثيق ،  
وأن أكثرهم لا يؤمنون :

لقد رأينا في الآيات السابقة كثيرا من أمثلة نبذ اليهود العهود ،  
فقد نقضوا ميثاقهم مع الله تحت الجبل : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا  
فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ، ثم  
توليتهم من بعد ذلك » « واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله  
وبالوالدين احسانا ••• ثم توليتهم الا قليلا منكم وأنتم معرضون ، واذ  
أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم  
أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا  
منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان » •• ونبذوا عهودهم  
مع أنبيائهم من بعد : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم  
استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » وأخيرا نبذ فريق منهم عهدهم  
الذى أبرموه مع النبي صلى الله عليه وسلم — أول مقدمة الى المدينة ،  
وهو العهد الذى وادعهم فيه بشروط معينة ، بينما كانوا هم أول من  
أعان عليه أعداءه ، وأول من عاب دينه ، وحاول بث الفرقة والفتنة في  
الصف المسلم ، مخالفين ما عاهدوا المسلمين عليه •

وهذه الخلة الذميمة في اليهود تقابلها في المسلمين خلة حميدة أخرى  
على النقيض ، هي خلة الوفاء التى أمرهم الله تعالى بها : « يا أيها الذين  
آمَنوا أوفوا بالعقود » « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » فالوفاء  
سمة الجماعة الكريمة المستقيمة ، وذلك فرق ما بين أخلاق اليهود  
للفاسقين ، وأخلاق المسلمين الصادقين •

## عنتر حشاد

---

(١) النبذ : الطرح والالقاء ، ونبذ العهد : عدم الوفاء به